نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب الحادى عشر

دراسات وتأملات

فى فصول أناجيل قداس الاحاد

(١) الشهور من توت إلى كيهك

دكتور جميل نجيب سليمان

الطبعة الثانية

نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب الحادي عشر

دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد

(١) الشهور من توت إلى كيهك

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم السلسلـــــــة : نور الحياة

الكتـــاب الحادي عشر : دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد

(١) الشهور من توت إلى كيهك

المـــــــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان

www.gamilsoliman.org
gamilnsoliman@yahoo.com

الطبعـــــــــــــة : الأولي ٢٠١٣، الثانية ٢٠١٩

الناشـــــــــــــر : بيت مدارس الأحد (ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤)

رقـــم الإيـــــداع : ٢٠١٣/١٣٠٨١

الترقيـــــم الدولـــــي : 978-977-6439-13-9

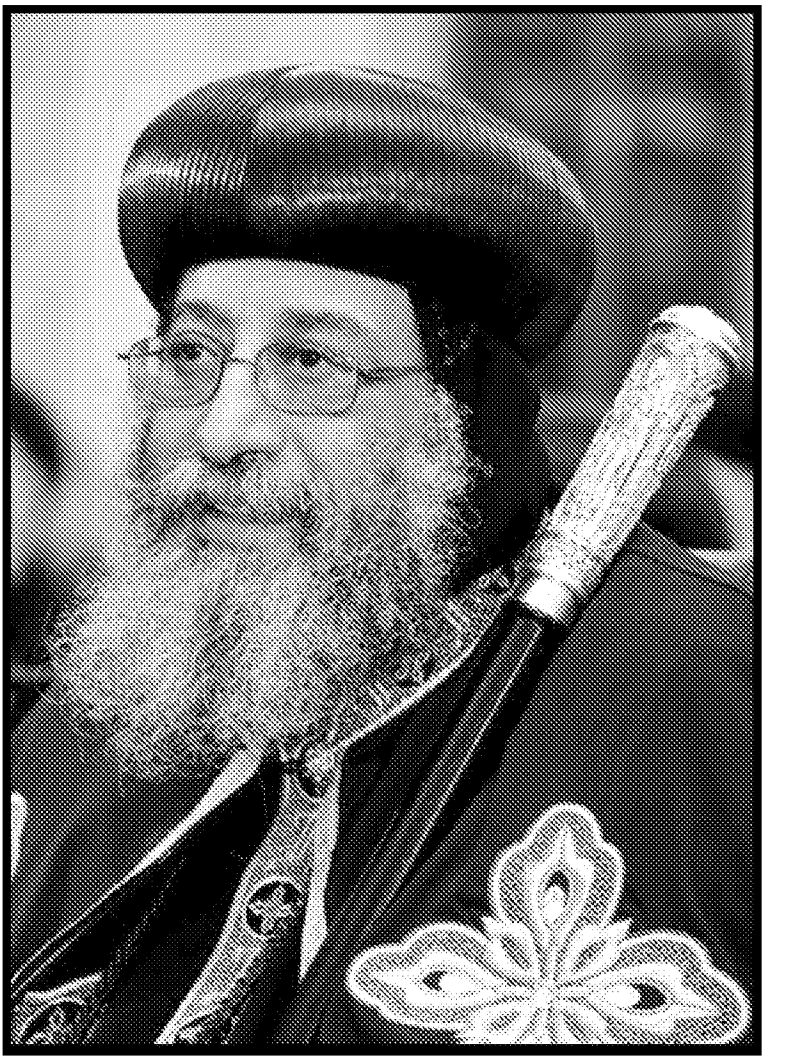

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٨)

المحتويـــات

كلمة إلى القاريء ٧

١ – كلمات أولية ٩

+ عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي ١٠

+ إلى خدام الكلمة ١٦

٢ – أناجيل قداس آحاد شهر توت ٢١

+ الأحد الأول : شهادة المسيح عن المعمدان نبي العهدين ٢٢

+ الأحد الثاني : محبة الله والقريب **"افعل هذا فتحيا" ٣٣**

+ الأحد الثالث : توبة زكا **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت" ٤٥**

+ الأحد الرابع : توبة المرأة الخاطئة **"لأنها أحبت كثيراً" ٥٣**

+ الأحد الخامس من أي شهر قبطي ٦٢

٣ – أناجيل قداس آحاد شهر بابه ٦٣

+ الأحد الأول : شفاء المفلوج **"لما رأى يسوع إيمانهم" ٦٤**

+ الأحد الثاني : معجزة صيد السمك ٦٨ **"تركوا كل شيء وتبعوه" ٧٥**

+ الأحد الثالث : شفاء مجنون أعمى أخرس البيت المنقسم ٨٧

+ الأحد الرابع : إقامة ابن الأرملة الله يتحنن ٩٩

٤ – أناجيل قداس آحاد شهر هاتور ١٠٩
+ الأحد الأول : مثل الزارع
الأرض الجيدة ١١٠
+ الأحد الثاني : مثل الزارع
وأصداؤه في الكتاب المقدس ١٢٠
+ الأحد الثالث : تبعية المسيح
نحن أيضاً تلاميذ ١٣٢
+ الأحد الرابع : الشاب الغني
"يعوزك شيء واحد" ١٤٠

٥ – أناجيل قداس آحاد شهر كيهك ١٥١
+ الأحد الأول : بشارة زكريا
كيف نطلب وكيف يستجيب ١٥١
+ الأحد الثاني : بشارة العذراء
"لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" ١٦٠
+ الأحد الثالث : زيارة العذراء لأليصابات
"ورفع المتضعين" ١٧١
+ الأحد الرابع : ميلاد يوحنا
المعيّن خادماً للخلاص ١٨٦

كلمة إلى القارئ

أناجيل قداس الآحاد هي قسم هام من الفصول المختارة من العهد الجديد والتي تكوّن جانباً يُعتد به من **الليترجية**، والتي يضمها كلها ما يُعرف باسم **القطمارس**(*). فهناك لكل يوم من أيام السنة فصول مختارة من **الإنجيل** لرفع بخور عشية وباكر والقداس، ويسبق كل إنجيل **مزمور** معين يناسبه، فضلاً عن قراءة فصل من إحدى رسائل القديس بولس (**البولس**)، وفصل من الرسائل الجامعة (**الكاثوليكون**) ، وفصل من سفر أعمال الرسل (**الإبركسيس**)، يليه **السنكسار** الذي يعتبر امتداداً **لسفر الأعمال**.

وهناك منهج محدد لكل هذه الفصول وإن كان يتميز إلى اتجاهين: أحدهما يربط قراءات قداس الآحاد والآخر يربط قراءات قداس الأيام. وقراءات **قداس الآحاد**، موضوعها العام **الخلاص** (إش٦١: ١، ٢؛ لو٤: ١٨، ١٩). أما عن قراءات **قداس الأيام** فترتبط **بالسنكسار** الذي يحوي تاريخ الكنيسة وأعيادها وتذكار قديسيها وبطاركتها.

وهذا الترتيب لم يتم كيفما اتفق وإنما وضعه آباء ملهَمون بالروح القدس، بحيث تكشف قراءات كل يوم معاً المعاني الروحية الكاملة. وكما يلقي العهد الجديد الضوء على القديم ويكشف معنى نبواته التي تحققت في المسيح، وكما تُظهر الرسائل حق الإنجيل، وتستلهم منه عقائد الإيمان وترتيبات العبادة وقوانين الكنيسة، فإن القراءات، التي ألهمها كلها الروح القدس، توضح بعضها بعضاً عندما تقترن في ضفيرة عبقرية واحدة، بحيث يتعاظم مفهومها الروحي عما لو بقيت كل منها مستقلة عن الأخرى.

ربما لا يتاح في كنائسنا تناول كل قراءات اليوم معاً بالشرح والتفسير بحسب المنهج الموضوع للقراءات، فالوقت لا يتسع. كما أن المختبِرين والفاهمين

(*) يرجى الرجوع إلى مقال "**عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي**" في الفصل الأول من هذا الكتاب (ص ١٠).

والقادرين على الغوص والربط بينها تحت مصباح الروح القدس قليلون. ولكن ما لا يدرك جُلّه لا يترك كله، فمن الممكن أن يُطبع تفسير قراءات اليوم ويوزع على المؤمنين، وربما تُخصص اجتماعات بعينها في كل كنيسة تفسر الكتاب بحسب منهج القراءات، أو ينبثق عن المعاهد العلمية الكنسية مجموعات من الدارسين يعقدون محاضرات تخدم نفس الهدف، أو تصدر مجلة تتخصص في دراسات الكتاب المقدس وتتبنى منهج القراءات.

على أننا في هذا الكتاب قصدنا أن نفسر ونتأمل في **فصول أناجيل قداسات الآحاد** وحدها، دون بقية قراءات **قداس الكلمة**، والخاصة بشهور السنة القبطية من **توت** إلى **كيهك**، على أن يتبعه جزآن تاليان يفسران أناجيل آحاد باقي السنة، فالأجزاء الثلاثة تكوّن معاً وحدة متكاملة لا تنفصل.

وسيلاحظ القارئ أننا تعمدنا بصورة عامة بعض التفصيل، بما يتيح لخدام الإنجيل مساحة واسعة في الاختيار، بحيث يمكن أن تقتصر العظة أو الكلمة على نقطة واحدة أو أكثر بحسب الوقت المتاح للخدمة. كما أن هناك أحياناً تنويهاً عن مقالات بعينها تخدم موضوع نفس الفصل من الإنجيل في مواقع أخرى من كتب "**نور الحياة**"، أو ضمن شرح فصول أناجيل أخرى ذات العلاقة، كي تتعدد العظات على نفس فصل الإنجيل، بما يضاعف الفائدة الروحية للسامعين والخدام.

وفي هذه **الطبعة الثانية**.. أجرينا من أجل خدمة القارئ التصويبات والإضافات الواجبة.. كما استكملنا شواهد القراءات خاصة لعشية وباكر والمزامير المقترنة بالأناجيل كلها.

وإني أسأل الله القدير أن يبارك هذا العمل في **طبعته الثانية** لمجد اسمه وامتداد ملكوته، بصلوات أبينا **صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني**، في أولى سنوات حبريته المديدة، كما أطلب صلوات كل من يقرأ هذا الكتاب أن يستخدمه الروح من أجل استنارة الأذهان بمعرفة أوثق بكلمة الله "**نور الحياة**".

مايو ٢٠١٩

كلمات أولية

+ عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي
+ إلى خدام الكلمة

عن القراءات الكنسية في القداس الإلهي

وضع آباء الكنيسة الأولون، الملهَمون بالروح القدس، منظومة متكاملة لما يُتلى في الكنيسة من صلوات وتسابيح خلال أدائها **الليترجية**، سواء ما يتعلق بصلوات السواعي (الأجبية) أو التسبحة (السنوية والكيهكية) أو نصوص القداسات المستخدمة في كنيستنا (وأبرزها ثلاثة: القداس الإلهي **للقديس كيرلس**، وهو أقدمها إذ تعود أصوله إلى **القديس مرقس الرسول**، و**القديس باسيليوس**، و**القديس غريغوريوس**)، أو النصوص الكتابية التي تُتلى ضمن صلوات القداس، بما يوحد طقوس العبادة في الكنائس الرسولية على امتداد الأرض.

وهذه الفصول الكتابية المختارة يضمها معاً عدد من الكتب تعرف

بالقطمارس[1]، وتشكِّل معاً ما يُعرف بـ **"قداس الكلمة"**، أي القسم التعليمي من الليترجية، الذي كان يتاح للموعوظين حضوره في الكنيسة الأولى، إلى أن يتأهلوا لنوال المعمودية، وبعدها يشتركون مع سائر المؤمنين في صلوات التقديس التالية الممهِّدة للتناول من الأسرار.

■ عن القطمارس :

وكتب القطمارس في كنيستنا خمسة :

(١) **القطمارس العام السنوي الدوار**، الخاص **بقراءات الأيام** على مدى السنة القبطية (سواء كانت أياماً عادية أو أعياداً أو غيرها)؛

(٢) **القطمارس السنوي الدوار**، الخاص **بقراءات قداس الآحاد** على مدى السنة شهراً شهراً (عدا الصوم الكبير والخمسين)؛

(٣) **قطمارس الصوم الكبير**، ويستخدم في أيام وآحاد هذا الصوم (حتى سبت لعازر)، وهو موسم التوبة سواء للموعوظين أو للمؤمنين لتجديد عهودهم وإضرام محبتهم لمخلصهم؛

(٤) **قطمارس البصخة المقدسة**، الذي يستخدم في **أسبوع الآلام** بدءاً من أحد الشعانين حتى ختامه. وقراءاته الكتابية وصلواته وألحانه تركز على أحداث هذا الأسبوع منذ الدخول الأخير للمسيح إلى أورشليم، ورسمه سر الإفخارستيا، وما جازه من محاكمات ومعاناة وآلام بلغت ذروتها في الصليب والموت؛

---

(١) من الكلمة اليونانية Kata-meros ، حيث "Kata" تعني "**بحسب** according" و **"meros"** تعني "**جزء**" أو "**قسم**"، ويقصد به **الأيام**؛ فيكون المعنى "**القراءات الكتابية خلال القداس بحسب كل يوم**" من أيام السنة

(٥) **قطمارس الخمسين المقدسة**، وهو الخاص بالفترة من **عيد القيامة إلى عيد العنصرة**، أي عيد حلول الروح القدس في اليوم **الخمسين** بعد قيامة الرب المجيدة.

وتتضمن قراءات قداس **اليوم** أو **الأحد** فصلاً من **الإنجيل** (يسبقه **مزمور** يتعلق به) لكل من صلاة رفع بخور عشية وباكر والقداس. كما يسبق قراءة إنجيل القداس فصل من إحدى رسائل القديس بولس الأربع عشرة (**البولس**)، وأخر من إحدى الرسائل الجامعة (**الكاثوليكون**)، وهي رسالة القديس يعقوب، ورسالتا القديس بطرس، ورسائل القديس يوحنا الثلاث، ورسالة القديس يهوذا، وفصل من سفر أعمال الرسل (**الإبركسيس**)، ويلي ذلك فصل من **السنكسار**، أي تاريخ أحوال الكنيسة، شاملاً أعياد الرب والعذراء والملائكة والرسل، وتذكارات قديسي الكنيسة وشهدائها وآبائها، لكل يوم من أيام السنة القبطية، بما يمثل امتداداً على مدى الزمن لأعمال آبائنا الرسل.

وتتضمن قراءات **الصوم الكبير** و**البصخة** (إضافة إلى المزامير) أجزاء مختارة من **العهد القديم**، تقابل نصوص العهد الجديد لهذا اليوم. وهي تُتلى ضمن صلوات رفع بخور باكر في قداسات الصوم الكبير، أو تسبق قراءة الإنجيل في كل ساعة من ساعات صلوات البصخة العشر (خمس ليلية وخمس نهارية).

■ منهج القراءات الكنسية :

هناك دراسات كثيرة قديمة وحديثة عن منظومة القراءات الكنسية، والمنهج الذي وضعه الآباء، والذي على أساسه اختيرت فصول الكتاب لكل

يوم أو لكل **أحد**، سواء على مدى السنة، أو آحاد شهر بعينه، أو في فترات معينة منها كأيام وآحاد الصوم الكبير والخمسين، أو أسبوع آلام الرب.

وسنحاول هنا باختصار أن نشير إلى الخطوط العريضة لهذا المنهج، بما يتيح فهماً واستيعاباً أكثر، ورؤية أشمل، لمجموع القراءات، لا يوفره الانحصار في قراءة كل فصل على حدة، ولكن دون الدخول في تفاصيل كثيرة تهم المتخصصين وحدهم لكي لا نثقل على القارىء[٢].

على أن **موضوع** قراءات قداس الأحد أو أي يوم لا يعكسه فقط فصل **الإنجيل**، وإنما هو يربط بين كل قراءات القداس، من بداية العشية وحتى إنجيل القداس، كخيط دقيق يشكل منها منظومة ذات هدف واحد (وقد يكون الارتباط واضحاً صريحاً وشاملاً، أو أحياناً في آية واحدة من أحد فصول القراءات أو أكثر).

فإذا أتينا إلى **قراءات قداس الآحاد**، فالموضوع الشامل هو **عمل الثالوث في تدبير الخلاص** بتجسد الرب وصلبه وموته وقيامته وصعوده وحلول روح قدسه على الكنيسة.

وتنقسم **قراءات قداس الآحاد** إلى **ثلاثة فصول**، كل منها يغطي بصورة عامة أربعة شهور. فشهور **الفصل الأول** (**توت** إلى **كيهك**) موضوعها الخاص المتصل بالخلاص هو "**محبة الله الآب**" وتدبيره للتجسد من أجل الخلاص، وشهور **الفصل الثاني** (بدءاً من **طوبة**) موضوعها

---

(٢) نحن في حاجة دائمة إلى متخصصين ودارسين يبنون على ما أسسه الآباء من نُظُم للقراءات، ويلقون الضوء على الأبعاد العميقة للكتاب عندما تُقرن أجزاؤه معاً ويتسع مفهومه. كما أنه من مسئوليتنا مراجعة كل ما بين أيدينا من كتب القراءات، وقد يكون هناك ما يمكن عمله بالتعديل أو التطوير ليؤدي إلى الأفضل. ومن المعروف أن هناك أجزاء من الإنجيل تتكرر كثيراً في القطمارس وأجزاء لا يتضمنها. وسيكون إنجازاً يُعتد به أن نسعى لأن يضم القطمارس كل العهد الجديد على مدى السنة الليترجية.

الخاص **"نعمة الابن الوحيد والفداء"**، وتشمل فترة الصوم الكبير وأسبوع الآلام والقيامة والخمسين والعنصرة، **والشهور الأربعة الأخيرة** (بدءاً من **بشنس** إلى نهاية العام القبطي) موضوعها **"شركة وموهبة الروح القدس وسر الكنيسة"** امتداداً من يوم العنصرة فصوم الرسل وخدمة الكنيسة الأولى وثمار الروح القدس والاستعداد للخروج من العالم.

أما عن **موضوع قراءات قداس الأيام** فهو - كما ذكرنا آنفاً - المناسبات الكنسية كما يوردها **السنكسار**. ففي تذكار البطاركة، على سبيل المثال، تكون القراءات عن **الرعاية والخدمة** [(٢تي ٣: ١- ٤: ٢٣؛ ١بط ٥: ١-١٤؛ أع٢٠: ١٧-٣٨؛ يو ١٠: ١-١٦ (الراعي الصالح)]؛ وفي تذكار **القديسات** تتعلق القراءات **بنساء الكنيسة وخدمتهن** [مت ٢٦: ٦-١٣ (مريم ساكبة الطيب)؛ يو ٤: ١٥-٢٤ (السامرية)؛ ١بط ٣: ٥-١٤ (الزينة الروحية)؛ أع ٥:٢١-١٤ (بنات فيلبس النبيات)؛ مت٢٥: ١-١٣ (العذارى الحكيمات)].

وسوف نلاحظ الطابع المصري للقطمارس في كنيستنا، فهو مرتبط أيضاً بظروف مصر البيئية والمناخية، كدولة زراعية تعتمد حياتها على النهر وفيضانه السنوي، الذي يأتي بالخير على الشعب والكنيسة. **فالفصل الأول** من السنة الليترجية (**توت - كيهك**) هو **فصل الزراعة** (وتتلى فيه أوشية الزروع والعشب ونبات الحقل)، و**الفصل الثاني** (**طوبة - برموده**) هو **فصل الحصاد** (وتطلب فيه الكنيسة من أجل أهوية السماء وثمرات الأرض)، و**الفصل الثالث** (**بشنس - مسرى**) هو **فصل الفيضان** (والصلاة فيه من أجل صعود مياه الأنهار).

ويلفت نظرنا، على سبيل المثال، اختيار **مثل الزارع** للأحـــدين الأول والثاني من شهر **هاتور** (في الفصل الأول)، وهو شهر نثر البذار في الأرض في بلادنا، فيتم التناغم بين الكلمة وواقع الحال. وكما صنع الرب وهـــو يسير بين الحقول، وأراد أن يتكلم عن **كيف تثمر كلمـــة الله**، اســـتخدم عناصر الطبيعة من حوله ليقترب من قلوب السامعين ويؤثر فيهم، فكـــان مدخله إلى الكلام هو **مثل الزارع**، وقابَل بين الزارع والبـــذار والأرض في المَثَل، وبين الله والكلمة وقلب السامع في التطبيق.

■ القراءات الثابتة والمتغيرة :

حتمت قوانين الكنيسة ألا يسبق **عيد قيامة الـــرب** أو يوافـــق **عيـــد الفصح** اليهودي غير الثابت (الذي يتبع التقويم القمري) بـــل أن يليـــه، باعتبار أن في **عيد القيامة** يـــتم الاحتفـــال بالمســـيح **فصـــحنا الجديـــد** (١كو ٥: ٧). بالتالي فإن موعد عيد القيامـــة مـــتغير، ويتـــراوح بـــين ٢٦ برمهات (٤ أبريل) في حده الأدنى و٣٠ برموده (٨مـــايو) في حـــده الأقصى، وتبعاً لذلك يتغير موعد بدء صوم نينوى وبدء الصوم الكـــبير (٨ آحاد) وأسبوع الآلام وعيد القيامة وعيد العنصرة (٨ آحاد).

يترتب عليه أن القراءات تتمايز بين الثابتة والمتغيرة. **فالثابتة** هي قراءات **الفصل الأول** (١٦ أحداً) وأول شهرين من **الفصل الثاني** (**طوبة وأمشير** – ٨ آحاد)، و**الفصل الثالث** (منتصـــف **بشـــنس** إلى نهايـــة الســـنة – ١٥ أحداً)، أما **المتغيرة** فهي المتعلقة بالفترة المشار إليها آنفاً.

إلى خدام الكلمة

لابد أن نؤكد في البداية على أهمية **"كلمة الله"** وسموها، فقد كانت الوسيلة التي اتصل بها الله بالبشر. وفي آخر الأيام أرسل الآب ابنه **"الكلمة"** Logos الذي بذل نفسه عن حياة العالم، وصارت **الكلمة** هي وسيلة الكرازة بالخلاص بحسب وصيته لتلاميذه ورسله قبل صعوده **"اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"** (مر ١٦: ١٥). هكذا انتشر **خدام الكلمة** في أنحاء الأرض يبشرون **"بيسوع"** (أع٨: ٣٥) ويذيعون كلمة الخلاص **"الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله"** (رو ١٠: ١٧). وبالكلمة شفوا مرضى وأقاموا موتى وأخرجوا شياطين وبها وصل الإيمان إلى أطراف المسكونة.

و**خدام الكلمة** اليوم هم الذين انتهت إليهم أواخر الدهور (١كو١٠: ١١) ويواصلون **خدمة التلاميذ والرسل** في الكرازة بالإنجيل.

والتعليم مسئولية كبرى. فمن فم الكاهن (وكل خادم حقيقي للكلمة) تُطلب الشريعة (حج ٢: ١١)، ولابد له إذاً أن يكون "**صالحاً للتعليم**" (١تي٣: ٢)، أي مؤهلاً تماماً لهذه الوظيفة الخطيرة. **وأول** هذه المؤهلات هو **حياته المسيحية الأمينة وخضوعه وطاعته لوصية الله بكل تدقيق**، التي تطالبه أن يقدم نفسه "**في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة**" (تي ٢:٧). **وثانيها** أن يكون عاكفاً على الكتاب بعهديه، دارساً وفاهماً، متتلمذاً على معلمي الكتاب ومفسّريه، عارفاً بلغات الكتاب وترجماته، جغرافيته وتاريخه، واثق الإيمان قادراً على الدفاع عن عقيدته، من أجل أن يقدم "**في التعليم نقاوة، ووقاراً، وإخلاصاً، وكلاماً صحيحاً غير ملوم**" (تي ٢: ٧، ٨).

ومن أجل مسئوليته أمام مخدوميه فهو لا يفسر كيفما أتفق، ولا يعتمد على فهمه الخاص، أو ينتزع الآية من سياقها، وإنما يقرن الآية بالآية فيفسر بعضها بعضاً. كما أن عليه أن يكون فاهماً لمنهج القراءات، وما يربط بين أجزاء قراءات القداس، سواء كان "**أحداً**" أو أحد "**الأيام**"، فتنكشف أمامه المعاني الخافية، بمعونة الملهِم الواحد وهو الروح القدس.

فإذا جئنا إلى لحظة الكلام على المنبر، فلابد أن يسبقها طلب معونة الروح بكل انسحاق واتضاع لكي يرسل هو الكلمة عند افتتاح الفم (أف٦: ١٩)، مصدِّقاً على كلام المعلم لتلاميذه "**لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم**" سواء كان الخادم يعظ، أو يُستجوَب عن إيمانه أمام القاضي (مت ١٠: ٢٠). ولكن لكي يكون التعليم عملياً فالمفترض في الخادم، كتلميذ مخلص، أن يُعدّ بكل جدية ما ينبغي قوله، وأن

يكون قد أختبر ما يتكلم به، وأن يُلزم نفسه به مع السامع، وهكذا يتاح للكلمة أن تكون "**حية وفعالة**" (عب ٤: ١٢) ويكون الكلام "**كل حين بنعمة مصلحاً بملح**" (كو ٤: ٦).

لا يليق إذاً بخادم الكلمة أن يقف بغير استعداد روحي وإعداد لائق لموضوعه لمجرد أن يملأ فراغاً ويقول كلاماً مرسلاً تلقائياً، أو يلجأ للمرح وإثارة الضحك لتسلية السامعين، لأنه بهذا يهدر عمل الله ويبدد الوقت الثمين الذي ينبغي تكريسه لتمجيد الله وتوظيفه بكل حكمة.

كما ينبغي أن يلتزم المتكلم بالوقت المعين بحسب ترتيب الخدمة، وأن يكون عدد النقاط التي يتناولها متناسباً مع الوقت، وإذا كان الوقت محدوداً فينبغي أن يدخل مباشرة إلى صلب الموضوع مع تقديم الجوانب الرئيسية في فصل الإنجيل.

ويتفق أيضاً مع الوقار، الذي يلزم أن يحيط بالكلمة، أن تُقرأ الآيات صحيحة وبوضوح يتيح للسامع متابعتها وفهمها، وبالتالي حفظها وترديدها. هذا يقتضي أن يكون المتكلم على دراية باللغة؛ وفي حالة اللغة العربية بالذات[1]، فعليه أن يلتزم بالتشكيل الصحيح فبغير ذلك يتغير المعنى[2]، وقد تصبح القراءة الخاطئة مجالاً للتندر، وهكذا يساء إلى كلمة الله بدل الخشوع أمامها وتوقيرها.

---

(١) بالمناسبة ينبغي مراجعة قطمارس القراءات في كنيستنا (باللغة العربية) لغوياً ومن ناحية الصياغة. فالأخطاء اللغوية، النحوية والإملائية، كثيرة. كما أن الترجمة تحتاج لتدقيق أكثر ومحاولة تقريبها من الترجمة العربية الشائعة (البيروتية).

(٢) هذه أمثلة لبعض الآيات والكلمات التي إن لم تُقرأ صحيحة تفقد معناها أو قد تتحول إلى الضد : "سمع يسوع أن يوحنا **أُسلم**" (مت٤: ١٢)؛ "الذي **أُسلم** من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥)؛ "ولا تَخُرْ إذا وبخك" (عب١٢: ٥)، "الذي إذ **شُتم** لم يكن **يَشتم** عوضاً" (١بط ٢: ٢٣).

القراءة الصحيحة ضرورية تماماً، كي يتاح فهمها والاستفادة منـــها، خاصة لو لم يتبعها شرح لها كالقراءات السابقة على فصل الإنجيل في كل قداس، ولا يصح أن يختار لقراءتها إلا من يعرف الكتاب ويـــتقن الـــتلاوة ويفهم ما يقول. وفي الأيام السالفة كان **المرتل**، الذي كان يُسمى **"المعلم"**، متابعاً لكل ما يُقرأ ويتدخل لكي يصحح الأخطاء. وفي أيامنا هذه يلزم أن يُمارَس هذا التوجّه سواء من الكاهن[٣] أو رئيس الشمامسة، فغضّ الطرْف عن أخطاء القراءة هو استهتار لا يليق بكلمة الله فضلاً عن أنه يـــؤدي إلى إشاعة الجهل والكتاب يحذر **"هلك شعبي من عدم المعرفة"** (هو ٤: ٦).

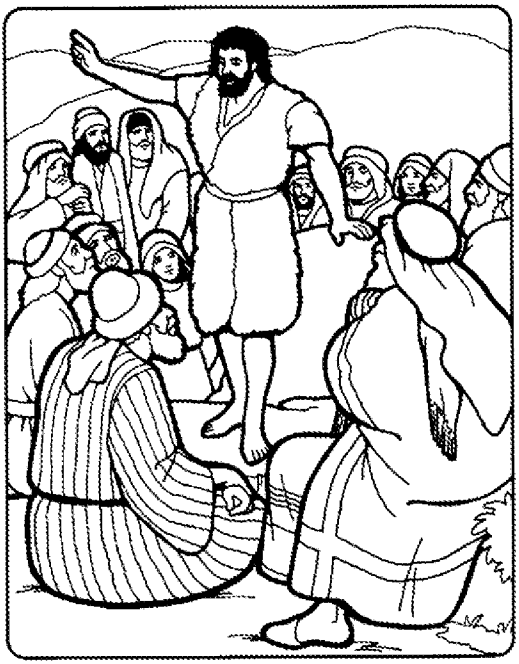

" توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات "

(مت ٣: ٢)

(٣) كان المتنيح **الأنبا غريغوريوس** في خدمته للقداس حريصاً على تصويب قـــراءات الشمامســـة وكان يُلزمهم أن يعيدوا القراءة صحيحة.

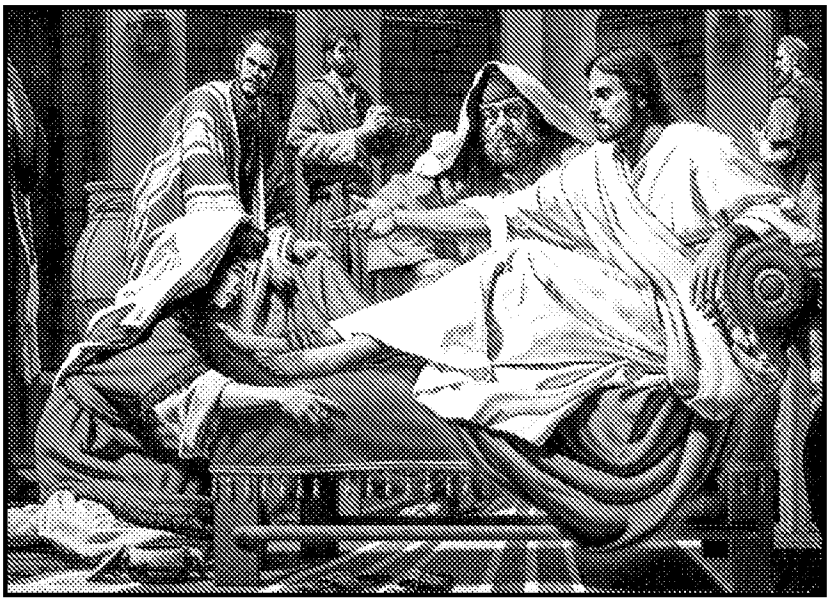

توبة المرأة الخاطئة

(انظر ص ٥٣)

أناجيل قداس آحاد شهر توت(*)

+ الأحد الأول : شهادة المسيح عن المعمدان

+ الأحد الثاني : الشاب الغني

+ الأحد الثالث : توبة زكا

+ الأحد الرابع : توبة المرأة الخاطئة

+ الأحد الخامس من أي شهر قبطي

(*) محور القراءات: محبة الله الشاملة للكل.

الأحد الأول من شهر توت

شهادة المسيح عن المعمدان

نبي العهدين

عشية مز ٣٠: ٤، ١٠ مت ١١: ١١-١٩
باكر مز ٣١: ١، ١٩ مت٢١: ٢٣-٢٧
البولـــــس: ١تي ١: ١٢-٢٧
الكاثوليكون: يع ١: ٢٢-٢٤
الإبركسيس : أع ١٣: ٢٥- ٣٢

مز ٣١ : ٢٣، ١٩

الإنجيل : لو ٧: ٢٨ - ٣٥

[٢٨]لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ». [٢٩]وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ سَمِعُوا وَالْعَشَّارُونَ بَرَّرُوا اللهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا. [٣٠]وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ وَالنَّامُوسِيُّونَ فَرَفَضُوا مَشُورَةَ اللهِ مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ، غَيْرَ مُعْتَمِدِينَ مِنْهُ. [٣١]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ:«فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الْجِيلِ؟ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ [٣٢]يُشْبِهُونَ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا. [٣٣]لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَلاَ يَشْرَبُ خَمْرًا، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. [٣٤]جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. [٣٥]وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا».

إنجيل قداس الأحد الأول من شهر توت يسجل شهادة الرب عن ملاكه الذي سبقه ليهيئ الطريق قدامه. وقد اختارت الكنيسة هذا الفصل في هذا الموعد القريب من بداية العام الجديد لتقويم الشهداء المصري **باعتبار القديس يوحنا المعمدان أول شهداء الإيمان المسيحي.** فهو وإن كان آخر أنبياء العهد القديم، فهو في نفس الوقت المُرسَل لإعلان العهد الجديد بمجئ **"حمل الله الذي يرفع خطية العالم"** (يو١:٢٩). **ففيه إذاً يلتقي ويتصل العهدان القديم والجديد.**

ونحن هنا نعرض لخدمة **القديس يوحنا المعمدان** ورسالته العظيمة التي ختمها بالدم، وشهادة الرب عنه وغيرها من الشهادات.

■ الشهادات عن يوحنا المعمدان :

(١) شهادة الأنبياء :

قبل **يوحنا** بأربعمائة وثلاثين سنة، كتب **ملاخي النبي** هذه النبوة عن الدور الذي اختارته ليوحنا خطة الله للإعداد لبُشرى الخلاص: **"هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه"** (مل ٣:١). وهي النبوة التي أشار إليها الرب في حديثه عن يوحنا: **"ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك"** (مت١١:١٠، لو٧:٧)، وذكرها **القديس مرقس** وهو يسجل **خدمة المعمدان** في بداية إنجيله (مر١:٢).

ومن قبْل **ملاخى النبي** بحوالى ثلاثة قرون، كتب **إشعياء النبي** عن رسالة **المعمدان** لشعب إسرائيل بأنه **"صوتُ صارخٍ** (وليس: صوتٌ صارخٌ) **في البرية: أعدّوا طريق الرب، قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا**

(اصنعوا سبله مستقيمة)، كل وطاء يرتفع (كل وادٍ يمتلئ) وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المُعوَجّ مستقيما والعراقيب سهلاً (والشعاب طرقاً سهلة) فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً (ويبصر كل بشر خلاص الله) لأن فم الرب تكلم" (إش ٤٠: ٣-٥).

فهو كمن يأتي في اللحظة الأخيرة الفاصلة لشعب يتهدده الهلاك منذراً أنه الوقت للرجوع والتوبة، ولصغار النفوس وللمتعالين وللمنحرفين والتائهين في دروب الأرض على السواء أن يتغيروا ويتهيأوا لاقتبال "خلاص الله" بالمسيح يسوع.

وقد استعاد **القديس يوحنا** هذه النبوة عن نفسه عندما سئل عمن يكون (يو١: ٢٣)، كما ذكرها الإنجيليون الثلاثة الأُول عند إشارتهم إلى دور **القديس يوحنا** في الكرازة بالمسيح (مت٣: ٣، مر١: ٣، لو٣: ٤-٦).

(٢) شهادة المسيح :

كان **يوحنا** - السجين في ذلك الوقت- قد أرسل اثنين من تلاميذه إلى يسوع وبحسب ظاهر الكلام فإنهما كان يحملان تساؤل يوحنا للرب : **"هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟"** (مت١١: ٣، لو ٧: ٢٠). ولكن واقع الكلام وملابسات الأحداث السابقة التي شهد **يوحنا** من خلالها للرب، وقام بعماده في الأردن، وسمع صوت الآب ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه (مت ٣: ١٦، ١٧، مر ١: ١٠، ١١)، تُوجِّه المعنى إلى أن **يوحنا** أراد لتلميذيه أن يتعرّفا على الرب ويقتربا منه، ويشهدا بنفسيهما ما يجريه من معجزات، وليدركا هما أن هذا هو **المسيح** الذي أتى لخلاص العالم،

وأن ينضمّا إلى جماعة تلاميذه خاصة وأن **يوحنا** كان في طريقه إلى الموت. فالسؤال مقدَّم بصيغة الجمع (ننتظر)، إذ لو كان السؤال من **يوحنا** كأن الشك – رغم كل شئ – قد داخله في حقيقة الرب، لكان السؤال بالمفرد (ينتظر). وحتى لو قيل إن **يوحنا** يتكلم أيضاً باسم تلاميذه وتابعيه، فهذا مستبعد أيضاً، خاصة أن الرب لم يترعج للسؤال ولم يُلق باللائمة على **يوحنا** ويعلن خيبة أمله فيه، بل على العكس طفق يمتدحه أمام جمهور كثيرون فيه يرفضون **يوحنا** ولا يعتمدون منه ويتهمونه أن به شيطان (لو ٧:٣٠، ٣٣)، وهذه كلماته: **"ماذا خرجتم لتنظروا. أنبياً. نعم. أقول لكم وأفضل من نبي.. لأني أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان"** (مت ١١:٩-١١، لو ٧:٢٦-٢٨). وأضاف أن **"هذا هو إيليا المزمع أن يأتي"** (مت١١:١٤، ١٧:١٢، ١٣، مر ٩:٣).

فهل هناك شهادة **لنبي** أعظم من هذه؟ إذ مَن الذي يشهد؟ إنه المُرسِل الأنبياء وديّان الأحياء والأموات. وعظمة يوحنا تأتي أنه كان الملاك المرسَل ليهيئ الطريق أمام من هو أعظم الجميع. (١)

(٣) شهادة الملاك جبرائيل :

هذا ما قاله **جبرائيل الملاك لزكريا الكاهن** وهو يبخّر في الهيكل مبشّراً إياه بميلاد **يوحنا** : "... **وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه**

---

(١) "ولكن "الأصغر" في ملكوت السموات أعظم منه" (مت١١:١١، لو٧:٢٨)، و"هوذا أعظم من يونان ههنا" (مت١٢:٤١، لو ١١:٣٢) و "هوذا أعظم من سليمان ههنا" (مت ١٢:٤٢، لو ١١:٣١).

بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبـــرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً" (لو١: ١٤-١٧).

فهو **"يمتلئ من الروح القدس"**، وهو يُوهَب " روح **إيليا** وقوته" حتى إنه بكرازته وندائه بالتوبة **"يرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب"**، كما **"يردّ قلوب الآباء إلى الأبناء"** الراجعين بعد الغياب، ومن جديـــد يعيـــد "العصاة إلى فكر الأبرار" ليحقق هدف إرساليته، سابقاً لملك الـــدهور، **أن "يهيئ للرب شعباً مستعداً"** لقبول دعوة الخلاص والإفلات من الموت.

(٤) شهادة زكريا الكاهن :

بعد امتلائه من الروح القدس تنبأ **زكريا الكاهن** عن ابنه **يوحنا** يـــوم مولده قائلاً ".. **وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه. لتعطي شعبه معرفة الخلاص لمغفرة خطاياهم بأحشـــاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المُشرَق من العلاء. ليضئ علـــى الجالســـين في الظلمة وظلال الموت. لكـــي يهـــدي أقـــدامنا في طريـــق الســـلام"** (لو١: ٧٦-٧٩).

فهو يسبق الزمن بثلاثة عقود منبئاً أن هذا الطفل ذا اليـــوم الواحـــد سيصير فيما بعد منادياً بالخلاص للشعب الذي افتقده الله بالنور الذي يضئ في الظلمة وظلال الموت.

(٥) شهادة الكنيسة :

في **"مجمع القديسين"** في القداس يأتي **يوحنا المعمدان** تالياً **للقديســـة مريم** والدة الإله (**القديس يوحنا المعمدان** السابق والصـــابغ والشـــهيد)، وسابقاً **للقديس اسطفانوس**، أول شهداء الكنيسة المسيحية، و**القـــديس**

مرقس أول شهداء كنيسة مصر. كما تأتي أيقونته على حامل الأيقونات وهو يعمد الرب في الأردن تالية مباشرة لأيقونة **المسيح ضابط الكل**. وكنيستنا تحتفل بعيد ميلاده في الثلاثين من بؤونة (قبل المسيح بستة شهور)، وبعيد استشهاده في الثاني من توت، وتختتم قسمة عيد الغطاس **وأعياد القديس يوحنا المعمدان** بالنداء **"يا يوحنا يا ابن الموعد: شفاعة من أجل خطايانا وذنوبنا"**.

فالكنيسة تقدمه لنا كسابق وصابغ (مُعمِّد) لمخلصنا، ونموذجاً عظيماً للتكريس والتجرد والالتزام والشجاعة في الحق والأمانة حتى الموت.

■ شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح:

كان **يوحنا** يدرك سمو من يهيّئ الطريق أمامه، وخطورة المهمة التي يؤدّيها في تقديم الرب إلى العالم الموضوع في الشرير وحثّه على التوبة وإعداد قلبه لقبول من أتى لخلاصه. والكتاب يسجل له هذه الشهادة المستفيضة:

"أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً (بمستحق) أن أحمل حذاءه (أنحني وأحلّ سيور حذائه)، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقّي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ" (مت ٣:١١، ١٢، مر ١:٧، لو ٣:١٦، ١٧، يو١:٢٦، ٢٧).

فالفرق بينهما هائل وهو يعترف به : فمعموديته بماء للتوبة، أما معمودية المسيح فبالروح القدس ونار؛ كما أن الرب هو الديّان الذي سيفرز القمح من التبن، والأول مكانه الملكوت (المخزن) والثاني مكانه

الهاوية حيث النار التي لا تُطفأ.

وهو يؤكد على ذلك بعد أن جاءه الرب ليعتمد منه فيقول **"هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله"** (يو١:٣٣، ٣٤).

وهو يحدد موقعه المتواضع من الرب الذي **هو "فوق الجميع"**، مُظهراً الفارق الكبير بينهما : إنه مجرد صديق العريس الذي يعلن فرحه ويقف بعيداً موجّهاً الأنظار كلها إلى المُحتَفي به وحده الذي جاء ليبقى ويمتد أثره إلى آخر الدهور، أما هو (أي يوحنا) فيختم رسالته ويتوارى :

"من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي قد كمل. ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص" (يو ٣:٢٩، ٣٠).

ومن ناحية أخرى، **فيوحنا** من الأرض ومن الأرض يتكلم، أما **يسوع** فهو من السماء ومن السماء يتكلم ويشهد بكلام الله، ولأنه من فوق فهو فوق الجميع، فمن يؤمن به ينال الحياة الأبدية، ومن يرفضه يسود عليه غضب الله ويطويه الموت الأبدي، وهذه هي كلماته:

"الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع، وما رآه وسمعه به يشهد.. ومَن قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق. لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله.. الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ في يده. الذي يؤمن

بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله " (يو٣:٣١-٣٦).

■ عن خدمة المعمدان :

حددت السماء رسالة **يوحنا المعمدان** وحصرتها في إعداد القلوب بالتوبة للخلاص الذي اقترب (مت ٣:٢)، وهي وهبته روح **إيليا** النبي الناري للتعامل مع الشعب المعاند غليظ الرقبة.

وهو "**يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا**" (لو٣:٣) "خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن **واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم**" (مت ٣:٥، ٦). ولكن لما تجاسر كثيرون من الفريسيين والصدوقيين وأتوا إليه كي يعتمدوا راكبين الموجة في نفاق مفضوح، لم يخش بأسهم بل واجههم بشجاعة زلزلتهم قائلاً : "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. **فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار**" (مت٣:٧-١٠، لو ٣:٧-٩).

إضافة إلى حثّه على التوبة، يسجل الكتاب أيضاً **للمعمدان** أنه في ردوده على أسئلة الجموع كان يجيب بما هو قريب من شريعة العهد الجديد كما جاء في موعظة الرب على الجبل : "**من له ثوبان فليعط من ليس له. ومن له طعام فليفعل هكذا..**"؛ ونبّه العشارين المعتمِدين منه أن يغيروا نهجهم "**لا تستوفوا أكثر مما فُرض لكم**"؛ ورد على أسئلة الجنود (رمز السلطة) قائلاً: "**لا تظلموا**

أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم" (أي لا تغريكم السلطة فتظلموا، واقنعوا بأجوركم ولا تطمعوا في الرشوة من المواطنين) (لو٣: ١٠-١٤).

■ نحن ويوحنا المعمدان :

(**١**) كانت رسالة **يوحنا** الرئيسية في إعداد الناس لاقتبال الخلاص هي **التوبة** (مت٣: ٢) كما كانت أيضاً رسالة الرب (مت٤: ١٧، مر١: ١٥)، وهي ما ينبغي أن تكون رسالة كل الخدام في كل عصر، وأن تكون التوبة وتسليم الحياة للرب محور كل عظة وألا تتحول إلى كلام مرسل يملأ الفراغ أو خبرات اجتماعية أو طرائف للتسلية والضحك. هذه خيانة لرسالة المسيح.

(**٢**) كان تجرد **يوحنا** واستقلاله عن العالم وذبول ذاته وتكريس نفسه لرسالته هو الذي وهبه القوة لقول الحق بغير خوف، فليس هناك ما يخشى عليه أو يتمسك به. فالذي واجه انحراف الشعب وتصدى لفساد الملك كان لا يملك شيئاً ويحيا في البراري ويقف متضعاً متصاغراً قدام الله:

"**يوحنا** هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً" (مت٣: ٤، مر١: ٦) "وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل" (لو ١: ٨٠) **"لست أهلاً أن أنحني وأحلّ سيور حذائه"** (مر١: ٧، لو٣: ١٦ ، يو ١: ٢٧) **"أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ"** (مت ٣: ١٤). فاتضاع الخادم وترفعه عن الدنايا وأشياء العالم هو ضمان نجاحه في مواجهة العالم الشرير بقوة وحصار الخطية من أن تتسلل إلى خدمته.

(**٣**) ظل **يوحنا** تابعاً لإلهه حتى الموت، لا يتراجع عن خدمته مهما كان الثمن. وكانت خدمته قصيرة ولكنها كانت مؤثرة، وانتهت حياته بالموت لوقوفه منادياً شجاعاً بالحق أمام هيرودس الذي غلبته شهوته، وكان الثمن أن

قُطعت رأس يوحنا. ولكن حياته ظلت مُلهِمة لكل الأجيال ولم يطوها النسيان. وعرفنا منه أن الشهادة للحق مكلفة جداً، وأن الالتزام بالمسيح طريق يؤدي إلى جسثيماني والصليب وربما الموت ولكن هذا كله لا يمس إلا الجسد، ونهايته إكليل البر والحياة (٢تي ٤:٨، رؤ ٢:١٠).

مجد الخادم الحقيقي هو في خدمته والذين انتزعهم من براثن إبليس، وليس له مجد آخر هنا. والقديس بولس يقول لقسوس أفسس **"لست أحتسب لشئ** (من الوثق والشدائد التي تنتظره) **ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله"** (أع٢٠:٢٤). وهو يقول لمخدوميه إنه ينسكب على ذبيحة إيمانهم وخدمته (في ٢:١٧) وإنهم يكونون رجاءه ومجده وفرحه وسروره وإكليل افتخاره في اليوم الأخير (٢كو ١:١٤، في ٤:١، ١تس ٢:١٩، ٢٠).

(٤) مثْل الرب، الذي عاش فقيراً بغير كيس (مت ١٧:٢٧)، أو مكان دائم يسند فيه رأسه ويبيت (مت ٨:٢٠، لو ٩:٥٨) عاش **يوحنا** متجرداً وقدم نفسه نموذجاً للخادم المترفع عن أموال العام. وفي الكنيسة الأولى يعلن **بطرس الرسول** أنه ليس له فضة ولا ذهب (أع ٣:٦)، ولما حاول سيمون الساحر شراء موهبة وضع اليد بالمال قال له **الرسول بطرس " لتكن فضتك معك للهلاك"** (أع ٨:٢٠). **والقديس بولس** يتكلم عن نفسه وجماعته فيقول **"كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ"** (٢كو ٦:١٠).

فالمال كفيل بقتل الخدمة وضياع الموهبة وهروب الروح، والتنعم وغرور الغنى هو نهاية كل خادم **"ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر"** (٢تي ٤:١٠).

هذا هو **يوحنا المعمدان**، القدوة والمثال في خدمة الخلاص والشـــهادة للحـــق والتحرر من قيود العالم. وهو بالإيمان عاش وفي الإيمان مات "**وبه وإن مات يتكلم بعد**" (عب ١١:٤).

المسيح يعتمد من
يوحنا المعمدان

الأحد الثاني من شهر توت

محبة الله والقريب

" افعل هذا فتحيا "

عشية مز ٧: ١٠، ١١ لو ٤: ٣٨-٤١
باكر مز ٨: ١، ٤ مر ١: ٣٥-٣٩
البولس : ٢ تي ١: ١٢-٢: ١٠
الكاثوليكون : يع ٢: ٥-١٣
الإبركسيس : أع ١١: ١٩-٢٦

مز ٢١: ١، ٢

الإنجيل : لو ١٠: ٢١ - ٢٨

(هو أيضاً موضوع إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر هاتور)

[٢١]وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بالرُّوحِ وَقَالَ:«أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ». [٢٢]وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ:«كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ». [٢٣]وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالَ: «طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ! [٢٤]لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكًا أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا».

[٢٥]وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً:«يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» [٢٦]فَقَالَ لَهُ:«مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟» [٢٧]فَأَجَابَ وَقَالَ:«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». [٢٨]فَقَالَ لَهُ:«بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. اِفْعَلْ هذَا فَتَحْيَا».

يأتي إلى الرب ناموسي يجرّبه سائلاً "**ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟**"(١) فيوجّهه الرب إلى المكتوب في الناموس "**كيف تقرأ؟**". ولأنه ناموسي يعرف الكتاب فقد أجاب بأهم الوصايا "**تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك**(٢)، **وقريبك مثل نفسك**"(٣) فقال له: "**بالصواب أجبت. افعل هذا فتحيا**" (لو١٠: ٢٥-٢٨)(٤).

وفي النص المقابل من **إنجيل معلمنا متى** يجيب الرب على سؤال عن أول كل الوصايا، فيتلو وصية محبة الله كاملة ويقول عنها "**هذه هي الوصية الأولى والعظمى**" **والثانية مثلها** (عظمى): "**تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء**" (لا١٩: ١٨؛ تث ٦: ٥؛

---

(١) تكرر نفس السؤال في موقف مشابه من شاب غني يصفه القديس لوقا أنه رئيس (مت١٩: ١٦-٢٢؛ مر ١٠: ١٧-٢٢؛ لو ١٨:١٨-٢٣)، فذكّره الرب بالوصايا، فأكّد حفظه لها منذ حداثته وماذا يعوزه بعد؟ فطلب منه الرب أن يبيع كل ماله ويوزعه على الفقراء فيكون له كنز في السماء ويتبع الرب حاملاً الصليب. فاغتم على القول ومضى حزينا لأنه كان غنياً جداً.

(٢) تث ٦: ٥، ١٠: ١٢، ١١: ١، ١٣، ٢٢، ١٣: ٣، ١٩: ٩، ٣٠: ٦، ١٦، ٢٠؛ مت٢٢: ٣٧؛ مر ١٢: ٢٠.

(٣) لا ١٩: ١٨؛ مت١٩: ١٩، ٢٢: ٣٩؛ مر١٢: ٣١؛ رو١٣: ٩؛ غل٥: ١٤؛ يع٢: ٨.

(٤) في بشارتي القديس متى (٢٢: ٣٥-٤٠) والقديس مرقس (١٢: ٢٨-٣٤) يأتي هذا اللقاء والحوار قبل أيام من صليبه ويكون السؤال للرب "**ما هي الوصية العظمى في الناموس** (أول الكل)".

مت٢٢: ٣٧-٤٠). وفي **إنجيل معلمنا مرقس** يختم الرب الوصيتين بقوله **"ليس وصية أخرى أعظم من هاتين"** ولما أمّن الكاتب السائل على كلام الرب ورآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له: **"لست بعيداً عن ملكوت الله"** (مر ١٢: ٢٩-٣٤).

■ الطريق إلى الحياة الأبدية :

الإجابة المباشرة لسؤال الناموسي عن الحياة الأبدية هي أنها في الحقيقة: في شخص **المسيح**.. لأن **الحياة الأبدية هي المسيح**، وفيه، وبه كما تشهد كلمة الله:

"أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو١٤: ٦)؛

"فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور أضاء في الظلمة" (يو١: ٤، ٥)؛

"وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣)؛

"وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة (zoe التي هي غير الحياة البيولوجية الحيوانية bios) **وليكون لهم أفضل** (حياة أبدية بعد القيامة)" (يو ١٠: ١٠)؛

"فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا (في ابنه)" (١يو ١: ٢)؛

"وهذه هي الشهادة (التي شهد بها الله الآب عن ابنه) **أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له**

ابن الله فليست له الحياة" (١يو٥: ١١، ١٢)؛

"وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية" (١يو ٢: ٢٥)؛

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو٣ :٣٦)؛

"لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦)؛

"**ولكي تكون لكم إذا آمنتم** (بالمسيح ابن الله) **حياة باسمه"** (يو٢٠: ٣١)؛

"ولا تريدون أن تأتوا إليّ تكون لكم حياة" (يو٥: ٤٠)؛

"لي الحياة هي المسيح" (في ١: ٢١)؛

"أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غل ٢: ٢٠)؛

"كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو٦: ٤٠).

■ الوصية والحياة الأبدية :

+ علاقة الوصية بالحياة الأبدية وثيقة ومباشرة.. **لأن الرب حاضر في كلمته "أنا ساهر على كلمتي لأُجريها"** (إر١: ١٢)، ففيها وحفظها وطاعتها الحياة الأبدية:

"الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يو٦: ٦٣)؛

"كلام الحياة الأبدية عندك" (يو٦: ٦٨)؛

"فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية" (يو٥: ٣٩).

+ ولأنها هي **حية** في ذاتها وفي حفظها نوهب الحياة:

"لأن كلمة الله حية وفعّالة.." (عب٤: ١٢)؛

"إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" (يو٨: ٥١)؛

"من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو٥: ٢٤).

+ ولأنها هي **قاعدة الإيمان** الذي ينجّي من الموت ويورث الحياة الأبدية: **"الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله"** (رو١٠: ١٧).

+ ولأنها **الطعام الباقي للحياة الأبدية** غذاء القلب والعقل والروح والذي يديم حياة الروح (الإنسان الباطن – رو٧: ٢٢، أف٣: ١٦):

"ليس بالخبز يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (تث٦: ١٣، مت٤: ١٤، لو٤: ٤)؛

"وجدت كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي" (إر ١٥: ١٦).

+ ولأنها **المحرّكة للتوبة** فتنقل من الموت إلى الحياة:

"فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا" (أع١٧: ٣٠)؛

"فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة، فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أع٢: ٣٧، ٣٨).

■ وصيتان هما كل الناموس :

كثّف الرب الناموس كله في وصيتي المحبة، بقوله للناموسي، بعد أن تلا الوصيتين، أن بهما **"يتعلق الناموس كله والأنبياء"**، ثم أردف بالقول **"افعل هذا فتحيا"**.

وعلى نهج الرب كتب **القديس بولس "لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس. لأن لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تشته (وإن كانت وصية أخرى) هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك... المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس"** (رو١٣: ٨-١٠) **"لأن الناموس في كلمة واحدة يُكمَل: تحب قريبك كنفسك"** (غل٥: ١٤) **"وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال"** (كو٣: ١٤).

وكتب **القديس يعقوب** في نفس السياق **"فإن كنتم تكمّلون الناموس الملوكي حسب الكتاب: تحب قريبك كنفسك. فحسناً تفعلون"** (يع٢: ٨، من الكاثوليكون).

■ المحبة أعظم الفضائل :

"المحبة قوية كالموت... مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفيء المحبة والسيول لا تغمرها. إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تُحتقر احتقاراً" (نش٨: ٦، ٧)؛

"المحبة لا تسقط أبداً... أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة. هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة" (١كو١٣: ٨، ١٦).

المحبة الحقيقية قيمة عظمى، ووجودها دليل على سكنى الله في المؤمن. وهي إحدى ثمار الروح القدس وهباته وعلامتها القدرة على العطاء والبذل إلى حد الشهادة والموت. والرب هو النموذج في الحب **"إلى المنتهى"** (يو١٣: ١)؛ **"حتى بذل.."** (يو٣: ١٦)؛ **"أطاع حتى الموت موت الصليب"** (في٢: ٨).

والرب جعل التضحية بالنفس والحياة من أجل الله والقريب أعظم مراتب الحب فقال **"ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه"** (يو١٥: ١٣). وهو بدأ بنفسه وقدمها على مذبح الحب من أجل خلاصنا. والشهداء من أجل الإيمان تضعهم الكنيسة في أعلى مرتبة بين القديسين لأنهم أحبوا كسيدهم.

■ عن محبتنا الله :

"المحبة هي من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة.. الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (١يو ٤: ٧، ٨، ١٦).

+ هي محبة تفوق محبتنا للكل :

"من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني. ومن أحب أباً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (مت١٠: ٣٧)؛

"إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو١٤: ٢٦).

+ هي محبة من كل الكيان :

"تحب الرب إلهك من كل قلبك (المشاعر والعواطف والوجدان)،
ومن كل نفسك (الميول والرغبات والآمال)،
ومن كل قدرتك (إمكاناتك وإرادتك وممتلكاتك)،
ومن كل فكرك (من نشاطك الذهني وقواك العقلية)" (لو١٠: ٢٧).

+ هي نبع كل محبة للغير وللفضائل :

– في محبتي لله تتصاغر كل محبة أخرى: العالم. الجسد. المال. الممتلكات

"إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (١يو ٢: ١٥).

– عندما أصير لله، لا يمكن أن أخضع لآخر أو لشيء: **"اثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها"** (غل ٥: ١).

– محبة الله هي مصدر كل محبة، وبالتالي فأنا أحب الكل بالضرورة لأني أحب الله. ومحبتي له تحفظ محبتي لهم من الإنحياز أو الذبول أو الارتداد إلى الذات.

– عندما نحب الله، ننشد تلقائياً الكمال والقداسة، وننحاز إلى الحق والعدل، ونسلك بالرحمة والوداعة واللطف والاتضاع والاستقامة.

■ لماذا ينبغي أن نحب الله؟

(١) لأننا مديونون له بوجودنا وحياتنا وخلاصنا ولأنه عيّننا للتبني في ابنه فصرنا ندعى أولاد الله. نعم هو أحبنا أولاً :

"بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا... نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو٤: ٩، ١٠، ١٩)؛

"انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" (١يو٣: ١) ؛

"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون لي الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦)؛

"فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه، ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٧، ٨).

(٢) لأنه في "**محبة الله والقريب**" تجتمع كل الوصايا لأنها تكميل الناموس. فمحبتنا لله تتضمن عبادته ومخافته وخدمته والكرازة باسمه والتضحية من أجله والتألم معه"**إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه**" (رو٨: ١٧). ومحبتنا لله إذاً هي علامة الولادة الجديدة والحياة في الإيمان وفي الروح فهي أولى ثماره (غل٥: ٢٢).

(٣) لأن مآلنا في النهاية عنده إذ "**ليس لنا هنا مدينة باقية لكن ننتظر العتيدة**" (عب١٣: ١٤) فكيف سنستوطن عند من لا نعرفه أو نحبه.

(٤) لأن المحبة هي أعظم الفضائل وهي التي ستظل ثمارها في الأبدية **لن تسقط أبداً** (١كو ١٣: ٨).

■ علامات محبتنا لله :

+ **محبة الوجود مع الله** والاقتراب منه والحديث معه والاتحاد به والسكنى عنده في النهاية (الصلاة – العبادة – التأمل – محبة بيت الله – عدم خوف الموت والتطلع إلى الملكوت).

+ **قراءة الكلمة** وحفظ الوصية والالتزام بها دليلاً ومنهاجاً للحياة (التقوى والقداسة):

"**إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي.. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً**" (يو ١٤: ١٥، ٢١، ٢٣)؛

"**من حفظ كلمته فحقّاً في هذا قد تكملت محبة الله**" (١يو٢: ٥)؛

"**هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه**" (١يو ٥: ٣)؛

"**أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به**" (يو ١٥: ١٤).

+ **التوبة** : التي هي تجديد للمحبة بعد الخطأ والعناد **"ألستم تعلمون أن محبة العالم عداوة لله"** (يع ٤:٤).

+ **احتمال الآلام** من أجله وقبول الاضطهاد بفرح **"وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله"** (في ١: ٢٩)، والتمسك بمحبته رغم الضيقات **"من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف.. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا"** (رو٨: ٣٥، ٣٧).

+ **محبة الحق "وتعرفون الحق والحق يحرركم"** (يو٨: ٣٢).

+ **محبة القريب**، التي هي الدليل العملي الذي لا يخيب:

"بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة.." (١يو٣: ١٦)؛

"إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره. ولنا هذه الوصية أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً" (١يو٤: ٢٠، ٢١).

■ عقبات محبة الله :

يناويء محبةَ الله محبةُ الذات وشهواتُ الجسد ورغباته ومحبةُ العالم والمال والعادات والخطايا المحبوبة:

"من يحب نفسه يهلكها (يقودها إلى الموت الأبدي) **ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية"** (يو١٢: ٢٥)؛

"اهتمام الجسد هو عداوة لله" (رو٨: ٧)؛

"يا محبي الرب ابغضوا الشر" (مز٩٧: ١٠) (هذه بغضة مطلوبة

وعلامة نجاح التوبة)؛

"إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة"؛

"أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله؟ فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله" (يع ٤:٤).

■ "افعل هذا فتحيا":

هذا ما قاله الرب في الختام للناموسي. فالمهم أن نفعل ونمارس **"لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"** (١يو٣: ١٨) (ولذلك قدّم **مثل السامري الصالح**.. فالمهم ممارسة الوصية لا مجرد ترديدها)، وإن كنا مسيحيين فعلاً كما دُعينا (أع١١: ٢٦، من الإبركسيس) فالمحبة لابد أن تكون بالعمل والحق.

ولكن كيف؟ هل يمكن لنفس **الذات**، التي هي إحدى العقبات، أن تسهم بجهدها وتنجح في مقاومة نفسها، وتنجح أن تحب الله والقريب (لو كان الأمر كذلك، ما كان أهونه).

بعض الذين استصعبوا كلام المسيح قالوا في حيرتهم **"فمن يستطيع أن يخلص، فقال غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله"** (لو١٨: ٢٦، ٢٧). و الرب قال في حديثه الأخير لتلاميذه **"لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو١٥: ٥). وقال لبولس الذي يعاني من شوكة في الجسد **"تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل"** (٢كو١٢: ٩). فنحن نحتاج إلى معونة الله كي نقدر أن نحبه.

فلنعتمد على عمل **نعمة الله** الغنية، ولنتوسل إلى **الروح** الـــذي يغيّـــر الحياة، ولنصلي إلى القدير كي تنحاز إرادتنا إلى إرادة الله "**يارب قـــدس إرادتي**"، وقتها تنفتح النفس على مخلصها ويمتليء القلب **بمحبـــة الله** بعـــد الإهمال والفتور، وتسقط الحواجز مع كل البشر ليمثلوا لنا "**القريب**" الذي نرى فيه شخص المسيح والجدير بمحبتنا وخدمتنا بحسب الوصية.

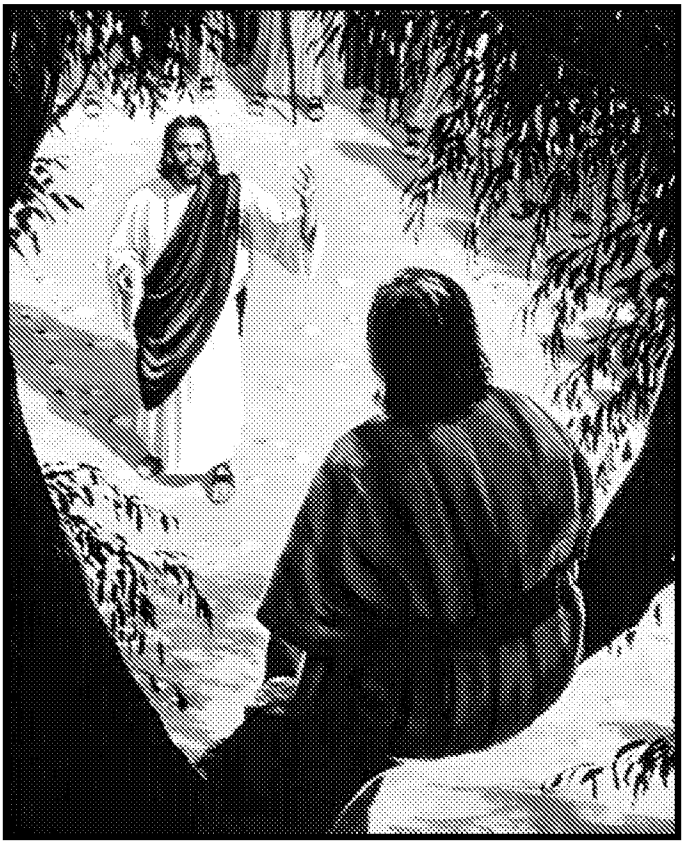

" يا زكا، اسرع وانزل، لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك " (لو ١٩: ٥)

الأحد الثالث من شهر توت

توبة زكا

" اليوم حصل خلاص لهذا البيت "

عشية مز ٩: ١، ٢ مر ١: ٢٩-٣٤
باكر مز ٩: ١٠، ١١ مت ٨: ٥، ١٣
البولس : ١كو ٢: ١٠-١٦
الكاثوليكون : ١بط ١: ١٣-٢١
الإبركسيس : أع ٩: ٢٢-٣١

مز ١٨: ٤٦، ٤٩

الإنجيل : لو ١٩: ١ - ١٠

(هو أيضاً إنجيل قداس الأحد الرابع من شهر أمشير)

[1]ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَازَ فِي أَرِيحَا. [2]وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ زَكَّا، وَهُوَ رَئِيسٌ لِلْعَشَّارِينَ وَكَانَ غَنِيًّا، [3]وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ، وَلَمْ يَقْدِرْ مِنَ الْجَمْعِ، لأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. [4]فَرَكَضَ مُتَقَدِّمًا وَصَعِدَ إِلَى جُمَّيْزَةٍ لِكَيْ يَرَاهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ. [5]فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْمَكَانِ، نَظَرَ إِلَى فَوْقُ فَرَآهُ، وَقَالَ لَهُ:«يَا زَكَّا، أَسْرِعْ وَانْزِلْ، لأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ». [6]فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحًا. [7]فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذلِكَ تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ». [8]فَوَقَفَ زَكَّا وَقَالَ لِلرَّبِّ:«هَا أَنَا يَارَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ

أَضْعَافٍ». [٩]**فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ،** [١٠]**لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ».**

كان الرب قادماً من الجليل في طريقه إلى أورشليم فاجتاز في **أريحا**[١]، ولكن هذا الأمر لم يأتِ عفواً، وإنما كان مقصوداً. فقد كانت عينا الرب على إنسان أحَبَّه قبل أن يلتقيه، وكان يُدرك أشواقه، وأراد أن يُحقِّق له مبتغاه أن يراه ويعرفه.

وها هو الرب يأتي إلى أريحا للمرة الأخيرة للقاء **زكَّا**، فالصليب في انتظاره بعد أيام.

■ زكَّا والمسيح:

ربما سمع "**زكَّا**[٢]" عن المسيح من زميل له اسمه "**لاوي**" دعاه الرب لكي يتبعه، فترك كل شيء وقام وتبعه وصنع له ضيافة كبيرة في بيته حضرها عشَّارون كثيرون[٣]، وأن الرب ردَّ على تذمُّر الكتبة والفرِّيسيين

---

(١) **أريحا** "Jericho" ("يريحو" بالعبرية، وتعني مدينة القمر أو العطر) تُعتبر أقدم مدينة في العالم ظلت مأهولة إلى اليوم. وهي أول مدينة دخلها بنو إسرائيل بعد الخروج من مصر وعبور الأردن إلى غربه بقيادة يشوع (يش ٢: ٦) وتقع شمال شرقي "**القدس**" وشمال "البحر الميت"، والبحر الميت مع أريحا يقعان في أدنى نقطة على الأرض التي نحيا عليها (٤٢٣ متراً و٢٤٧متراً تحت سطح البحر على التوالي). ومن الآثار التي توجد اليوم في **أريحا** بيت **راحاب** التي قبلت الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع (يش ٢: ١؛ مت ١: ٥؛ عب ١١: ٣)، وعين (نبع) أليشع النبي الذي كان ماؤها مالحاً فصار حلواً (٢مل ٢: ١٩-٢٢) وتُستخدم حتى اليوم، و**جبل التجربة** أو **القرنطل** (أي الأربعين Quarante، إشارة إلى الأيام التي صامها الرب عليه) وعليه دير كبير للروم الأرثوذكس، و**شجرة زكَّا** الوارفة، كما يوجد بها أربعة أديرة قبطية: دير مار زكَّا المُقام مكان بيت زكَّا وبه كنيسة قبطية من القرن الرابع وفيها قبر زكَّا وعائلته، وثلاثة أديرة باسم مار يوحنا والأنبا أنطونيوس والأنبا بيشوي. وكان اليهود الذين يأتون من الجليل إلى أورشليم يتفادون طريق السامرة، ويعبرون الأردن شرقاً إلى **بيرية** ثم يعبرونه غرباً إلى **أريحا**. وهو على الأرجح خط سير السيد مع تلاميذه حيث التقوا بالجموع وصعدوا معهم إلى **بيت فاجي** وهي قرية مشهورة بالتين fig.

(٢) **زكَّا**: عبرية، بمعنى النقي أو الذكي.

(٣) بل إنه ربما سمع عن عشَّارين كثيرين اعتمدوا من يوحنا، وآخرين يلتفون حول الرب ليسمعوه (لو ٣: ١٢؛ لو ٧ ٢٩؛ لو ١٥: ١).

أنه يأكل مع عشَّارين وخطاة قائلاً: "**لا يحتاج الأصحَّاء إلى طبيب بل المرضى. لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة**)" (مت ٩: ١٢،١٣؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣١،٣٢). وأحسَّ أن الرب فاتحٌ قلبه للخطاة والعشَّارين من أمثاله[٤]، فلما رأى الجمع المحتشد وسمع مَن يقول إنه "**يسوع**"، شعر أن الفرصة قد سنحت. ولكن أمام هذه الأعداد التي حجبت عنه شخص الرب كانت هناك أيضاً عقبة أخرى أمام **زكَّا** غير الزحام، أنه كان قصير القامة ولكنه كان قد وضع في قلبه ألاَّ يسمح لهذه الفرصة أن تفلت.

رغم أن **زكَّا** "كان غنياً" (لو ١٩: ٢)، لكن يبدو أنه لم يكن راضياً سعيداً. فقد كان يُدرك أن أكثر ما عنده من مال وممتلكات كان ظلماً ونهباً. فهو كرئيس للعشَّارين كان مسئولاً أن يضمن للحاكم الروماني أن يحصل على ضرائبه كاملة، فإن قلَّت الحصيلة فعليه أن يستكملها له من ماله، ثم يضغط بالتالي على مرءوسيه من العشَّارين لكي ينتزعوا العشور من الناس قسراً ليستردَّ ما أعطاه أضعافاً. وإذا كان اليهود يبغضون العشَّارين حتى أنهم يقرنونهم دائماً مع الخطاة والزواني والوثنيين (مت ٩: ١٠،١١؛ ١١: ١٩؛ ١٨: ١٧ ٢١: ٣١،٣٢؛ مر ٢: ١٥،١٦؛ لو ٥: ٣٠؛ ٧: ٣٤)، فإن رؤساء العشَّارين كانوا مكروهين من الناس ومن العشَّارين أيضاً.

لم يُبال **زكَّا** بالعقبات وهانت عليه كرامته، ولم تشغله شماتة الناس فيه والسخرية منه، فقد كان قد وطَّد العزم وقرر أن يسبق الجمع القادم وأن

---

(٤) ولا ننسى أن مَتَّل الفرِّيسي والعشَّار يدين البر الذاتي ويفتح الباب للمنكسرين التائبين، فالعشار نزل إلى بيته مُبرَّراً (لو ١٨: ١٤).

يتسلَّق شجرة جميز كالأطفال حتى يصير أعلى من الكل. ولما استقرَّ فوق، قبع في مكانه في انتظار وصول الرب حيث كان.

■ "أسرع وانزل":

ها هو **زكَّا** أخيراً، والبهجة تجتاحه، يرى مَن اشتاق أن يراه "مَن هو". ولكن ما جرى فيما بعد هو ما لم يكن يتوقَّعه. فرغم الجمع الكبير المُحيط بالرب كانت عينه على **زكَّا**. فقد اجتاز في أريحا هذه المرة الأخيرة خصيصاً من أجله. وعندما بلغت المسيرة الشجرة التي تحمل زكَّا، رفع الرب عينيه إلى فوق لتلتقي بعيني زكَّا غير المصدِّق، ويقول له القول المفاجأة: "**يا زكَّا**". "يا إلهي إنه يعرف اسمي"! نعم، فهو يعرف خرافه الخاصة بأسمائها ويُخرجها وهو يتقدَّمها وهي تتبعه لأنها تعرف صوته (يو ١٠: ٣،٤) [٥]. ثم كانت الدعوة المُدهشة التي تكشف عن غنى جود الله وقدرته أن يعطي أكثر مما نفتكر: "**أسرع وانزلْ، لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك**"[٦].

كم هو عسيرٌ على ذوي الأموال (لو ١٨: ٢٤) والمواقع الرفيعة، وأصحاب الشهرة، والمتقدِّمون في كل مجال؛ أن يُسرعوا لتلبية دعوة الرب وينزلوا من عليائهم، وتتغيَّر حياتهم وأهدافهم، فتتصاغر في عيونهم قيمة

---

(٥) كما عرف **نثنائيل** (**برثلماوس**) (يو ١: ٤٨) ورآه وهو تحت التينة، والكتاب يُشير إلى دعوة الله المُسبقة لخدامه: "**قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجتَ من الرَّحم قدَّستك. جعلتك نبيّاً للشعوب**" (إر ١: ٥)، والقديس بولس يُسجِّل عن نفسه: "**لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته**" (غل ١: ١٥).

(٦) ليس غريباً أن يدعو الرب نفسه ليكون ضيفاً في بيت زكَّا ويقضي الليل عنده، فهو الذي يقول إنه واقف على الباب ويقرع: "**إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي**" (رؤ ٣: ٢٠) فهذا هو نهجه. وهو الذي أحبنا أولاً (١يو ٤: ١٩) وجاء لخلاصنا من الموت، وهو دائماً صاحب الدعوة: "**تعالوا إليَّ**" (مت ١١: ٢٨)، وهو الذي تقدَّم ودعا تلاميذه للخدمة، بل هو الذي أتى إلى زكَّا ولم يأتِ زكَّا إليه.

الممتلكات، وصُحْبة الكبار، ومجد الناس[٧]، وصخب الشهرة والإعلام، ولذّات الجسد وشهواته، وتعظُّم المعيشة وغرور الغِنَى. ولكن قوة الرب تُكْمَل في الضعف (٢كو١٢: ٩) ومعونته كفيلة بإزالة العقبات. **فنيقوديموس** بعد التحفُّظ والتستُّر والمجيء للرب ليلاً (يو ٣: ٢)، دافع عن الرب في المجمع (يو ٧: ٥١). ومثله **يوسف الرامي** "وهو تلميذ يسوع، ولكن خُفْيةً لسبب الخوف من اليهود" (يو ١٩: ٣٨). لكنهما في نهاية المطاف تحمَّلا عار المسيح، وقت أن انفضَّ عنه الكثيرون، وأخذا جسده وكفَّناه ووضعاه في قبر جديد ليوسف الرامي (مت ٢٧: ٦٠؛ مر ١٥: ٤٦؛ لو ٢٣: ٥٢،٥٣؛ يو ١٩: ٤٠)[٨]

وكم هو عسيرٌ على أصحاب العقائد المُخالفة في أيامنا هذه أن يُعلنوا إيمانهم وهم مَن تنتظرهم الخسائر المخيفة: مقاطعة الأهل، واضطهاد الدولة، وفقدان العيش، وحصار المجتمع وبغضته، وقبل هذا وبعده تهديد الحياة ذاتها. ولكن مساندة الرب لهم ووعوده التي لا تسقط (مت ١٩: ٢٩؛ مر١٠: ٣٠؛ لو ١٨: ٢٩،٣٠) هي التي تجعلهم يعبرون كل هذه العقبات، حتى لو اضطروا إلى النزوح من الوطن والعيش متغرِّبين إلى نهاية الأيام. ولكن إعلان إيمانهم يصير فرحهم، ونجاتهم من الموت هي جائزتهم بعد المعاناة: "**فكل مَن يعترف بي قدَّام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات (قدام ملائكة الله)**" (مت ١٠: ٣٢؛ يو ١٢: ٨).

---

(٧) "**آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم لسبب الفرِّيسيين لم يعترفوا به** (علناً) **لئلا يصيروا خارج المجمع، لأنهم أحبُّوا مجد الناس أكثر من مجد الله**" (يو ١٢: ٤٢،٤٣).

(٨) ولكن كثيرين ساندتهم النعمة فعبروا المصاعب من كل نوع إلى الإيمان: **المرأة الخاطئة** (لو ٧)، **المرأة الزانية** (يو ٨)، **قائد المئة** (مت ٨: ٥-١٣؛ لو ٧: ٢-١٠)، **كرنيليوس** (أع ١٠)، **شاول الطرسوسي** (أع ٩)، **الملك قسطنطين، القديس أُغسطينوس، موسى الأسود، مريم المصرية، مكسيموس ودوماديوس**، وغيرهم.

■ "فأسرع ونزل وقَبلَه فَرحاً" :

هذه الاستجابة الفورية تكشف عن استعداد زكَّا المُسبق وشوقه لهذه الساعة. ونزوله للقاء الرب كان رمزاً للتخلِّي عن كل تحفُّظ، سواء في داخله أو تحسُّباً لردود أفعال الآخرين من الأعداء والأصدقاء على السواء. وربما التقط كلمات البعض الذين تذمَّروا على المسيح الذي اختار أن يبيت عند "رجل خاطئ"، كما هو في نظرهم.

■ توبة "بالعمل والحق" :

الآن تأتي علامات صدق التوبة والإيمان. لقد كان دخول الرب إلى بيت زكَّا إعلان قبول الرب لتوبته. وكما جرى فرح في السماء كانت الوليمة تُعدُّ على قَدم وساق، والفرح يملأ قلوب أهل البيت. وفي هذه الأثناء، أو ربما بعد أن أكلوا، يقف زكا يُعلن صدق توبته أمام الرب وكل مَن في البيت. فلم يكن الأمر مجرد ضيافة أو مجاملة ومحبة "بالكلام واللسان" وإنما هي توبة **"بالعمل والحق"** (١يو ٣: ١٨).

وها هو يُعلن تعهُّداته الفورية: **"ها أنا يا ربُّ أُعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنتُ قد وشيتُ بأحد أرُدُّ أربعة أضعاف"** (لو ١٩: ٨).

ها هو يُعطي - ويُعطي بسخاء - بعد أن كان دائماً يأخذ فقط، وها هي النعمة تكشف له كم أنه **"مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأَخْذ"** (أع ٢٠: ٣٥). وفي تعهُّده يعترف بما اقترفه من قبل مِن الأَخْذ الحرام، وأن يردَّ ما سلبه بأكثر كثيراً مما جاء في الكتاب [حسب الوصية (لا ٦: ٥؛ عد ٥: ٧) مرة وخُمس مرة، وهو هنا يردُّ أربعة أضعاف[٩]].

---

(٩) وهو ما حَكَمَ به الملك داود على الغَني الذي طمع في نعجة الفقير الوحيدة ليُقدِّمها لضيفه في المَثل الذي ساقه ناثان للملك داود لكشف خطيته (٢صم ١٢: ٦).

وفوق هذا فهو سيهب أيضاً نصف أمواله للمساكين. وها هو استطاع بالنعمة أن يتحرر من سيطرة ماله، وهذا هو الغِنَى الحقيقي: "ألا يتسلَّط عليك شيء" (١كو ٦: ١٢).

لقد تغيَّر زكَّا بالفعل، وتحوَّل إلى حياةٍ جديدة. ومثله كل مَن تفوق محبتُه لله محبَتَه لذاته وماله، وهكذا يمكن وقتها أن يتخلَّى عن الملايين أو البلايين بغير إعلان، كما يفعل البعض في عالمنا المعاصر بمعونة النعمة **"الذين أسماؤهم في سِفْر الحياة"** (في ٤: ٣).

■ "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" :

ثم يأتي الإعلان الإلهي ليُتوِّج الخلاص الذي ناله زكَّا عندما تخلَّى عن حياته وتبع الرب: **"اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم"** (لو ١٩: ٩). وواضح أن كلمة "ابن إبراهيم"[١٠] تُشير أن الخلاص هنا يختص أساساً بزكَّا الذي أعلن إيمانه، ولكن الخلاص سيفيض على كل أعضاء بيت نال فيه رب البيت الخلاص بدءاً من رفيقة الحياة إلى الأولاد والبنات الذين يتعلَّمون من والديهم المؤمنين ويقتفون أثرهم. وأطفال المؤمنين ينالون العماد ويتمتعون برعاية الوالدين إضافة إلى تعليم الكنيسة، إلى أن يشبُّوا عن الطوق ويتحمَّلوا مسئولية إيمانهم أمام الله كبالغين، وفي الكتاب أمثلة كثيرة على هذا الإيمان الجماعي للعائلة [١١].

---

(١٠) إبراهيم هو أبو جميع المؤمنين (رو٤: ١١)، يهوداً وأُمماً، بما فيهم نحن، والله يريد أن الكل يخلصون (١تي ٢: ٤).

(١١) من هذه الأمثلة: بيت قائد المئة: **"فآمن هو وبيته كله"** (يو ٤: ٥٣)، بيت كرنيليوس: **"حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة... وأمر أن يعتمدوا باسم الرب"** (أع ١٠: ٤٤،٤٨)، وبيت حافظ سجن فيلبِّي: **"آمِن بالرب يسوع فتخلُص أنت وأهل بيتك... واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون"** (أع ١٦: ٣١-٣٣).

وفي عالمنا المعاصر فإنَّ دخول واحد من "الذين هم من خارج" إلى الإيمان بالمسيح كثيراً ما يكون البداية لحياة جديدة لسائر أفراد العائلة، وكما يذكر الكتاب فإنَّ **"خميرة صغيرة تُخمِّر العجين كله"** (١كو ٥: ٦؛ غل ٥: ٩). والقصص كثيرة تعبُر الآفاق وتُشدِّد الإيمان.

الرب في وسطنا وهو يعرف أسماءنا، ويُنادي كلاً منَّا: **"أسرِعْ"**، **"هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص"** (إش ٤٩: ٨؛ ٢كو ٦: ٢)، والوقت مقصَّر ولا نعرف متى تكون الساعة الأخيرة **"وانزِلْ"** فلن ينال أحدنا شيئاً وهو "فوق" متعالياً بعيداً، متكبِّراً متثاقلاً، حاسباً النفقة والخسائر من جهة الجسد والناس والمجتمع ومتغافلاً عن المصير الأبدي.

وهو يدعو نفسه ليكون ضيفنا، فلنقبل دعوته، ولنفتح الباب كي يدخل إلينا ففي رفقته السلام والفرح. فلنستجب لندائه بالتوبة (مر ١: ١٤)، فهي الطريق الإلهي للحياة الأفضل والنمو في معرفة الله. وستظل التوبة هي نهج الحياة لتتميم الخلاص حتى المنتهى (مت ٢٤: ١٣؛ مر ١٣: ١٣؛ في ٢: ١٢).

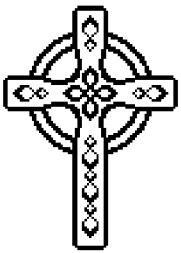

الأحد الرابع من شهر توت

توبة المرأة الخاطئة

" لأنها أحبت كثيراً "

عشية مز ٣٣: ٤، ٥ مت ٩: ١٨-٢٦
باكر مز ٣٣: ٢٠، ٢١ مت ١٥: ٢١-٢٨
البـــولـــس : ٢كو ١: ١-١٤
الكاثوليكون : ١يو ٣: ٨-١٢
الإبركسيس : أع ٩: ٣٦-٤٢

مز ٢٨ : ٩، ١٠

الإنجيـل : لـو ٧ : ٣٦ - ٥٠

[٣٦]وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ. [٣٧]وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ [٣٨]وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. [٣٩]فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً:«لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ». [٤٠]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:«يَاسِمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ». فَقَالَ:«قُلْ، يَامُعَلِّمُ». [٤١]«كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. [٤٢]وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟» [٤٣]فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ:«أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ

بالأَكْثَرِ». فَقَالَ لَهُ:«بالصَّوَابِ حَكَمْتَ». ٤٤ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ:«أَتَنْظُرُ هذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. ٤٥قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. ٤٦بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ. ٤٧مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً». ٤٨ثُمَّ قَالَ لَهَا:«مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ». ٤٩فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ:«مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟». ٥٠فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ:«إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اذْهَبِي بِسَلاَمٍ»

لم يكن غريباً أنَّ الرب كلِّي القداسة يُجالس العشَّارين والخطاة لأنه لهذا جاء، ولأنهم مَن يحتاجون إليه. فالطبيب ليس للأصحَّاء (أو مَن يظنون أنهم كذلك)، وإنما هو للمرضى (ومَن يقرُّون أنهم كذلك). الرب أظهر لهم حبه، وأعطاهم رجاء في حياةٍ أفضل.

ولكنه لم يكن يرفض دعوة غيرهم. وإذا كان أكثر الفرِّيسيين يضيقون به وينتقدونه، ولكنه كان يسعى إليهم، فهُم عنده أيضاً "**أولاد إبراهيم**" (لو ١٩: ٢٩؛ رو ٤: ١٦؛ غل ٣: ٧) ولهم حق فيه، وهو يريد أن يقودهم هم أيضاً –وهم الواثقون بأنفسهم أنهم أبرار (لو ١٨: ٩) – إلى التوبة ونوال الخلاص.

وهكذا لبَّى الرب دعوة **سمعان الفرِّيسي**(١) ليأكل عنده. فدخل بيته، وكعادة الجلوس في ذلك الزمان، اتَّكأ الرب على وسادة أمام مائدة منخفضة وثنى ساقيه أو مدَّهما خلفه.

---

(١) هو غير **سمعان الأبرص** (وهذا صار لقبه بعد أن شفاه الرب من برصه، إذ يمتنع التعامُل مع الأبرص)، الذي حضر الرب في بيته (في بيت عنيا) حفل عشاء ابتهاجاً بإقامة لعازر، حيث دهنت **مريم أخت لعازر** رأس الربِّ وقدميه بالطِّيب ومسحتهما بشعر رأسها (مر ١٤: ٣-٩، يو ١٢: ١-٨). وهو لم يكن فرِّيسياً (فلا يمكن للأبرص أن يكون فرِّيسياً حتى لو شُفِيَ من برصه). ومذكور في الكتاب (لو ١١: ٣٧-٤٤) أنَّ الرب قَبِلَ دعوة غداء عند فرِّيسي آخر، الذي أخذ على الرب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء.

■ " امرأة فى المدينة كانت خاطئة " :

ولكي يكتمل أبطال هذه الواقعة البارزة في إنجيل معلِّمنا لوقا، تدخل إلى البيت **"امرأة في المدينة كانت خاطئة"**[٢]، فهي امرأة يعرفها الجميع في المدينة الصغيرة[٣].

ونفهم من النص أن حياتها تغيَّرت، وأنها توقَّفت عمَّا كانت تُمارسه، واختبرت توبة على يدي الرب. متى وكيف؟ فهل هي التقت بالرب من قبل؟ أم أنها سمعته أو سمعت عنه، وسلَّمته حياتها الجديدة؟ كما يبدو فقد بَقِيَت تترقَّب فرصة للقائه، كي تُعبِّر عن امتنانها وشُكرها لَمن نقلها من الظلمة إلى النور، وردَّ لها كرامتها المفقودة. فلما جاء الرب إلى المدينة وعَلِمَت أنه في بيت الفرِّيسي، لم تُبال أن تدخل بغير دعوة، بل ودون أن تتوقَّف، وهي امرأة يُلاحقها ماضيها عن أن تظهر أمام الجميع مِمَّا قد يُعرِّضها للتشهير والإهانة. هي قد جاءت للرب وحده، ولم تَرَ في المكان أو يهمُّها غيره. لقد تغيَّرت حياتها، وهي أتت تُقدِّم حبَّها وتؤكِّد توبتها أمام غافر الخطايا.

وهي جاءت مستعدَّة، ومعها قارورة طيب، لم تضنَّ بها على مَن قادها إلى التوبة والتطهُّر كأنها خُلِقَت من جديد. وهي لم تَنْسَ - في محضر

---

(٢) هي بالطبع غير مَن دهن قدمَي الرب بالطِّيب في بيت عنيا، فهذه كانت **مريم أخت لعازر**، وهي لم تكن تبكي، بل كانت تُعبِّر عن محبتها وشكرها للرب الذي استجاب لها وأختها مرثا وجاء وأقام أخاهما بعد موته بأربعة أيام. والرب رأى فيما فعلته تكفيناً مُسبقاً له قبل موته القريب. كما أنها ليست المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل والمذكورة في (يو ٨: ٣-١١)، فالملابسات مختلفة تماماً. ولا هي المجدلية (كما يقول القديس غريغوريوس الكبير خلافاً لسائر المفسِّرين) التي أخرج الرب منها سبعة شياطين (مر ١٦: ٩).

(٣) ربما كانت **نايين** التي يذكر نفس الأصحاح أنَّ الرب أقام فيها ابن الأرملة (لو ٧: ١١-١٥) قبل مجيئه إلى بيت الفرِّيسي.

الرب – ماضيها الذي خلَّصها منه. ومن هنا وهي منسحقة متوارية **"وقفت عند قدميه من ورائه باكية"**. ولأن الندم كان جائحاً والمشاعر المختلطة بالفرح كانت جيَّاشة وصادقة، فالدموع السهلة كانت تسيل مدراراً حتى أنها بلَّت قدمَي الرب التي كانت في متناولها. وإمعاناً في التوقير والإجلال كانت تمسح قدمَي السيِّد المُبللة بالدموع بشعرها الذي هو تاجها ومجدها (١كو ١١: ١٥)، كما كانت تُقبِّلهما. ثم جاء دور الطِّيب الثمين ليدهن القدمين المقدستين، ويُكلِّل تقدمتها الغنية التي اختلط فيها إعلان توبتها وتجديدها بحبِّها الغامر وفرحها وامتنانها[٤].

هذا كله كان فعلاً وحقّاً وإنْ كان بغير كلام. فالحب الحقيقي الصادق لا يتكلَّم كثيراً ولكن يسهل إدراكه. والتوبة في أساسها فعل باطني في القلب والفكر يُدركه الله فاحص القلوب والكُلَى، وليست هي الكلمات. والابن الضال، قبل أن يصل إلى أبيه وقبل أن ينطق شيئاً، ركض نحوه أبوه ووقع على عنقه وقبَّله ولم يُتِحْ له أن يُكمِل كل كلماته التي كان قد أعدَّها، فقد أدرك الأب صدق توبة ابنه وانسحاقه (لو ١٥: ١١-٣٢). والعشَّار التائب الذي أثقلت الخطية قلبه "**وقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره**"،ولم يَقُل غير "**اللهُمَّ ارحمني أنا الخاطئ**"؛ ولكن لأنه كان تائباً حقيقياً، يقول الرب عنه إنه "**نزل إلى بيته مُبرَّراً**" (لو ١٨: ٩-١٤).

---

(٤) يُقرأ هذا الفصل في الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل حيث يتوسل المصلي إلى الرب أن يعطيه ينابيع دموع كثيرة، كما أعطى للمرأة الخاطئة تبل قدمي المخلص لينال القول الإلهي: "**أن إيمانك خلصك**".

■ عن سمعان الفرِّيسي:

لا شكَّ أن **سمعان الفرِّيسي** فَعَلَ حسناً باستضافته الرب، ولكن المُلابسات تكشف أنه مثل كثيرين علاقاتهم بالله شكلية سطحية. فدعوته للرب كانت ربما للمجاملة والتفاخُر وليس أكثر، وهذا واضح في أنَّ معاملته للرب كانت فقيرة غير لائقة. وهو يُعبِّر حسب الظاهر عن حفاوته، بينما هو في داخله ينتقد المسيح ويُشكِّك في نبوَّته: "**لو كان هذا نبيّاً لَعَلِمَ مَنْ هذه الامرأة التي (تلمسه)** وتُنجِّسه **(وما هي)** ماذا تكون! "إنها لخاطئة" فهي عنده الخاطئة المُحتَقَرة التي يعرفها الجميع في المدينة ولا يأمل في توبتها.

■ بين سمعان والمرأة:

أمام هذا المشهد وردّاً على ما دار في فكر سمعان الفرِّيسي، البار في عيني نفسه، وإدانته للمرأة، وضعف تقديره لشخص الرب؛ أخذ المعلم ناصية الكلام، عاقداً مقارنة(٥) بين موقف كل من سمعان الفرِّيسي الملتزم معلم الشريعة والمرأة التي كانت خاطئة ولكن أدركتها نعمة الله فتوَّبتها. وبدأ الرب مُوجِّهاً الكلام لسمعان الفرِّيسي لافتاً انتباهه بالقول: "**يا سمعان عندي شيء أقوله لك**". ثم قدَّم هذا المَثَل عن **مُداين**

---

(٥) كثيراً ما استخدم الرب الثنائيات أو المتناقضات في الأحداث والأمثال ليخرج منها بالتعليم المقصود عن طريق المقابلة أو المقارنة: كما في **الخمر والزقاق، والثوب والرقعة** (مت ٩: ١٦،١٧؛ مر٢: ٢١،٢٢؛ لو ٥: ٣٦-٣٨)، الحنطة والزوان (مت ١٣: ٢٤-٣٠، ٣٧-٤٣)، ما **يدخل الفم وما يخرج منه** (مت ١٥: ١١، ١٧-٢٠)، **مريم ومرثا** (لو ١٠: ٣٨-٤٢)، **صاحب البيت وصديق نصف الليل** (لو ١١: ٥-٨)، **الابن الضال والابن الأكبر** (لو ١٥: ١١-٣٢)، **البُرص التسعة والأبرص الشاكر** (لو ١٦: ١١-١٩)، **الغني ولعازر** (لو ١٦: ١٩-٣١)، **والقاضي والأرملة** (لو ١٨: ١-٨)، **الفرِّيسي والعشار** (لو ١٨: ٩-١٤)، **الابنان** (مت ٢١: ٢٨-٣٢)، **العذارى الحكيمات والجاهلات** (مت ٢٥: ١-١٣)، **العبيد والوزنات** (مت ٢٥: ١٤-٢٨)، **اللصَّان المصلوبان معه** (لو ٢٣: ٣٣، ٣٩-٤٣).

الله (**ومديونَيْن**) الكل)، وكان على واحد منهما خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون (تفاوت في كَم الخطايا ونوعها)، ولما عجزا عن السداد سامحهما كليهما. وهنا سأل الربُّ الفريسي: "**مَن منهما سيحبه أكثر؟**". فأجاب الفرِّيسي متحفِّظاً مُتردِّداً : "**أظن أن الذي سامحه بالأكثر**"، فأمَّن الرب على إجابته.

وبعدها بدأ الرب في تطبيق المثل ملتفتاً إلى المرأة ومُوجِّهاً نظر سمعان إليها: فمقابل التحفُّظ والشُّح وضعف المحبة من جانب **الفرِّيسي** في معاملته للرب (لم يغسل رجلَي الرب حسب تقاليد الضيافة السائدة، ولم يُقبِّله تعبيراً عن المودة، ولم يدهن رأسه بالزيت إكراماً)، كان هذا الحب الغامر **للمرأة** والانسحاق بغير تحفُّظ (في غسل رجليه بالدموع ومسحهما بشعر رأسها، وتقبيل قدميه ودَهْنهما بالطِّيب).

ولأن المرأة كانت تُدرك سوء حالها وخطاياها الكثيرة، فكان غفرانها موضع امتنانها وفاض حبه **لأنها** لأجل ذلك "**أحبت كثيرا**"؛ أما المعتدُّون ببرِّهم – كالفرِّيسي – الذين يشعرون أنهم أبرار وخطاياهم قليلة، وحاجتهم إلى التوبة ليست مُلحَّة، لا يختبرون فرح الغفران ويكون امتنانهم محدوداً فقيراً. فلا إيمان ولا حب "**يُحب قليلاً**"، ولا يشعرون في قرارة قلوبهم أنهم مدينون فعلاً.

■ "مغفورة لكِ خطاياكِ" :

ثم ها هو الرب يُفرح قلب هذه التائبة السعيدة مُعلناً ما تمتعت به بالفعل عند توبتها بمنطوق إلهي: "**مغفورة لكِ خطاياكِ**". فالتائب تُغفر خطاياه في دم المسيح عندما يعترف بها أمام الله بإيمان صادق وتوبة قلبية؛ وفي الكنيسة

يسمع الصوت الذي يُعطيه الحِلَّ من خطاياه (ويُرشده إلى الثبوت في الحياة الجديدة)، ويُعيده إلى شركة الكنيسة، ويُبهج قلبه بالتقدُّم لتناول الأسرار الإلهية.

الغفران هو بمثابة إنقاذ الغريق، أو الإقامة من الموت [فصل **الإبركسيس** عن إقامة طابيثا بصلاة الرسول بطرس (أع ٩: ٣٦-٤٢)، وفي**البولس** مكتوب عن الله أنه "**إله كل تعزية**"، وهي التي ننالها بالتبرير والغفران].

وفي الختام يقول الرب للمرأة: "**إيمانك خلَّصكِ**". فالإيمان هو وسيلة الخلاص بدم المسيح، وأُولى خطواته هي التوبة (مر ١: ١٥؛ يو ٣: ٣٦،١٦)، ويتبعه بالقول: "**اذهبي بسلام** (أي في سلام)"، فهو يهبها السلام الذي يناله مَن تبرَّر (رو ٥: ١) الذي هو ثمر الغفران. فقد انزاح الهمُّ وسقطت العقوبة، وحَلَّ الفرح وتجدَّدت الحياة (رو ٦: ٤).

■ كلنا فى حاجة إلى التوبة:

الرب كشف أن الجميع مديونون (النوع). ربما يختلفون في حجم الدَّيْن (الدرجة)، ولكنهم جميعاً عاجزون عن إيفاء الدَّيْن وتبرير أنفسهم. الكل خطاة وفي حاجة إلى توبة (يو ٨: ٧؛ رو ٣: ١٢).

والتائب الحقيقي (مثل **المرأة التي كانت خاطئة**) هو مَن يشعر أنه خاطئ في حاجة إلى غفران، وهو صادق في انسحاقه وخجله وصِغَر نفسه أمام برِّ الله، ومهما كان حجم خطاياه فدم المسيح قادر أن يُطهِّر من كل خطية ويُخلِّص إلى التمام (عب ٧: ٢٥؛ ١يو ١: ٧)، وهكذا يمكن أن يتحوَّل أكثر الناس خطية ليصيروا من أعاظم القدِّيسين.

المؤمن المدَّعي (مثل **سمعان الفرِّيسي**) هو متدين شكلي يشعر أنه بار وليس في حاجة إلى توبة. وهو لا يعرف الانسحاق أو الخشوع أو السجود بالروح والحق ويسلك بغير مخافة. ربما يُقدِّم مالاً أو يستضيف رجال الكنيسة كي ينال كرامة. ويظل ما يتحصَّل عليه هو وأمثاله، أصحاب الإيمان الفقير والحب الغائب، من غِنَى الله القليل. لا حَلَّ هناك لإنقاذ حياتهم غير أن يكتشفوا أنهم خطاة كسائر الخطاة، وفي حاجة إلى توبة تُضرم إيمانهم بالمسيح وحبهم له بمثل ما صنعت المرأة الخاطئة.

التوبة (ميتانيا) هي تحوُّل الفكر والقلب وتغيير الحياة بصورة كلِّية نحو الله. هي ليست التخلُّص من الخطايا واحدة فواحدة. والتغيير المرحلي بالجُهد الذاتي لا يفيد، وهو قصة الكثيرين التي لا تنتهي بينما تظل النفس خاطئة. والرب سبق وأكَّد لنا أن الخمر الجيدة (الحياة الجديدة) لا توضع في زقاق عتيقة (نفس مراوغة غير ثابتة)، وإلاَّ فهذه تنشق والخمر تُهرق (فشل وتعثُّر)؛ ولا توضع قطعة من قماش جديد (فضائل روحية) لإصلاح ثوب متهرِّئ (حياة خاطئة)، لأن الملء الجديد سيأخذ من القديم فيشقُّه ويصير الخرق أردأ (تتوهَّم النفس أنها تغيَّرت بينما هي تظل منقسمة) (مت ٩: ١٦).

أصحاب الحياة المائعة، التي تتأرجح بين النور والظلمة ويختلط فيها الخير بالشر، خلاصهم في توبة حقيقية، كتوبة المرأة "التي كانت خاطئة"، تعتمد على النعمة والثقة في قوة دم المسيح؛ فيطرحون حياتهم القديمة برمَّتها، ويبدأون حياة جديدة تماماً كأنهم **"مولودون الآن"** (١بط ٢: ٢).

ولكن التوبة لا تتوقف، فهي عمل المؤمن كل يوم لتصحيح مسيرة الحياة، وهي عمل القدِّيسين لتنقية حياتهم من الشوائب وحفظها بلا دنس من العالم (يع ١: ٢٧). وكما قال الرب لبطرس عند غسل الأرجل: " إن **الذي اغتسل ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله**" (يو ١٣: ١٠)، أي أن الذي اعتمد ويحيا في الإيمان وتغيَّرت حياته ويسير في خوف الله، هو في حاجة فقط إلى التوبة المتجدِّدة عن الخطايا الطارئة واستعادة لياقته الروحية.

بالتوبة يتميَّز أولاد الله: "**بهذا أولاد الله ظاهرون**" (١يو ٣: ١٠) (من الكاثوليكون) ، هي إحدى النِّعَم الموهوبة لنا من الله (إر٣١: ١٨)، وبدون الرب لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥). فالروح هو الذي ينخس القلب (أع ٢: ٣٧)، ويهدي إلى التوبة: "**ولكنه يتأنَّى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أُناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة**" (٢بط ٣: ٩).

و"**إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم**" (رو ١٣: ١١)، و"**هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص**" (٢كو ٦: ٢).

الأحد الخامس من أي شهر قبطي

[في حالة ما إذا كان هناك **أحد خامس** في الشهر وجاء موافقاً يوم ٢٩ من الشهر القبطي فيحتفل فيه بتذكار **أعياد البشارة والميلاد والقيامة**؛ أما لو جاء موافقاً يوم ٣٠ يكون فصل الإنجيل عن **معجزة إشباع الجموع**، وهو موضوع أنجيل قداس الآحاد الثلاثة الأولى من شهر أمشير].

أناجيل قداس آحاد شهر بابه(*)

+ الأحد الأول : شفاء المفلوج

+ الأحد الثاني : معجزة صيد السمك

+ الأحد الثالث : شفاء مجنون أعمى أخرس

+ الأحد الرابع : إقامة ابن الأرملة

(*) محور القراءات: المسيح خادم لكل العالم.

الأحد الأول من شهر بابه

شفـــاء المفلـوج

" لما رأى يسوع إيمانهم "

عشية مز ٦٧: ١، ٢ مت ١٤: ١٥-٢١
باكر مز ٦٣: ١، ٢ مت ٢٨: ١-٢٠
البـــولـــس : ٢كو ٢: ١٢-٣: ٦
الكاثوليكون : ١بط ١: ٢٢-٢: ٥
الإبركسيس : أع ١٣: ٣٦-٤٣

مز٣٤: ١، ٢

الإنجيـل : مر٢: ١ - ١٢

(هو أيضاً إنجيل قداس الأحد الثاني من شهر بؤونة من لوه : ١٧ - ٢٦)

[1]ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. [2]وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. [3]وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجًا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. [4]وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ، كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ. [5]فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». [6]وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: [7]«لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هذَا هكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟» [8]فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ

هكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ:«لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ [٩]أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟ [١٠]وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا». قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: [١١]«لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!». [١٢]فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ، حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ:«مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!».

ضمن معجزات الرب في كفر ناحوم وتخومها (التي تقع شمال غرب بحر أو بحيرة طبرية – بحر الجليل أو بحيرة جنِّيسارت)، كانت معجزة[(١)] **(شفاء المفلوج**[(٢)]، حيث عَبَر الرب وتلاميذه بالسفينة إلى كفر ناحوم ودخل واحداً من البيوت التي اعتادها لكي يُعلِّم ويكرز ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب (مت ٤: ٢٣؛ ٩: ٣٥)، ربما بيت بطرس وأندراوس (مت ٨: ١٤؛ مر ١: ٢٩) أو بيت متَّى[(٣)].

في اقتضاب يذكر الكتاب المعجزة: مفلوج (أشلَّ) عاجز عن الحركة يَحُول بينه وبين الطبيب الشافي الجموع الكثيرة التي تزحمه فضلاً عن عجزه؛ هكذا سعى أصدقاؤه الأربعة (مر ٢: ٣) الذين حملوه على فراش (مت ٩: ٢)، ولكنهم تواجهوا مع الكثيرين مِمَّن جاءوا لسماع كلمة الله

---

(١) وقد سبقها عدد كبير من المعجزات أجراها الرب: شفاء الأبرص (المجذوم) (مت ٨: ٢-٤؛ مر ١: ٤٠-٤٥؛ لو ٥: ١٢-١٤)، وشفاء غلام قائد المائة من على بُعد (مت ٨: ٥-١٣؛ لو ٧: ٢-١٠)، وشفاء حماة بطرس (مت ٨: ١٤-١٧؛ مر ١: ٢٩-٣١؛ لو ٤: ٣٨،٣٩)، وانتهار الريح والرب مع تلاميذه في السفينة (مت ٨: ٢٣-٢٧؛ مر ٣٥-٤١). وربما أيضاً معجزة إخراج الروح النجس من رجل (مر ١: ٢١-٢٧)، وشفاء المجنونَيْن الخارجَيْن من القبور في كورة الجرجسيين (الجدريين) وسماح الرب بدخول الشياطين في قطيع الخنازير (مت ٨: ٢٨-٣٤؛ مر ٥: ١-٢٠) التي يُحتَمَل أن تكون قد تمت فيما بعد.

(٢)"شفاء المفلوج" مذكور أيضاً في (مت ٩: ١-٨).

(٣) الذي يذكر القديس متَّى هنا أمْر اتِّباعه الرب في سياق متأخِّر زمنياً كأنه لاحق على هذه المعجزة (مت ٩: ٩).

ومعهم طالبو الشفاء **"حتى لم يَعُد يسع ولا ما حول الباب"** (مر ٢: ٢). ولأنهم وضعوا في قلوبهم ألاَّ يعودوا خائبين، فلم يهزمهم الزحام، وتفتَّق ذهنهم على أن يصعدوا إلى سطح البيت حيث أزاحوا الآجر (وهو نوع من الطوب الآحمر) (لو ٥: ١٩)، فانكشفت فتحة كانت كافية لأن يُنزلوا مريضهم على فراشه من خلالها ليصير في الوسط قدَّام يسوع.

يقول الكتاب مباشرة : **"فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: ثق يا بُنيَّ. مغفورة لك خطاياك"** (مت ٩: ٢). وبينما انتظر المفلوج وأصحابه الشفاء، صدمت كلمات الرب الكتبة والفرِّيسيين المتربصين الذين قالوا (في أنفسهم، في قلوبهم) احتجاجاً: "لماذا يتكلَّم هذا هكذا بتجاديف .**مَن يقدر أن يغفر الخطايا إلاَّ الله وحده**" (مر ٢: ٧؛ لو ٥: ٢١). ولكن فاحص القلوب والكُلَى (مز ٧: ٩) عَلِمَ أفكارهم، وأجاب قائلاً: **"لماذا تُفكِّرون بالشر في قلوبكم؟ أيُّما أيسر، أن يُقال: مغفورة لك خطاياك، أم أن يُقال: قُمْ وامش؟ ولكن** (قلتُ هذا) **"لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا"** (مت ٩: ٦؛ مر ٢: ١٠؛ لو ٥: ٢٤). **"حينئذ قال للمفلوج: قُمْ احمل فراشك واذهب إلى بيتك!"**. وعلى الفور قام المفلوج وحمل فراشه ومضى إلى بيته. فأخذت الجميع حيرة ومجَّدوا الله قائلين: "ما رأينا مثل هذا قط" (مت ٩: ٦-٨؛ مر ٢: ١١؛ لو ٥: ٢٤-٢٦).

والمعجزة - على تفاصيلها القصيرة - تكشف لنا عن كيف يتعامل الله مع مشاكلنا، وما ينبغي أن يكون عليه توجُّه صاحب المشكلة أو مَن يطلب من أجله، وعن المصدر الحقيقي للمشاكل والمصاعب التي يواجهها الإنسان.

■ أولاً: من ناحية الله:

(١) فالله يعرف مَن يأتي إليه وما هي قضيته؟

فالمسيح كان جالساً يُعلِّم وحوله الجموع. وفجأة يترل أمامه على فراش مفلوج يُدلِّيه من السقف أربعة رجال. ولكن الرب لم يُفاجَأ ولم يُبْدِ اندهاشاً لِمَا يجري، ولم يستفسر عن شيء، لأنه كان يعرف المريض والمرض، ولأنه أدرك صدق إيمانهم المنحصر في قدرته على الشفاء والإصرار على الوصول إليه. وهكذا استجاب، فأجرى المعجزة.

وقد كان الرب نائماً في قاع السفينة، وهي تتأرجح بين الأمواج والرياح، وما أن استنجد به تلاميذه حتى **"قام وانتهر الرياح والبحر، فصار هدوء عظيم"**، ولام تلاميذه على تخوُّفهم رغم أنه كان في وسطهم (مت ٨: ٢٣-٢٦؛ مر ٤: ٣٥-٣٩؛ لو ٨: ٢٣-٢٧).

(٢) والله قادر على الحل:

فالمفلوج العاجز عن الحركة وربما الكلام، نال الشفاء على الفور. والرب يقول عن نفسه: **"غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله"** (لو ١٨: ٢٧)، ومكتوب أنه: **"القادر على كل شيء"** (رؤ ١: ٨؛ ٤: ٨؛ ١١: ١٧؛ ١٥: ٣؛ ١٦: ٧؛ ١٩: ٦).

ورغم كثرة الواقفين بباب الرب، إلاَّ أنه مهتمٌّ بكل واحد وقادر أن يسد أعواز الكل. وهو شَعَرَ بالمرأة نازفة الدم التي كانت قد تألَّمت من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً، بل صارت إلى حال أردأ، ولكنها اختطفت شفاءً كاملاً بلمسة واحدة لهُدب ثوب المسيح (مر ٥: ١٩-٢٢؛ لو ٨: ٤٣-٤٨). ومكتوب أيضاً أنهم: **"أحضروا إليه**

جميع المرضى وطلبوا إليه أن يلمسوا هُدْب ثوبه فقط. فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء" (مت ١٤: ٣٥،٣٦؛ مر ٥: ٢٦؛ لو ٨: ٤٣).

(٣) والله يستجيب لمَن يدعوه:

والرب لما **"رأى إيمانهم"** (أي إيمان أصدقاء المفلوج) تحنَّن ووهب المفلوج الشفاء الذي تاق إليه طويلاً. والصحة الكاملة عادت إليه حتى أنه بعد أن دخل محمولاً، خرج حاملاً فراشه!

وهو يُنادينا: **"ادْعُني في يوم الضيق، أنقذك فتُمجِّدني"** (مز ٥٠: ١٥)؛ **"تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثَّقيلي الأحمال وأنا أُريحكم"** (مت ١١: ٢٨)؛ **"اسألوا تُعطَوْا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم"** (مت ٧: ٧؛ لو ١١: ٩). وهو واقف مستعد ليفيض بحنانه على المحتاجين المتوسِّلين إليه: **"إنْ سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي"** (رؤ ٣: ٢٠).

(٤) والله يُعطي بسخاء:

وهو **"يجول يصنع خيراً"** (أع ١٠: ٣٨) لكل محتاج حتى بغير طلب. فالكتاب يُسجِّل كثيراً تحنُّن الرب على الجموع، وكان يراهم كغنم هائمة لا راعي لها (مت ٩: ٣٦؛ مر ٦: ٣٤)؛ كما اهتمَّ بالآلاف الذين بقوا معه ثلاثة أيام يتابعون تعاليمه وقد نفد طعامهم وقال عنهم: **"إني أشفق على الجمع... ولستُ أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يُخَوِّروا في الطريق"** (مت ١٥: ٣٢)، وهو كثَّر لهم الخبز والسمك حتى **"أكل الجميع وشبعوا"** (مت ١٥: ٣٧)؛ وهو أوقف جنازة وحيد الأرملة **"فلما رآها الرب تحنَّن عليها، وقال لها: لا تبكي"**، وتقدَّم ولمس النعش وأقام الشاب ودفعه إلى

أُمِّه (لو ٧: ١١-١٥)؛ وهو لما رأى حماة بطرس مطروحة ومحمومة لمس يدها وأقامها (مت١٨: ١٤،١٥؛ مر ١: ٣٠،٣١؛ لو ٤: ٣٨،٣٩)؛ بل إن المسيح هو الذي اتَّجه إلى مريض بركة بيت حِسْدا وسأله إذا كان يريد أن يبرأ، فلما عبَّر الرجل عن يأسه وسوء طالعه، بادره يسوع أنْ **"قُم احمل سريرك وامش. فحالاً برئ الإنسان"** (يو ٥: ٦-٩). كما أنه كان أحياناً يهب شفاءً جماعياً للمرضى بغير تمييز (مت ٨: ١٦؛ ١٤: ١٤). فهو يُعطي الجميع بسخاء ولا يُعيِّر (يع ١: ٥)، وخيراته يُنعِم بها على الجميع: **"فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويُمطر على الأبرار والظالمين"** (مت ٥: ٤٥). وهو في ذلك لا يُميِّز بين مؤمنيه وغيرهم، فهو مُحب لكل خليقته، وهو تحنَّن على **الكنعانية** وشفى ابنتها (مت ١٥: ٢١؛ مر ٧: ٢٤-٣٠)، وشفى البُرص العشرة وضمنهم **سامري غريب الجنس** (لو ١٧: ١١-١٩)، وشفى عبد أو غلام قائد المئة.

■ ثانياً: عن خدمة المرضى وغيرهم، والتوسُّل لأجلهم:

يُسجِّل الكتاب أن المفلوج قُدِّم للرب مصحوباً بإيمان أصدقائه، من هنا فإنَّ الرب عندما **"رأى إيمانهم"**، غفر للمفلوج خطاياه، وأقامه صحيحاً معافًى. وإذا كان هناك مَن يقول: **"تكلَّم حتى أراك"**، أي أنَّ كلماتك تُقدِّمك للناس وتكشف عن شخصيتك؛ فهكذا يمكن القول إنَّ موقفنا وقت التجربة يعكس حقيقة إيماننا: **هل هو ثابت صادق أصيل تُلهبه الضيقة، أو هو ادِّعاء كاذب ينهار من ضربة واحدة.**

+ فشفاء المفلوج كتتويج لمسعى وإيمان أصحابه، يُقدِّم مثالاً صريحاً لقيمة خدمة وشفاعة الآخرين وإيمانهم وتوسُّلاتهم وصلاتهم[٤]. فصاحب المشكلة أو التجربة قد لا يكون واعياً أصلاً أو ضعيفاً غير قادر على الطلب، فيتقدَّم عنه آخرون بإيمانهم، والله يستجيب. بل إنَّ الرب أقام موتى استجابةً لتوسُّل أهلهم أو دموعهم: **كابنة يايرس** (مت ٩: ١٨-٢٦؛ مر ٥: ٢١-٤٣؛ لو ٨: ٤١-٥٦)، وابن الأرملة (لو ٧: ١١-١٥)، و**لعازر** أخي مريم ومرثا (يو ١١: ٣، ٢١، ٣٣)؛ و**القديس بطرس** انتقل من لدّة إلى يافا وأقام **طابيثا** (غزالة) التي توسل من أجلها أحباؤها الأرامل اللائي كانت تحسن إليهن (أع ٩:٣٦-٤١).

+ ما أنبل خدمة المرضى وكل مَن هم في ضيقة، وهي التي تعكس غِنَى المحبة المسيحية في أشرق صورها. وكما أنَّ المسيح هو الطبيب الشافي الذي يُنهض الإنسان صحيحاً من مذلَّة المرض وأوجاعه؛ كذلك فالمؤمنون بالمسيح يسيرون على نهجه طاعةً لوصيته: "**كنتُ مريضاً فزرتموني**" (مت ٢٥: ٣٦)، وبقلوبهم الرحيمة يخدمون المرضى، ويتابعون علاجهم، ويحتملون معهم وطأة المرض ونفاد الصبر، ويجتهدون في التخفيف عنهم وتعزيتهم وتشجيعهم ورفع معنوياتهم وتسليتهم، والصلاة من أجلهم، وإحاطتهم بكل ألوان الرعاية بغير تذمُّر أو تململ، وهي خدمة تقود أصحابها لوراثة الملكوت (مت ٢٥: ٣٤).

وطوبى لكل طبيب أو جرَّاح أو ممرض - رغم التعوُّد على التعامُل مع المرضى والمرض - وهو يُقدِّم قائمة الدواء أو يُجري الجراحة أو يتابع

---

(٤) وإن كان هذا لا ينفي إيمان المفلوج نفسه أيضاً، الذي ربما كان عاجزاً عن الكلام أو التعبير عن رضاه عن مبادرة رِفاقه المُحبين وخطَّتهم التي ربما عانى كثيراً خلال تنفيذها: حَمْلاً في الطريق، وصعوداً للدرج، وإنزالاً من فتحة السقف الضيقة بالحبال حتى بلغ مُناه بلقاء الطبيب الشافي.

الحالة، يُرفق بها الرحمة والبسمة والمؤازرة والأناة، ولهم هذا الوعد: "**طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون**" (مت ٥: ٧). وكل مساندة مادية أو معنوية للمؤسسات العلاجية، وكل جهد علمي لاكتشاف عقاقير لتخفيف الآلام أو لعلاج الأمراض، خاصة المستعصية، هي ترضي قلب الله ولن تنسى أمامه الآن أو في اليوم الأخير.

+ من هذا المنطلق فإنَّ الكنيسة، آباءً وخداماً وشعباً، تُصلِّي من أجل المرضى والمتألِّمين والمتضايقين (كما صلَّت بلجاجة من أجل **بطرس الرسول**، فخرج من سجنه: أع ١٢: ٣-١٠). والكتاب يحثُّنا أن "**احملوا بعضكم أثقال بعض**" (غل ٦: ٢)، "**صلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَوْا**" (يع ٥: ١٦)، وأيضاً أن يُصلِّي الشعب من أجل الآباء والخدَّام: "**مُصلِّين في ذلك لأجلنا نحن أيضاً ليفتح الرب لنا باباً للكلام**" (كو ٤: ٢)، "**أيها الإخوة صلُّوا لأجلنا**" (١تس ٥: ٢٥).

+ فالصلاة والطلبة من أجل الآخرين بصورة عامة قانون مسيحي. والآباء والأمهات يصلون من أجل أولادهم، والكنيسة تصلي من أجل السلام والآباء والخدام والمياه والزروع والثمار والمرضى والراقدين والمسافرين، بل ومن أجل الملك أو الرئيس والجند والحكام وكل من في منصب، والله يستجيب بل ويغير حياة الأشرار استجابة لصلوات الآخرين عنهم (توبة **أغسطينوس** بصلاة أمه **مونيكا**).

■ ثالثاً: عن الإيمان وضرورته :

الإيمان ضرورة للتمتُّع بتدخُّل الله في تجاربنا، سواء كان إيمان المُجرَّب أو مَن يطلب من أجله. وهكذا كان الرب يسأل: "**أتريد أن تبرأ؟**"

(لمريض بركة بيت حسدا – يو ٥: ٦)، "**أتؤمن بابن الله؟**" (للمولود أعمى – يو ٩: ٣٥)، "**أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا؟**" (للأعميين في كفر ناحوم – مت ٩: ٢٨). والقديس بولس صادف في لسترة رجلاً مُقعداً من بطن أُمه "**وإذ رأى أنَّ له إيماناً ليُشفَى، قال بصوت عظيم: قُمْ على رجليك منتصباً. فوثب وصار يمشي**" (أع ١٤: ٨-١٠).

وعلى المؤمن ألاَّ يفقد رجاءه إن تأخرت الاستجابة أو ظهرت العقبات، بل عليه أن يُواصل الطلب واثقاً بغير ملل. فرئيس المجمع الذي جاء يطلب من أجل ابنته يأتيه – وهو يُكلِّم الرب – مَن يُخبره بوفاة وحيدته وألاَّ يُتعب المعلم، فيكون ردُّ الرب "**لا تخف. آمن فقط، فهي تُشفَى**" (لو ٨: ٤٩،٥٠). والأعميان في أريحا، اللذان سمعا أن الرب يسوع مجتاز، صرخا – ليجتذبا انتباه الرب – طالبَيْن الشفاء، ولما انتهرهما الجمع "فكانا يصرخان أكثر"، وبمثابرتهما نالا الشفاء وما هو أكثر، فقد نَعِمَا بتبعية الرب (مت ٢٠: ٢٩-٣٤؛ مر ١٠: ٤٦-٥٢؛ لو ١٨: ٣٥-٤٣).

على أنه مِن صِدْق الإيمان أيضاً أن نخضع لمشيئة الله: "**لتكن لا إرادتي بل إرادتك**" (لو ٢٢: ٤٢)، واثقين "**أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله**" (رو ٨: ٢٨)، وراضين باختيار الله: فقد تكون إجابته بالرفض، ويكون الله قد استجاب بالفعل ولكنه قال لا.

■ رابعاً: عن المشكلة أو التجربة:

الرب وضع يده على سرِّ الشقاء الإنساني عندما بادر المفلوج بالقول: "**يا بُنيَّ مغفورة لك خطاياك**"(٥) (مت ٩: ٢؛ مر ٢: ٥؛ لو ٥: ٢٠) قبل

---

(٥) "**ليكن معلوماً عندكم أنه بهذا** (يسوع الذي لم يرَ فساداً) **ينادى لكم بغفران الخطايا**" (من الإبركسيس أع ١٣: ٣٨).

أن يهبه الشفاء[٦]. فالخطية هى التى فصمت علاقة الإنسان بالله، فاقتحم حياته الاضطراب والنقص في علاقته بنفسه والآخرين وبالكائنات من حوله. والكتاب يؤكِّد أنَّ **"كل أحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تُنتج موتاً"** (يع ١: ١٤،١٥). فأقسى من شلل الجسد الشلل الروحى حيث تتوقف العلاقة مع الله وتفقد النفس طريق الصلاة وتتغرب عن بيت الله وتستعذب الخطية ولا تشعر بحاجتها إلى التوبة.

والقديس يعقوب يُشير أيضاً إلى علاقة المرض بالخطية عندما يقول: **"وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يُقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفر له"** (يع ٥: ١٥). فمحبة الذات وشهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة والطمع والكراهية ومجافاة الله، هى الطريق الأكيد للتعاسة وسيطرة الخوف؛ وهكذا يترلق الإنسان إلى التجربة، مما ينعكس بالتالي على الجسد وأداء وظائفه وانهيار مناعته واجتياح الأمراض له.

والرب جاء لعلاج الإنسان مما أصابه وشفائه جسداً ونفساً وروحاً: **"لا يحتاج الأصحَّاء إلى طبيب، بل المرضى. لم آتِ لأدعو أبراراً، بل خطاةً إلى التوبة"** (مت ٩: ١٣؛ مر ٢: ١٧؛ لو ٥: ٣١،٣٢). **وبالنسبة للمؤمن، فالتجربة تكون قد حقَّقت غرضها، إذا انتهت على أيِّ حال، بالتمسُّك بالله أكثر، وبفحص الحياة الداخلية، ومراجعة النفس، وتجديد التوبة.**

---

(٦) في تساؤل الرب: **"أيُّما أيسر أن يُقال: مغفورة لك خطاياك؟ أم أن يُقال: قُمْ وامش؟"**، أنه لم يُبادر بغفران خطايا المفلوج (قبل شفائه) باعتبار أنه **الأيسر** - كما قد يظن البعض (إذ ليس له علامات تشهد بحدوثه أو تنفيه) - وإن كان بهذا يُعرِّض نفسه - في ذات الوقت - باتهامه بالتجديف (وعقوبته الموت)؛ وإنما لأنه قصد أن يؤكد بغير مواربة على لاهوته وسلطانه أن يغفر الخطايا، وهو ما أثار عليه حنق الكتبة والفرِّيسيين واتهامهم له بالتجديف. على أن واقع الأمر أن غفران خطايا المفلوج قد تمَّ بالفعل وبرهانه الساطع شفاؤه الكامل، حتى أنه حَمَل فراشه وعاد إلى بيته.

وقد تكون تجربة المرض الثقيل على وجه أخصّ، إيذاناً بالانطلاق من هذا العالم، ويقتضى الإيمان هنا التسليم، بل والترحيب بها كحافز إلهى للاستعداد والتهيُّؤ للقاء الرب. وهكذا **"تكون تزكية إيمانكم، وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح"** (**١**بط ١: ٦،٧).

❁ ❁ ❁

ويا لفرح البشرية التي أذلَّتها الخطية، وصرعتها الأهواء، وأصابتها بالأمراض والأوجاع والآلام؛ فقد جاء مخلِّصها الذي يقول: **"لأني لم آتِ لأدين العالم، بل لأخلِّص العالم"** (يو ١٢: ٤٧)، **"لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخلِّص ما قد هلك"** (مت ١٨: ١١؛ لو ١٩: ١٠).

وها هو **القديس بولس** يقول مبتهجاً: **"صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول: أنَّ المسيح يسوع قد جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا"** (**١**تي ١: ١٥). و**القديس يوحنا** يكتب مؤكِّداً على رجاء كل الخطاة في المسيح يسوع: **"وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البارُّ. وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً"** (**١**يو ٢: ١،٢).

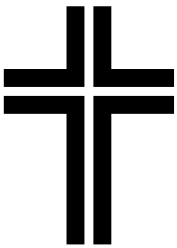

الأحد الثاني من شهر بابه

معجزة صيد السمك

" تركوا كل شئ وتبعوه "

عشية مز ٦٧: ٣، ٤ مت ١٧: ٢٤-٢٧
باكر مز ٦٣: ٣، ٤ مر ١٦: ٢-٨
البولس : ٢كو ٤: ٥-١٥
الكاثوليكون : يع٣: ١٣- ٤: ٦
الإبركسيس : أع ١٤: ٢٤-١٥: ٣

مز٦٦ : ١، ٢، ٤

الإنجيل : لو٥ : ١ - ١١

[1]وَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ الله، كَانَ وَاقِفًا عِنْدَ بُحَيْرَةِ جَنِّيسَارَتَ. [2]فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ الْبُحَيْرَةِ، وَالصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا الشِّبَاكَ. [3]فَدَخَلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ قَلِيلاً عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ. [4]وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ قَالَ لِسِمْعَانَ:«ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ». [5]فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا. وَلكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي الشَّبَكَةَ». [6]وَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكًا كَثِيرًا جِدًّا، فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ. [7]فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ. فَأَتَوْا وَمَلأُوا السَّفِينَتَيْنِ حَتَّى أَخَذَتَا

فِي الْغَرَقِ. [٨]فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً:«اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ!». [٩]إِذِ اعْتَرَتْهُ وَجَمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ. [١٠]وَكَذلِكَ أَيْضًا يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبَدِي اللَّذَانِ كَانَا شَرِيكَيْ سِمْعَانَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ: «لاَتَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ تَصْطَادُ النَّاسَ!» [١١]وَلَمَّا جَاءُوا بِالسَّفِينَتَيْنِ إِلَى الْبَرِّ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ.

كان هذا في الأيام الأولى من خدمة السيد، التي بدأها بلقاء عند الأردن مع **يوحنا المعمدان** المُعينّ من السماء ليهيئ الطريق قدام المخلص (مل ٣: ١). وبعد المعمودية يُستعلن الظهور الإلهي، ويرى العالم ويسمع شهادة الآب والروح القدس للابن المتجسد (مت ٣: ١٧، مر ١: ١١، لو ٣: ٢٢).

بعدها يعتكف الرب في البرية صائماً لأربعين يوماً (مت٤: ٢)، يختمها بمواجهة مع إبليس، يخرج منها العدو مدحوراً بسلاح الكلمة.

مع إشراقة الشمس (مر ١: ٣٥)، يخرج يسوع من البيت في **كفرناحوم**[(١)] - بعد أن ترك الناصرة حيث كان قد تربّى (مت٤: ١٣، لو ٤: ١٦)- واتجه إلى شاطئ البحيرة[(٢)] القريب.

---

(١) فيما بعد ستشهد كفر ناحوم العديد من معجزات الرب، مثل شفاء عبد قائد المئة، وحماة بطرس، والمفلوج، والأعميين، والمجنون الأعمى الأخرس، وذي اليد اليابسة، وإقامة ابنة يايرس.

(٢) يُنسب اسم البحيرة إلى "**جَنيسارَت**" (جنة السرور) أو "**طبرية**" اللتين تقعان على ساحلها الغربي. ولأنها البحيرة الرئيسية في منطقة الجليل الجبلية فهي تُسمى أيضاً **بحر الجليل**. وهي كانت موقع العديد من أعمال الرب ومعجزاته، إضافة إلى معجزتي صيد السمك الكثير في بداية خدمته وبعد قيامته (انتهار الريح، السير على الماء وانقاذه بطرس من الغرق).

والبحيرة متوسطة المساحة (١٢× ٦ ميل) وتقع في مسار نهر الأردن الذي ينحدر ليصب جنوباً في البحر الميت. وعلى سواحل البحيرة أو بقربها تقع بعض القرى والمدن الصغيرة مثل **بيت صيدا** (شمال شرق)، **كفرناحوم** (حيث عاش الرب والتلاميذ الصيادون) **وكورازين** (شمال غرب)، **مجدل** (غرب)، وفي جنوبها الغربي تقع **قانا والناصرة ونايين**.

وفي هذا اليوم كان الجمع كبيراً ويتزاحم عليه، فاستحسن الرب أن يدخل سفينة ويبتعد بها قليلاً عن البر حتى يمكن أن يراه المجتمعون على الشاطئ ويسمعون كلمته. وكانت هناك سفينتان عند حافة البحيرة إحداهما **لسمعان بطرس** وأخيه **أندراوس** والأخرى **لزبدي** وابنيه **يعقوب ويوحنا**.

o o o

كان **بطرس**- كما سمّى الربُ سمعان (لو٦: ١٤)- قد حظِيَ من قبل بلقاء سريع مع المسيح، بعد أن كان قد سمع عنه من أخيه **أندراوس**. وكان **أندراوس** ورفيقه **يوحنا بن زبدي** تلميذين **ليوحنا المعمدان** الذي، بعد أن أدى مهمته في إعداد القلوب للمخلص بالتوبة وقدم المسيح للعالم، أخذ يحث تلاميذه لتبعيته. ولما رآه مرة ماشياً لفت أنظارهم إليه قائلاً "**هوذا حمل الله**" (الذي يرفع خطية العالم). هكذا سعى **يوحنا وأنداروس** للقاء المسيح الذي دعاهما إلى البيت، "ومكثا عنده ذلك اليوم"، فكان لقاءً غير حياتهما. بعدها ذهب **أندراوس** إلى أخيه مبتهجاً يقول "**قد وجدنا مسيا الذي تفسيره المسيح. فجاء به إلى يسوع**" الذي نظر إليه وقال "**أنت سمعان بن يونا. أنت تدعى صفا (الذي تفسيره بطرس**- أي الصخرة Petra)" (يو١: ٣٥-٤٢).

o o o

من السفينة أخذ يسوع يعلم الجموع، وكان يسمع كلامه معهم صيادو السمك في السفينتين. وبعد أن صرف الناس التفت إلى الصيادين فقد كانوا هدف خدمته في ذلك اليوم.

لم يكن اليوم ناجحاً بالنسبة للصيادين الخمسة ومساعديهم. على العكس فهم، رغم تعب الليل كله، لم يصطادوا شيئاً. وعندما أقبل عليهم الرب في الصباح كانت قلوبهم ثقيلة وهم يغسلون الشباك أو يرتقون ما تمزق منها إعداداً للصيد القادم.

لم يكونوا يدركون ساعتها أن دخول الرب سفينتهم يعني، كما يعني حضوره في حياتنا، نهاية الضيقة وانحسار الحزن والهم والكآبة وسيادة السلام والفرح. وهو الذي علّم ألا تغلبنا حاجات الجسد فهذا لا يليق بمؤمنين، لأنه إذا كان يوفرها لطيور السماء فنحن بالأوْلى، وعلينا فقط أن نطلب أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لنا (مت٦: ٣٣، لو١٢: ٣١).

■ "إلى العمق":

بالنسبة للرب، كان اليوم **لاختيار التلاميذ الأوائل**، وعينه الفاحصة عيّنتهم. وهو لم يذهب إلى جماعة الحكماء والفهماء، وإنما اتجه إلى **الجهال** ليخزي الحكماء، والضعفاء ليخزي الأقوياء "**لكي لا يفتخر كل جسد أمامه**" وأن "**من أفتخر فليفتخر بالرب**" (١كو ١: ٢٧، ٢٩، ٣١).

والرب، وهو يختار تلاميذه، دبّر أن يلتقي بالصيادين الأربعة وهم في قاع اليأس والتعب والفشل، كي لا يتكل أحد على ذاته بل على عمل نعمة الله[٣] ويكون شعاره ".. **ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي**" (١كو ١٥: ١٠).

---

(٣) قراءات اليوم السابقة على فصل الإنجيل تدور حول جدوى نعمة الله التي تعمل في المتضعين الذين ينكرون ذواتهم. فمن **البولس** "**ولكن لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا**" (٢كو ٤: ٧)، ومن **الكاثوليكون** "**يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة**" (يع ٤: ٦)، ومن **الإبركسيس** "**حيث كانا** (بولس وبرنابا) **قد أسلما إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاه**" (أع١٤: ٢٦).

كما دبّر الرب أن يكشف لهم عن غناه وقدرته غير المحدودة وإحاطته بكل شئ، كي يغلب إيمانُهم وثقتُهم فيه كلَّ التحفظات والمخاوف أمام تبعية الرب. هكذا خاطب الرب سمعان أن يبعد **إلى العمق** ويلقي الشباك.

وفي إشارة الرب إلى **الدخول إلى العمق** دعوة للتخلي عن الحياة السطحية والعلاقات الضحلة مع الله وكلمته، وألوان العبادة الشكلية الخادعة التي توفر سلاماً كاذباً. فهذا كله إهدار للحياة والخروج منها بلا شئ. الدخول إلى العمق سمة المؤمن الحقيقي كي يختبر عِشرة الله ومحبته، وأن يمارس محبة العمل والحق، وأن يقْوَى على احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح (٢تي٢: ٣)، وأن يغلب التجارب والآلام، وأن يقاوم إغراءات العالم ونزواته، وأن يظل أميناً حتى النهاية.

أمام أمر الرب بالصيد في العمق، وجدت خبرة الصياد نفسها في مواجهة مع مشورة نجار الناصرة. وبطرس لم يشأ، توقيراً للمعلم، أن يقول: نحن نصطاد بالشباك في مناطق الشاطئ الضحلة المياه والغنية بالأسماك خلال الليل. والصيد في عرض البحر لا يكون بالشباك وإنما بالسنانير وغيرها من الأدوات لصيد أسماك المياه العميقة. نحن أدرى بالصيد يا سيدي!

ولكن الرب من جانبه أراد أن يختبر الصيادون قدرته ومعرفته الكلية. فشاء كضابط الكل أن يكون هناك كنز من الأسماك، لا في مياه الشاطئ وإنما في المياه العميقة، ولا خلال الليل حيث تنشط الأسماك وإنما في رابعة النهار. هكذا دعاهم الرب للدخول إلى العمق للصيد.

■ "تعبنا.. ولم نأخذ شيئاً":

ولكن سمعان قال متحيراً "**يا معلم. قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً**".(٤)

في الأساس فإن التعب هو إحدى ثمار الخطية. وهكذا حكم الله على آدم "**بالتعب تأكل منها** (الأرض) **كل أيام حياتك**"، وعلى حواء "**بالوجع تلدين أولاداً**" (تك٣: ١٦، ١٧). وصار التعب عنصراً طبيعياً في حياة الناس مرتبطاً بالنشاط اليومي في البيت والدراسة والعمل، وتحمل المسئولية وأداء الواجب، ونحتاج بعده للراحة أو النوم كي يتجدد النشاط. والتعب في أحد جوانبه نعمة يتمناها أسير الفراش والعجز. وعلى من يختبر التعب، مهما كان ثقيلاً، أن يشكر الله أنه لا يزال قادراً على تحمل أعباء الحياة.

مع هذا فأن هذا التعب إن ظل قاصراً على أمور العالم والجسد فهو تعب باطل ونهايته الموت. ولكن الرب الذي شاركنا التعب جعله سبباً للبركة إن اتصل به وصار لحسابه، ومن أجل ملكوت السموات، خاصة تعب الخدمة والكرازة وأعمال المحبة. وبغير حضور الله في جهدنا وتعبنا، فمهما امتلكنا فالكل باطل وقبض الريح، ومهما نلنا من المتع وألوان السرور فليس هناك في نهاية المطاف غير الضحالة والبرودة وخوف المرض والموت "**إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون**" (مز ١٢٧: ١).

---

(٤) يخدم فصل هذا الإنجيل أيضاً موضوع "**نحن أيضاً تلاميذ**" الخاص بإنجيل قداس الأحد الثالث من شهر هاتور (ص ١١٨) من هذا الكتاب، وأيضاً مقال "**تعب وتعب**" في **الكتاب الثامن** من **نور الحياة** (ص ٩٢).

■ **" على كلمتك " :**

على أن بطرس أذعن لكلام السيد، رغم مخالفته لما ألِفه من أصول الصيد، وأظهر طاعة وتسليماً وهو يضيف "**ولكن على كلمتك ألقي الشبكة**".

نعم .. قد يكون الأمل قد تراجع، والرؤية غائمة، والطاقة لم تعد هناك، ولكن هذا لا يعني أن نستسلم للواقع ونندب حظنا. بل أن نرفع عيوننا إلى فوق مصدّقين على وعد الله وقدرته على التدخل، وعلى كلمته نلقي شباكنا، أو نقدم مشروعنا، أو نتقدم للامتحان، أو حتى المحاكمة.

والرب صنع معجزات كبرى ولكنه، وهو الذي لا يحتاج لأحد، كان يطلب أثناءها من الناس أن يشتركوا معه في العمل كي لا يركن أحد للكسل ، أو أن يستسهل الأخذ دون أن يتعب. ففي أول معجزاته عندما حول الماء خمراً طلب أن يملأوا الأجران ماء (يو٢: ٧)، وهو أطعم الآلاف مما قدموه من الخبز والسمك (مت ١٤: ١٨، ١٥: ٣٦، مر٦: ٣٨، ٨: ٥-٧، لو ٩: ١٣، يو ٦: ٩)، وهو طلب من الأعمى أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام (يو٩: ٧)، ويوم أقام لعازر طلب أن يرفعوا الحجر (يو١١: ٣٩)، ويوم دخوله أورشليم أرسل في طلب الجحش وهو يقول أن "**الرب محتاج إليه**" (مر١١: ٣، لو ١٩: ٣١).

هكذا طلب الرب من الصيادَيْن أن **يُلقيا شباكهما للصيد**، كما طلب أن **نحمل نيره علينا** (مت١١: ٢٩) (وإن كان في الحقيقة هو يحملنا مع نيره)، وأن **نجتهد** (لو١٣: ٢٤)، وأن **نعمل** (يو٦: ٢٧)، وأن يؤدي كل منا واجبه.

مع الطاعة، ألقى بطرس وأندراوس الشِباك، فجاءت البركة والنعمة

الفائضة من مصدر كل بركة ونعمة "**ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرق**"(٥).

هنا ينضم إلى المشهد مدعوون آخرون للحياة الأبدية. فالخير كان أكثر من القدرة. هكذا نادى بطرس وأندراوس على شركائهما في السفينة الأخرى، يعقوب ويوحنا ابني زبدي، "**فأتوا وملأوا السفينتين حتى أخذتا في الغرق**".

الشِباك تتخرق.. والسفينتان أوشكتا على الغرق! من يصدق أن هذا يحدث بعد تعب الليل كله دون أن يأخذوا شيئاً ؟!

■ "أُخرج من سفينتي" :

أجتاح بطرس إحساس بصغر نفسه وبمدى الفارق بينه وبين المعلم، فيخر ساجداً عند ركبتي يسوع طالباً خروجه من سفينته، لأن خاطئاً مثله لا يستحق أن يكون الرب في سفينته. نفس المشاعر جالت في نفس قائد المئة الذي دعا السيد لشفاء غلامه. فلما عرض يسوع أن يأتي ويشفيه، قال الرجل "**يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي**" (مت٨: ٨، لو٧: ٦).

---

(٥) منذ القديم اختار المسيحيون الأوائل "**السمكة**" رمزاً يميّزهم ويتعرفون به على أقرانهم خاصة خلال قرون الاضطهاد.. فالتلاميذ الأوائل كانوا صيادي سمك والرب صنع معهم أكثر من معجزة لصيد السمك الكثير (مت٤، مر١، لو٥، يو٢١: ٦)، ولكنه دعاهم كي يصطادوا الناس مثله (مت٤: ١٩، مر١: ١٧، لو٥: ١٠) ومكتوب أن الرب عند ظهوره لتلاميذه بعد قيامته أكل قدامهم "**جزءاً من سمك مشوي**" (لو٢٤: ٤٢، ٤٣)، وفي مرة أخرى أعطاهم من السمك الكثير الذي اصطادوه بحسب أمره (يو٢١: ١٤).

وكما نعرف فالأسماك الصغيرة تفقس أو تولد في الماء والمسيحيون يولدون من الروح في ماء المعمودية. فإذا أتينا إلى اسم السمكة باليونانية ΙΧΘΥΣ (ichthus) Ichthys فحروف اسمها هي الحروف الأولى من اسم المسيح وصفته: "**يسوع المسيح ابن الله مخلص**" = **ايسوس خريستوس ايوس ثيئوس سوتير**".

لم يكن في الأمر مبالغة، فهذه هي الحقيقة بالفعل. ومكتوب أن "الله بيّن محبته لنا **لأنه ونحن بعد خطاة** مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٨). بل وأكثر من ذلك فالرب يقول "**هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي**" (رؤ٣: ٢٠). فهو الذي يأتي أمام الباب ويقرع وينتظر فتح الباب لكي يدخل ويقيم.. وهو يأتي ومعه العشاء!

ما أبهج هذه اللحظة عندما تنكشف لنا حقيقة أنفسنا أمام "**نور العالم**". ورد الفعل عند بطرس كان الاعتراف بالخطية وإعلان التوبة، وهذا ما ينبغي أن يكون من كل خاطئ منا عند تواجهنا أمام "**القدوس البار**" (أع ٣: ١٤) "**الذي لم يعرف خطية**" (٢كو٥: ٢١).

■ " لا تخف. من الآن تكون تصطاد الناس " :

الآن جاءت ساعة الدعوة للانتقال من صيد السمك السنين الطوال إلى صيد الناس لحساب ملكوت السموات. وفي إنجيل متى يقول الرب لبطرس وإندراوس "**هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس**" (مت٤: ١٩). فلكي يزيل مخاوفهما من هذه القفزة، مما تعودا عليه وتوارثاه عن أبائهما، إلى الجديد المجهول، يقول الرب لهما "**هلم ورائي**"، أي أنه سيكون أمامهما قائداً، وأنه هو الذي سيعلمهما، ويهبهما القوة والنعمة، لكي يكرزا بالخلاص، ويجعلهما يصطادا الناس من بحار الظلمة والموت ليدخلوا إلى الحياة الأبدية. وهو سيكون لهما الباب والطريق والسند.

والدعوة طالت أيضاً **يعقوب ويوحنا ابني زبدي** اللذين جاءا للمساعدة في جمع السمك وامتلأت سفينتهما هما أيضاً.

في هذه الساعة رأى الرب الصيادين الأربعة البسطاء وقد صاروا قادة الكنيسة التي ستمتد إلى أقصى الأرض. ودعوة المسيح حملت معها قوتها وتصديقها والثقة في قدرة الداعي أن يجعل منهم بالفعل صيادين للناس رغم أنهم كانوا عاطلين من مؤهلات هذه المهمة. من هنا، لما انفتحت أعينهم على حقيقة من يدعوهم، لم يحتاجوا أن يستشيروا لحماً ودماً (غل١: ١٦)، أو أن يحسبوا حساب النفقة، وهم يفقدون وسيلة عيشهم، بل انهارت كل التحفظات والمخاوف مما ينتظرهم ولا يعرفوه.

■ "تركوا كل شئ وتبعوه":

هكذا كان الرد على دعوة المسيح لما جاءوا بالسفينتين إلى البر: "**فللوقت**" أي على الفور، تركوا السفن والشباك والصيد الوفير والمهنة والماضي كله. فقد سقطت داخلهم كل مقاومة أو تحفظ، وساندتهم النعمة كي يدركوا مجد الانتقال من جهاد الأرض الذي نهايته الموت إلى خدمة السيد ملك الملوك ورب الأرباب، وكرازة العالم بالملكوت والحياة الأبدية.

وبالنسبة **ليعقوب ويوحنا**، ففيما تخليا عنه من أجل الدعوة، فقد تركا أيضاً أباهما الشيخ الذي كان يساعدانه في العمل من أجل لقمة العيش، والذي كان سنداً لهما كما كانا سنداً له. وكما ارتضى الأب زبدي بما انتهى إليه ابناه ولم يؤاخذهما وقد تركاه لكي يحمل العبء كله وحده، لم يتعللا هما أيضاً بمساعدة أبيهما وحاجته إليهما للتهرب من دعوة الله. وهكذا نجح الأب وابناه في اختبار محبة الله.

وبحسب وصية الرب، فإن تبعيته تقتضي الإخلاء والتحلل من قيود الحياة القديمة وترك كل ما يربط بالماضي. وكما ترك الصيادون **كل شئ**،

ترك **لاوي** العشار **مكان الجباية** لما دعاه الـــرب (مـــت٩:٩) وتركـــت **السامرية جرتها** عند البئر (يو٤: ٢٨). وتبعية الرب لا تتطلب الخروج من العالم (١كو٥: ١٠)، وإنما خروج العالم من القلب.

وقد يبقى الكثيرون منا، من الذين يظنون أنهم يتبعون الـــرب، علـــى تحفظهم في علاقتهم معه. فليس عندهم غير الشُح: في الحـــب والعطـــاء والخدمة. ويؤمّنون حياتهم بكل السبل المادية، ولا ثقة لهم في أي وعد من وعود الله، ويستخدمون كل الحيل للتخلص من مشاكلهم ولو بالكـــذب والرشوة وتجاوز القوانين. إلى أن يشرق في قلبهم، إثر تجربة مرة أو خسارة فادحة أو بفشل خططهم، نور إيمان حقيقي يعتدل بـــه مســـار حيـــاتهم، ويصحح علاقتهم بمخلصهم الغني، فيختبروا الاتكال على ذراعه الرفيعـــة، وتتصاغر ثقتهم في المال أو السلطة أو الناس، ليصير الرب مركـــز القـــوى الوحيد في حياتهم "**الرب نوري وخلاصي ممن أخاف الرب حصن حياتي ممن أرتعب**" (مز٢٧: ١)؛ "**الرب قوتي ونشيدي وقد صـــار خلاصـــي**" (خر ١٥: ٢).

ماذا صار إليه الصيادون لما تركوا كل شئ وتبعوا الرب؟

لقد سأل التلاميذ الرب فيما بعد "**ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا؟**" فأجابهم "**الحق أقول لكم، أنتم الـــذين تبعتمـــوني، في التجديد** (أي في مجيئه الثاني والحياة الأبدية)، **متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده: تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أســـباط إسرائيل الاثنى عشر**" (مت١٩: ٢٧، ٢٨).. بل أن اسماءهم ســـيحملها

سور المدينة السماوية "**وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثنا عشر**" (رؤ٢١: ١٤).

فما تركه التلاميذ لا يُقاس بما أخذوه. فهم لم يفوزوا فقط برفقة "**الملك**" و"**السيد**" وخدمته والكرازة للعالم باسمه، ولكنهم صاروا أسباط إسرائيل الجدد الذين يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم (مت١٣: ٤٣).

ولكن الله لم يغفل عن سائر المؤمنين الذين تركوا هم أيضاً لما تبعوه. وهذا هو وعده الذي استكمل به وعده لتلاميذه "**وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي (لأجلي وأجل الإنجيل)، يأخذ مائة ضعف (الآن في هذا الزمان، بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً، مع إضطهادات) ويرث (في الدهر الآتي) الحياة الأبدية**" (مت١٩: ٢٩، مر١٠: ٢٩، ٣٠).

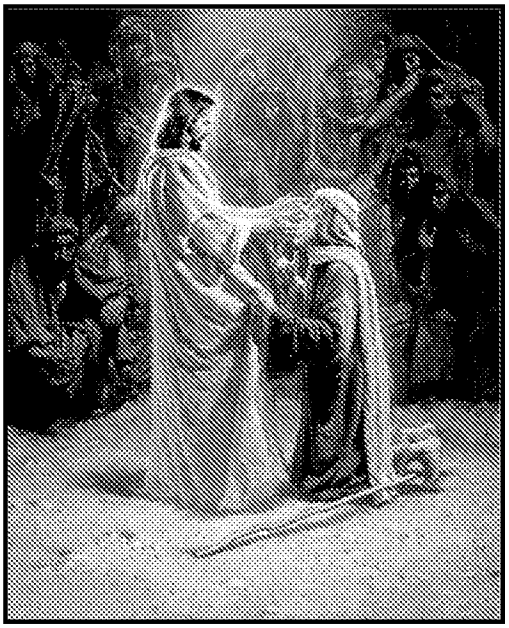

"حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر"
(مت١٢: ٢٢)
(انظر الصفحة المقابلة)

الأحد الثالث من شهر بابه

شفاء مجنون أعمى أخرس

البيت المنقسم

عشية مز ٧١: ٥- ٧ مر ٤: ٣٥-٤١
باكر مز ٥٧: ٨- ١٠ لو ٢٤: ١-١٢
البولس : ١٦: ١٢-٢٤
الكاثوليكون : يع ٤: ٧-١٧
الإبركسيس : أع ١٥: ٤-١٢

مز ٧١ : ٧، ٨

الإنجيل : مت ١٢ : ٢٢ - ٢٨

(هو أيضاً إنجيل قداس الأحد الثالث من شهر بؤونة)

[٢٢حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. ٢٣فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا:«أَلَعَلَّ هذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟» ٢٤أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا:«هذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ». ٢٥فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ. ٢٦فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدِ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ ٢٧وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ! ٢٨وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!]

في محاولة لإنكار سلطان الرب على الأرواح النجسة وقدرته على إخراج الشياطين من النفوس التي استولوا عليها، قال الفرِّيسيون عن الرب إنه لا يُخرج الشياطين إلاَّ ببعلزبول رئيس الشياطين. فردَّ الرب على المتقوِّلين نافياً اتهامهم بكلماته المشهورة: "**كل مملكة منقسمة على ذاتها تُخرب. وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت** (**أو** يسقط)" (مت ١٢: ٢٥؛ مر ٣: ٢٤،٢٥؛ لو ١١: ١٧).

وإذا كان الرب يقصد أنه لا يمكن لشيطان أن يُخرج شيطاناً وإلاَّ انهارت مملكة الشياطين، فهو في نفس الوقت يُلفت الأنظار إلى **خطورة الانقسام وأهمية الوحدة** على مستوى العالم والدولة والبيت.

■ خطورة الانقسام:

خبرة التاريخ تقول إن انقسام **العالم** إلى معسكرات معادية قاد إلى الحروب والويلات والدمار والموت، فضلاً عن ملايين الجرحى والمشوَّهين والأرامل والأيتام والنازحين. وحتى بعد توقُّف النيران، عرفنا تعبير "الحرب الباردة" أي الحرب المستمرة ولكن بغير الأسلحة التقليدية.

والدول والأمم التي تنقسم إلى فئات وأحزاب تتناحر سعياً للحكم والسلطة مهما كانت الخسائر والضحايا، يدبُّ الضعف في أركانها، فيحل الصراع ويضيع الاستقرار والاستقلال.

وعلى مستوى **الكنيسة**: فبسبب حب الرئاسة والذات وغياب المحبة والاتضاع ومحاولة إرضاء رؤساء العالم، انقسمت الكنيسة إلى شرقية وغربية، وسيق بطاركة إلى المنافي والسجون، وآخرون طُردوا من شركة الكنيسة الجامعة فأسَّسوا كنائس منشقَّة تختلف عن الإيمان الرسولي. ومع

التحرُّر من الشركة وعدم الالتزام، تفتتت الكنائس وكثرت البدع، وظهر فيما بعد السبتيون وشهود يهوه وغيرهم.

وإذا أتينا **للعائلة** : فضعف المحبة وتدهورها، والخصومة والشقاق بين الزوجين أو بينهما وبين أولادهما، أو بين الإخوة والأقارب؛ يؤدِّي إلى انسحاب السلام والفرح، وحلول التعاسة والمرض والوصول إلى المحاكم، وربما الجريمة والسجون وانهيار البيوت، والضحايا في أحيانٍ كثيرة هم الصغار الأبرياء: "**لأنه حيث الغيرة والتحزُّب، هناك التشويش وكل أمر رديء**" (يع ٣: ١٦).

وعلى مستوى **الفرد**، فإنَّ تسلُّط الجسد على الروح (رو ٨: ٦،٧،١٣؛ غل ٥: ١٧) يقود إلى تمزُّق القلب وتبدُّد السلام والتخبُّط في المسير: "**من أين الحروب والخصومات. أليست من هنا من لذَّاتكم المُحاربة في أعضائكم... تطلبون ولستم تأخذون، لأنكم تطلبون رديا لكي تنفقوا في لذَّاتكم. أَمَا تعلمون أن محبة العالم عداوة لله**" (يع ٤: ١،٣،٤).

وإذا كان الانقسام خطراً يجب تفاديه والإفلات منه، فالوحدة هدف عظيم ينبغي السعي إليه والعمل من أجله. فالتضافر والتعاون والحب والعمل معاً في انسجام يؤدِّي على كل مستوى إلى القوة والنجاح والانتصار، ودوام التقدُّم والاستقرار، والسلام والسعادة، والنمو وتحسُّن مستوى المعيشة، والصمود أمام الأعداء والتجارب حتى النصر. فالاتحاد هو دوماً قوة والتفرُّق ضعف، وحزمة العصي لا يمكن كسرها بينما يمكن قصف كل منها منفردة (كما تحكي القصة الشهيرة!).

■ مصادر الانقسام:

كما ذكرنا قبلاً، فالانقسام أحد الثمار المُرَّة **للسلوك الجسدي**. فالنفس المتغرِّبة عن الله يقودها الشيطان ويجعلها تتمحور حول ذاتها Egocentric ويتملَّكها الكبرياء، فترفض الآخر وتتعالى عليه، تُحقِّره وتشوِّه سمعته بالنميمة والاغتياب والانزلاق إلى التحدِّي والعناد وإعلان العداء سعياً للانتصار على الآخر، وإن كان الانقسام في الحقيقة هو هزيمة للجميع.

وفي رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إدانة لانقسام الكنيسة بسبب التحزُّب للقيادات: **"فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق، ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر. لأنه متى قال واحدٌ: أنا لبولس وآخر أنا لأبلُّوس، أفلستم جسديين"** (١كو ٣: ٣،٤).

والكتاب يذكر عدة مواقف تنافس فيها التلاميذ على المكان الأول:

+ **"تقدَّم التلاميذ إلى يسوع قائلين: فمَن هو أعظم في ملكوت السموات"** (مت ١٨: ١).

+ "وجاء إلى كفر ناحوم، وإذ كان في البيت سألهم: بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم في الطريق. فسكتوا لأنهم تخاطبوا في الطريق بعضهم مع بعض **في مَن هو أعظم؟**" (مر ٩: ٣٣،٣٤)

+ **"وكانت بينهم مشاجرة، مَن منهم يظن أنه يكون أكبر"** (لو٢٢: ٢٤).

+ "ولما سمع العشرة **ابتدأوا يغتاظون من أجل يعقوب ويوحنا"** (مت ٢٠: ٢٤، مر ١٠: ٤١).

■ الطريق إلى الوحدة وتفادي الانقسام:

الذين يحيون الإيمان والتوبة وحِفظ كلمة الله يهبهم الروح **"السلوك الروحي"**. فهو الذي يحفظ الوحدة والسلام ويسعى إليهما ويتفادى ما يُسبِّب الانقسام والفُرقة:

"مَن ليس معي فهو عليَّ، ومَن لا يجمع معي فهو يُفرِّق" (مت ١٢: ٣٠؛ لو ١١: ٢٣)؛

"مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام" (أف ٤: ٣)؛

"اسلكوا بالروح، فلا تُكمِّلوا شهوة الجسد" (غل ٥: ١٦)؛

"إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد، فستحيون" (رو ٨: ١٣).

كيف يُشكِّل السلوك الروحي حجر الزاوية في تحقيق الوحدة وتفادي الفُرقة أو إجهاضها على مستوى الكنيسة والأسرة والفرد؟

(**١**) من أساسيات السلوك الروحي **إنكار الذات**، الذي جعله الرب شرطاً أوليّاً لتبعيته (مت ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ لو ٩: ٢٣) الذي هو الخطوة الأولى لتنفيذ وصية **محبة الله ومحبة القريب. والمحبة هي الضمان الأول للوحدة وعدم الانقسام، والخروج من الذات إلى الآخر والحرص عليه وتفضيله وليس فقط قبوله.** وإلى كلمة الله:

"المحبة لا تصنع شراً للقريب، فالمحبة هي تكميل الناموس" (رو١٣: ١٠)؛

"مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة... اقبلوا بعضكم بعضاً" (رو ١٢: ١٠؛ ١٥: ٧)؛

"لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر" (١كو ١٠: ٢٤)؛

"كما أنا أيضاً أُرضي الجميع في كل شيء، غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا" (١كو ١٠: ٣٣)؛

" لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً" (في ٢: ٤)؛

" فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتهب رجلها" (أف ٥: ٣٣).

ثم هذا القانون الذهبي الإيجابي:

"وكما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا" (لو ٦: ٣١).

(**٢**) وجه آخر من السلوك الروحي وإنكار الذات هو **الاتضاع**، أساس الفضائل، الذي طلب الرب أن نقتنيه مقتدين به: **"تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم"** (مت ١١: ٢٩)، **"لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم، تصنعون أنتم أيضاً"** (يو ١٣: ١٥)، **"اذهب واتكئ في الموضع الأخير"** (لو ١٤: ١٠)، **"إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فيكون آخر الكل وخادماً للكل"** (مر ٩: ٣٥)، **"الكبير فيكم ليكن كالأصغر، والمتقدِّم كالخادم"** (لو ٢٢: ٢٦).

وكما يفتح الاتضاع الأبوابَ للتآلف والتلاقي وتعميق الشركة، فإنه يُقلِّص أسباب الاختلاف والتنافُس والغضب، ويُطفئ نيران البغضة

والانتقام وتصاعُد الأحداث إلى نقطة اللاعودة.

وعلى المستوى الفردي والجماعة الصغيرة، **فالمتضعون قادرون بنعمة الله على الاحتمال والصبر والتسامح والتوبة والغفران والاعتذار، بما يمنع تردِّي المواقف وتفكُّك الجماعة .**وحتى إذا نجح العدو في إحداث الانقسام، فالاتضاع بعد المصالحة يُرمِّم العلاقات ويُعيد السلام.

كما أن الاتضاع هو المدخل والطريق الرئيسي إلى قبول الكنائس لبعضها وتقدير كل منها لدور الأخرى، وهو يتيح التنازلات فيما لا يتعارض مع الإيمان من أجل وحدة كنائس المسيح:

"بكل تواضع ووداعة وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة" (أف ٤: ٢)؛

"وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين، كما سامحكم الله أيضاً في المسيح" (أف ٤: ٣٢)؛

"محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحدٍ شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً" (كو ٣: ١٣).

(**٣**) الإنسان الروحي يجمع مع المسيح ولا يُفرِّق (مت ١٢: ٣٠؛ لو ١١: ٢٣)، وهو لذلك يسعى للاتفاق ورؤية ما هو إيجابي في الرأي الآخر (وليس فقط يلتقط ما هو سلبي، كما يفعل أصحاب العين الشريرة – مت ٢٠: ١٥)، ولا يبادر بالاختلاف أو الانفراد بالمواقف، بل إنه قادر في نعمة الاتضاع على التنازُل والتراجُع من أجل وحدة الكنيسة أو البيت والحفاظ عليها وعليه. فالراعي الصالح **يبذل نفسه عن الخراف، والأجير يهرب** (يو ١٠: ١١-١٣)، **والملتزم الشاعر بمسئوليته يُضحِّي، والأناني**

قصير النظر (٢بط ١: ٩) **لا يبالي بانقسام الجماعة ولا يهمه انهيار البيت، ويغفل حتى عن خسارته المحتملة.**

وتحضُرنا هنا **قصة سليمان الحكيم مع المرأتين** (١مل ٣: ١٦-٢٧) اللتين كانتا تتنازعان أمومة طفل. فقد ولدت كل منهما طفلاً، ولكن توفي أحدهما (عندما اضطجعت عليه أُمه أثناء نومها ليلاً). ووقفت الاثنتان أمام سليمان وكل منهما تدَّعي بنوَّة الطفل الحي. فماذا فعل الملك الحكيم؟ قال: "**اشطروا الولد الحي اثنين، وأعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للأخرى**". وتكشَّفت الحقيقة. فالأُم الحقيقية "لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها"، هكذا قالت للملك: "**أعطوها الولد الحي ولا تُميتوه**". أما الأُم المدعية فقالت: "لا يكون لي ولا لكِ، اشطروه".

فالأُم غير الحقيقية (ومثلها كل المنشغلين بذواتهم وكرامتهم) لم تُبال أن يتمزَّق طفل غيرها، المهم أن تُحرم المرأة الأخرى من طفلها كما فقدت هي طفلها.

(٤) تهب النعمة للروحيين ضبط النفس ("التعفُّف" - غل ٥: ٢٣)، وتفادي التناطُح والصراع، وكبح جماح الغضب ولجم اللسان (الذي "**هو شرٌّ لا يُضبط، مملوٌّ سُمّاً مُميتاً**" - يع ٣: ٨)، ولكنها تهبهم أيضاً الكلام الليِّن (الذي "يصرف الغضب" - أم ١٥: ١) مما يوقف الانهيار ويفتح باباً للانفراج:

" **إن كان أحد لا يعثر في الكلام، فذاك رجل كامل قادر أن يُلجم كل الجسد أيضاً**" (يع ٣: ٢)؛

" **ليكن كل إنسان مُسرعاً في الاستماع، مُبطئاً في التكلُّم، مُبطئاً في الغضب، لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله**" (يع ١: ١٩، ٢٠)؛

" **لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أُجازي يقول الرب**" (رو ١٢: ١٩)؛

"**اغضبوا ولا تُخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تُعطُوا إبليس مكاناً**" (أف ٤: ٢٦)؛

" **وإن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما** (فهذا أفضل مبدئياً من تعدُّد أطراف الحوار، ويتيح مصارحة مفيدة قد لا يسمح بها وجود آخرين). **إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع، فخُذ معك أيضاً واحداً أو اثنين** (كوسطاء أو شهود) ...**وإن لم يسمع منهم** (رغم هذا) **فقُل للكنيسة** (أي وسِّط الخادم أو الكاهن). **وإن لم يسمع من الكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار** (أي تتوقَّف عن معاملته التي تُسبِّب المشاكل دون اغتيابه أو كراهيته)" (مت ١٨: ١٥-١٧).

(**٥**) لحماية الوحدة، يجب استئصال دواعي الانقسام: أي استبعاد العضو – الصديق – القريب – الطرف – الشيء – الموضوع المُسبِّب للضيق والتعب والانقسام، بمعنى تحييده ووقف تأثيره بكل وسيلة (إلاَّ عند خروجه عن الإيمان، فهنا ينبغي رفع الأمر إلى آباء الكنيسة) دون طرده والتشهير به. وحتى القديس بولس عندما أوصى بعزل الخبيث (١كو ٥: ١٣) لدرء المفاسد وحماية الجو الكنسي من التلوُّث، فإنه أوصى تالياً بأن يكون هذا الاستبعاد مؤقتاً. فالهدف أولاً وأخيراً هو الردع والتقويم والحث على التوبة، فالعودة (٢كو ٢: ٥-١١).

وفي كل الحالات، فإن بقاء الشخص أو الأمر المُسبِّب للانقسام دون معالجة هو خطر على وحدة الجماعة وسلام القلب. ولابد من توبة المتسبِّب في الانقسام فقد سبَّب عثرة، ولابد من تخليه عمَّا جرح الوحدة (مثل الخيانة الزوجية أو خيانة الأمانة أو الطمع، وغيرها). وبالنسبة لانقسام القلب وتذبذبه وعدم استقامته، فلا بديل عن مواجهة النفس والاعتراف بالخطأ والتوبة.

رغم كل شيء، فلابد من الصبر على الشريك المخالف المتمرِّد، والصلاة من أجله وطلب تدخُّل روح الله: "**فغير المستطاع عند الناس، مستطاع عند الله**" (مت ١٩: ٢٦؛ مر ١٠: ٢٧؛ لو ١٨: ٢٧).

(٦) في شركة الجسد الواحد – الكنيسة – كلنا نحتاج لبعضنا بعضاً، وكل عضو له دوره وقيمته، فلا نهمل البعيدين أو الأعضاء الضعيفة، أو ذوي الإمكانات المحدودة، أو غير المنتظمين. فالتمييز في المعاملة بين الإقبال والإهمال هو واحدة من البذار التي لا يأتي من زرعها غير البذار المُرَّة. والرب في خدمته أكَّد على البحث عن الخراف الشاردة، وكما اهتم بالجموع لم يغفل عن الأفراد التائهة في برية الحياة وسعى وراءها، واحتمل ضعف تلاميذه وتخليهم عنه وقت آلامه وساندهم بقوة الروح، وسبى بهم المسكونة:

" **هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض، كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المُعطاة لنا**" (رو ١٢: ٤-٨؛ ١كو ١٢).

■ ملاحظات:

(١) من الأهمية بمكان أن يسعى الروحيون الحكماء **لصُنع السلام** بين المتخاصمين: "**طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون**" (مت ٥: ٩).

(٢) هناك **انقسام مُبارك** مطلوب لكي تصير الحدود واضحة بين الخير والشر، وبين البر والإثم، وبين حياة العالم وحياة الإيمان: "**ما جئتُ لأُلقي سلاماً بل انقساماً**" (لو ١٢: ٥١). وعودة الخاطئ ستتطلَّب انقساماً عن مجال الخطية للاتحاد بالله، وكل الذين اهتدوا إلى المخلِّص بعد طول الاغتراب، اضطروا أن ينقسموا على ذويهم وربما كل وطنهم كي يصيروا مؤمنين مُعيَّنين للحياة الأبدية.

(٣) **الوحدة لا تكون على حساب الحق**، ولا يصح أن نجتمع على باطل، فقد اتحد الكتبة والفرِّيسيون والغوغاء ضد المسيح وكانوا على باطل، ولكن قائد المئة واللص اليمين خالفوا هذا الإجماع. والمسيح لم يتفق على رجم المرأة الزانية رغم إجماع المتعصبين.

(٤) في تصدينا للدفاع عن الحق، ينبغي **الالتزام بالمحبة والاتضاع** ومحاولة إنقاذ الخاطئ من خطيته:

" **إذاً مَن يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط**" (**١**كو ١٠: ١٢)؛

" **مَن كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر**" (يو ٨: ٧)؛

"**أيها الإخوة، إن انسبق إنسان فأُخِذ في زلَّةٍ ما، فأصْلِحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت**

أيضاً. احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمِّموا ناموس المسيح" (غل ٦: ١،٢).

◎ ◎ ◎

■ طلبة:

"وحدانية القلب التي للمحبة فلتتأصل فينا... حِل تعاظُم أهل البدع، ونحن كلنا احسبنا في وحدانية التقوى" (القداس الإلهي).

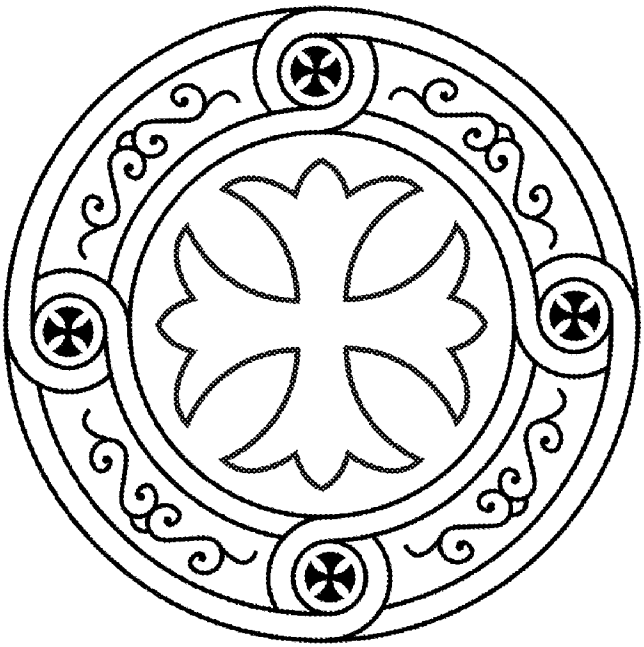

الأحد الرابع من شهر بابه

إقامة ابن الأرملة

اللـــه يتحنـــن

عشية مز ١١٩: ٧، ٨ مت ١٤: ٢٢-٣٦
باكر مز ٣٥: ١٨، ٢٨ يو ٢٠: ١-١٨
البـــولـــس : ١تي ٦: ٣-٢١
الكاثوليكون : يع ٤: ١٧- ٥: ١١
الإبركسيس : أع ١٥: ٣٦- ١٦: ٥

مز ٧٩: ١٣

الإنجيـل : لو ٧: ١١ - ١٧

[١١وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ. ١٢فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ، ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. ١٣فَلَمَّا رَآهَا الـــرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا:«لاَ تَبْكِي». ١٤ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَـــسَ الـــنَّعْشَ، فَوَقَـــفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!». ١٥فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَـــدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. ١٦فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ، وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ:«قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ». ١٧وَخَرَجَ هذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ.]

مثل كل يوم، الرب ينزل من الجبل حيث كان يقضي الليل كله في الصلاة ويبيت (لو ٦: ١٢؛ ٢١: ٣٧)، ويخرج من البيت (مت ١٣: ١) مُبكِّراً، ومعه تلاميذه، **"يطوف المدن كلها والقرى يُعلِّم في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب"** (مت ٤: ٢٣؛ ٩: ٣٥؛ لو ٨: ١). ولأن الجموع كانوا يُفتِّشون عليه (لو ٤: ٤٢) فسرعان ما يتقاطر الناس عليه ويزدحمون حوله، وكانوا أحياناً **"يمسكوه لئلا يذهب عنهم"**، وبينهم: مَن يريدون أن يسمعوا كلمة الله (لو ٥: ١؛ لو ٦: ١٧) [وأيضاً الذين يريدون أن يمسكوه بكلمة (لو ٢٠: ٢٠) ليكون لهم ما يشتكون به عليه (يو ٨: ٦)]، ومعهم طالبو الشفاء من المرضى والمُعذَّبين من الأرواح النجسة (لو ٦: ١٧،١٨).

وإذا كان الرب قريباً من بحر الجليل (طبرية) يمضي إلى شاطئه ويجلس، فإن تكاثر الناس يدخل إلى سفينة ويقف الجمع على الشاطئ ويبدأ يُعلِّم (مت١٣: ١-٣؛ مر ٤: ١،٢؛ لو ٥: ١-٣). أما في السبت فكان يذهب إلى المجمع أو الهيكل يُعلِّم ويُنير البصائر (مت ١٢: ٩؛ ١٣: ٥٤؛ مر ١١: ٢١؛ ٦: ٢؛ لو ٢: ٤٦؛ ٤: ١٥،١٦؛ ٦: ٦؛ ١٣: ١٠؛ ٢١: ٣٧؛ يو ٦: ٥٩؛ ١٨: ٢٠).

■ إلى نايين :

هذه المرة ذهب الرب من كفرناحوم (حيث كان قد شفى غلام قائد المائة: لو ٧: ١-١٠) جنوباً إلى مدينة **نايين**[1] الصغيرة، التي دخلت التاريخ لأن الرب صنع فيها واحدة من آيات محبته وتحنُّنه على البشر:

---

(١) نايين تقع على سفح جبل حرمون الصغير، وتبعد ٢٠ كيلومتراً جنوب بحر الجليل. و"نايين" كلمة عبرية معناها: جميلة أو مفرحة أو عذبة. وهي اليوم قرية صغيرة اسمها نين Nen .

"فلما اقترب إلى باب المدينة، إذا ميت محمول، ابنٌ وحيدٌ لأُمه، وهي أرملة ومعها جمعٌ كثيرٌ من المدينة" (لو ٧: ١٢).

هل كانت مصادفة أنَّ الرب وهو يقترب من باب المدينة[٢]، تخرج منه هذه الجنازة متَّجهة إلى خارج المدينة حيث المقابر؟ وهل الرب مثلنا يسير دون أن يعرف ماذا ينتظره (أع ٢٠: ٢٢)؟

في تعاملات الله، خاصة مع مؤمنيه، لا توجد مصادفات. فكل شيء مقصود بترتيب وعناية وبالضبط. وعندما يأتي الرب وقت احتياجنا ومعه المعونة في شخص قريب أو غريب، فهي ليست مصادفة، ولكنه مُرسَل من قِبَل السماء للخدمة استجابة للصلاة أو إدراكاً للاحتياج حتى بغير سؤال. وعندما يقترب الله منَّا طالباً المساعدة في شخص أحد إخوته الأصاغر، فهي ليست مصادفة، وإنما هي حضورٌ إلهي ودعوة لممارسة الإيمان وتفعيله. وهو ما يجري معنا كل يوم ويُدركه الروحيون أصحاب القلوب المفتوحة على السماء.

والرب لما اتَّجه إلى نايين جاء قاصداً الأرملة ذات القلب الكسير، يدفعه تحنُّنه الذي أحدره من مجده إلى أرض الناس لينتشلهم من موت الخطية وينقلهم إلى الملكوت الذي أعدَّه للذين يتَّقونه (لو ١: ٥٠).

■ "فلما رآها الرب تحنَّن عليها" :

أرملة فقدت زوجها من قبل، وها هي تفقد السند الباقي وحيدها الشاب[٣]، الذي كانت تدَّخره لقادم الأيام، لتُعاني بعده الوحدة والحاجة

---

(٢) يحيط بالمدن القديمة سور حجري (كما في أريحا وأورشليم) لحمايتها، وفيه أبواب للدخول والخروج تُغلَق ليلاً.

(٣) الحزن لموت الوحيد يُضْرَب به المثل في الكتاب على الحزن الشديد **"كحزن أُم على وحيدها"** (إر ٦: ٢٦؛ زك ١٢: ١٠) فماذا لو كانت أيضاً أرملة؟!

وتتزاحم في قلبها الأحزان. فأيُّ مأساة ساحقة هذه، وهي التي حرَّكت مشاعر الأقارب والجيران فرافقها هذا الجمع الكبير. والرب أيضاً، الذي شاركنا اللحم والدم، تحرَّكت أحشاؤه نحوها، وهو في تألُّمه مُجرَّباً قادر أن يرثي لضعفاتنا وأن يُعين المجرَّبين (عب ٢: ١٤،١٨؛ ٤: ١٥).

ومشاهِد تحنُّنه على الجموع أيام جسده (عب٥: ٧) يُسجِّلها الكتاب كثيراً. ومكتوب أنه: "**لما رأى الجموع تحنَّن عليهم، إذ كانوا متزعجين ومنطرحين كغنم** هائمة **(لا راعي لها)**" (مت ٩: ٣٥،٣٦؛ مر ٦: ٣٤). وكان بعد أن ينتهي من تعليم الجموع يُبدي اهتمامه باحتياجات أجسادهم، فيقول مرة: "**إني أُشفق على الجمع، لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون** (بعد أن نفد زادهم). **ولستُ أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يُخوِّروا في الطريق**" (مت ١٥: ٣٢)، فيُجري معجزة يُكثِّر فيها القليل من الخبز والسمك ليُشبع الجموع.

وفي تحنُّنه شفى المرضى (مت ١٣: ١٤)، وطهَّر البُرْص (مت ١٤: ١٤؛ مر ١: ٤١)، وفتح أعين العميان (مت ٢٠: ٣٤). وهو يتحنَّن لأن هذه هي طبيعته، فهو "**أبو الرأفة وإله كل تعزية**" (**٢**كو ١: ٣)، و"**كما يترأَّف الأب على البنين يترأَّف الرب على خائفيه**" (مز ١٠٣: ١٣). وهو تحنَّن على الأرملة رغم أنها لم تسأله، فربما لم يبلغ رجاؤها أن يُقيم ابنها من الموت، بل لعلها في ذهولها ودموعها لم تفطن إلى وجوده أصلاً، كما لم يَدْعُه أحدٌ مِمَّن حولها. ولكنه لم يكن يحتاج أن يُعرِّفه أو يسأله أحد لأنه يعرف ويقدر. وهو الذي تقدَّم إلى مريض بركة بيت حسدا الذي ظل قعيداً ثماني وثلاثين سنة، فأنهضه صحيحاً (يو ٥: ٦)؛ كما جاء إلى الأعمى

منذ ولادته وفتح عينيه (يو٩: ١).

ومع هذا فربما يتساءل البعض :**كيف يسمح الله المتحنِّن محب البشر بالآلام يجوز فيها محبوه؟** والحقيقة أنَّ الله، وإن كان يسمح بالآلام والتجارب، إلاَّ أنه لا يصنعها **"وهو لا يُجرِّب أحداً"** (يع ١: ١٣). والخطية التي تورَّط فيها الإنسان خضوعاً لإبليس هي مصدر تعاسته وضعفه وآلامه وموته، وهي التي كلَّفت الله تدبير الخلاص وأن يذوق الرب "الموت **...لأجل كل واحد**" (عب ٢: ٩). كما أن هناك العالم الظالم المضطهد الموضوع في الشرير، وضغوط الحياة على الأرض التي مصيرها الفناء. ولكن الله دائماً حاضر وسط الضيق يتدخل للإنقاذ (مز ٥٠: ١٥؛ ٩١: ١٥؛ ١١٨: ٥)، وهناك نعمته وقوته التي تَكمُل في الضعف (٢كو ١٢: ٩)، والتي تجعل **"كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله"** (رو ٨: ٢٨).

وهكذا تصير التجربة فرصة **"لكي تظهر أعمال الله"** (يو ٩: ٣) فيتمجَّد الله ويتشدَّد الإيمان. وفوق هذا فقد وهب الله مؤمنيه أن تكون آلامهم (خاصة تلك التي من أجل الإيمان) مشارَكةً للرب في آلامه (في ١: ٢٩؛ ٣: ١٠)، وفي النهاية تؤول إلى مجد أبدي (رو ٨: ١٧؛ ٢كو ٤: ١٧).

■ "وقال لها لا تبكي" :

في مثل هذه المواقف يجتهد الناس للتخفيف عن المحزونين بمشاركتهم في حزنهم، فقد يبكون معهم (رو ١٢: ١٥) أو يعزُّونهم بالكلمات، وقد يُناشدونهم أن يكفّوا عن البكاء ويتصابروا، ولكن ليس عندهم أكثر. ولكن

الرب المتحنِّن عندما يقول للأرملة: "**لا تبكي**"، فالأمر يختلف. فهو قادر أن يهب الرجاء الذي يُجفف الدموع، كما أنه قادر على غلبة الموت وانتزاع الشاب الميت من براثنه، لأن الرب هو "**القيامة والحياة**" (يو ١١: ٢٥). وهو المكتوب عنه أنه في آخر الأيام "**سيمسح كل دمعة**" من عيون الحزانى (رؤ ٢١: ٤)، وهكذا يتحوَّل الحزن إلى فرح لا يقدر أحد أن ينزعه (يو ١٦: ٢١،٢٢).

■ "ثم تقدَّم ولمس النعش" :

الرب يتقدَّم، فهو الذي يُبادر ويقرع الباب منتظراً مَن يفتح لكي يدخل إليه (رؤ ٣: ٢٠)، ثم "**لمس النعش**" فوقف الحاملون تهيُّباً وترقُّباً. ولأن فيه كانت الحياة، فلمسة يده جعلت الحياة تسري في الراقد في النعش، ونفسه التي كانت في الهاوية تعود لتتَّحد بالجسد البارد. وهكذا هتف الرب في الميت آمِراً :

■ "أيها الشاب لك أقول قُمْ" :

أي سلطان هذا الذي يأمر ميتاً أن يقوم؟ لعل الناس قالوا متعجبين: إنه يُخاطب ميتاً، وكيف يسمع الميت؟! إنه نداء في غير محله. والرب يأمر ولا يطلب من السماء أن تتدخل، كما نعرف عن غيره من رجال الله أصحاب المعجزات[٤]، ولكنه تصرَّف "**كمَن له سلطان**" (مت ٧: ٢٩؛

---

(٤) المشهد والكلمات يستدعي ما جرى قبل ما يقرب من تسعة قرون و**إيليا النبي** يواجه موقفاً مُشابهاً: أرملة فقيرة في صرفة صيدون صنعت له فطيرة وقت المجاعة ففاض الخير في بيتها؛ يمرض ابنها الوحيد ويموت فتجيء به أُمه إلى إيليا الذي لم يأمره أن يقوم، وإنما صلَّى ثم تمدَّد على الولد ثلاث مرات وسمع الرب له وقام الولد: "**فدفعه إلى أُمه**" (١مل ١٧: ٨-٢٤). وأيضاً ما حدث مع **أليشع النبي** في قرية شونم (القريبة من ناين!) حيث مات الابن الوحيد للمرأة التي كانت تعتني برجل الله (بعد أن أنعم به الله عليها بطلبة أليشع)، فيتضرَّع أليشع من أجله ويتمدَّد على الصبي مرتين كي تعود إليه الحياة (٢مل ٤: ٨-٣٧). **الأنبياء يتوسلون، ولكن الرب يأمر.**

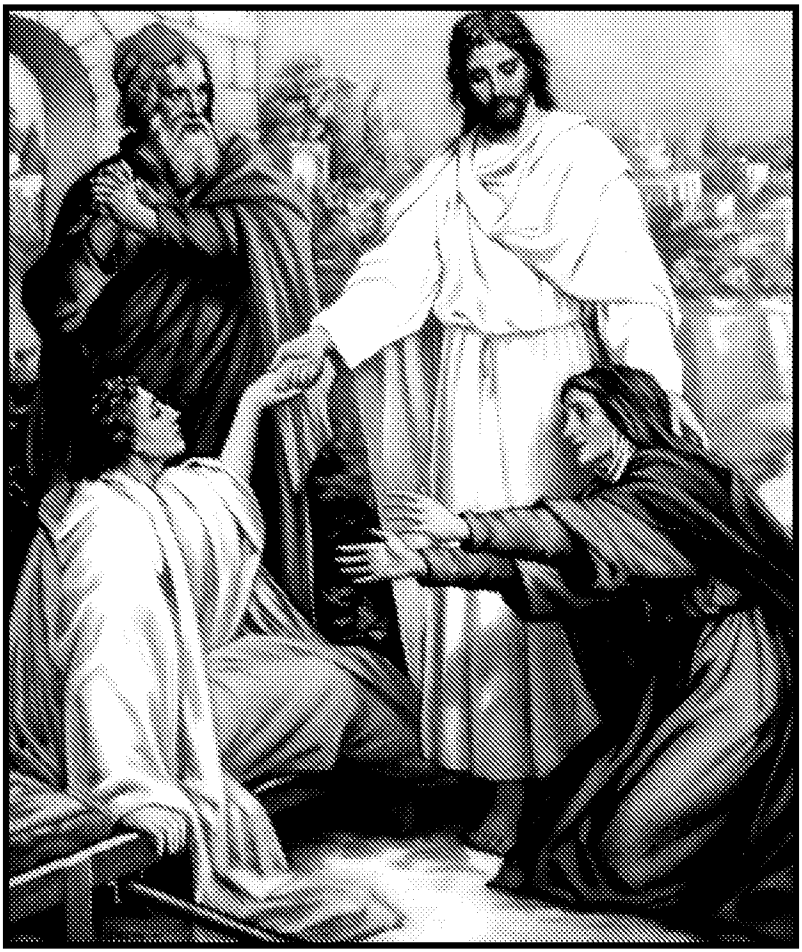

" أيها الشاب لك أقول قم " (لو ٧: ١٤)

مر١: ٢٢، ٢٧). وهو قد أظهر لنا أنه **كُلِّي القدرة** Omnipotent على الأمراض والأرواح الشريرة، وعلى الطبيعة بما فيها من رياح وأمواج ونباتات وحيوانات، وها هي قدرته تتبدَّى هنا على الموت الذي يخشاه الجميع (عب ٢: ١٥). وإذ يأمر الميت أن يقوم، ينهض على الفور نشطاً ملئه الحياة والقوة: يجلس ويتكلَّم مبهوتاً ويكون الرب أول مَن تكتحل به عيناه.

والرب هو نفسه الذي سيُخاطب الذين في القبور عند مجيئه فيهبُّون كذلك عند سماع صوته: "**فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة**" (يو ٥: ٢٨، ٢٩). وهذا هو وعده لكل مؤمنيه: "**وكل مَن كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد**" (يو ١١: ٢٥).

■ "فدفعه إلى أُمه" :

"**يا امرأة، هذا هو ابنك**". ربما كانت هذه هي الكلمات التي فاه بها الرب للأرملة، والتي قالها أيضاً فيما بعد على الصليب إلى أمه المكلومة وهو يودعها تلميذه **يوحنا** (يو١٩: ٢٦). ما أجمل هذه الهدية من الإله المتحنِّن. كفكفي دمعك. انتهت الأحزان وحلَّ الفرح والسرور والتأم الشمل، وانقشعت السحابة السوداء التي ظلَّلت المرأة الأرملة وأحالت حياتها ظلاماً مُقيماً.

كانت **إقامة ابن الأرملة**، أغلب الظن، هي أُولى معجزات الإقامة التي صنعها الرب، ومن هنا كان وقعها على الناس عظيماً **"وأخذ الجميع خوف"**؛ وإن تلتها معجزتا **إقامة ابنة يايرس** وهي لا تزال في فراشها (مت ٩: ١٨-٢٦؛ مر ٥: ٢٢-٢٤، ٣٥-٤٣؛ لو ٨: ٤٠-٤٢، ٤٩-٥٦) ثم، قُرب الصليب، **إقامة لعازر** (يو ١١: ١-٤٥) بعد أربعة أيام من موته. ولكن المفهوم أنَّ الرب أقام كثيرين (مت ١١: ٥)، بل إنه ساعة موته تفتَّحت القبور **"وقام كثير من أجساد الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدَّسة، وظهروا لكثيرين"** (مت ٢٧: ٥٢،٥٣).

كما وَهب الرب لتلاميذه وقدِّيسيه ومؤمنيه أن يعملوا مثل أعماله **"وأعظم منها"** (يو ١٤: ١٢)، وقال لهم: **"أقيموا موتى"** (مت ١٠: ٨). وهكذا أقام **القديس بطرس، طابيثا (غزالة)** صانعة الثياب للأرامل (أع ٦: ٣١-٤٢). كما أقام **القديس بولس** الشابَ **أفتيخوس** الذي كان قد غلبه النوم فسقط من الطابق الثالث ميتاً، فنزل إليه **القديس بولس** الذي كان يعظ واعتنقه فقام حيّاً (أع ٢٠: ٧-١٠). ولأن **"يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"** (عب ١٣: ٨)، فهو لا يزال يصنع المعجزات سواء بشخصه أو من خلال قدِّيسيه وخدامه.

■ "أنا هو القيامة والحياة" :

الرب في إقامته للموتى كان، من ناحية، يُعلن لاهوته وسلطانه على الحياة والموت مما جذب كثيرين إلى الإيمان مُمجِّدين الله قائلين: "**قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه**" (لو ٧: ١٦؛ يو ١١: ٤٥)؛ كما أن إقامة الرب للموتى، من ناحية أخرى، كانت إشارة إلى قيامة الأموات عند مجيء الرب في اليوم الأخير، وهي التي بشَّر بها كثيراً (يو ٥: ٢٤،٢٨،٢٩) والتي كفلها موته على الصليب وقيامته. والقيامة الأخيرة ليست كقيامة **ابن الأرملة وابنة يايرس ولعازر**. فهؤلاء بعد أن أقامهم الرب ماتوا، ولكنها قيامة الحياة الأبدية التي لا يعقبها موت (وإن كانت للأشرار قيامة الدينونة أي الموت الأبدي).

سنقوم كلنا، هكذا أنعم الله على مؤمنيه. ورغم قسوة الموت ومرارته ودموع الحزن التي لا نستطيع أن نمنعها عندما يُغيِّب الموت أحباءنا، ولكن ينبغي أن يكون للحزن سقف لا يتجاوزه، وأن نواجهه برجاء وعد القيامة الآتية حتماً (إر ٣١: ١٦؛ ١تس ٤: ١٣) كي لا ننطوي تحته.

❋ ❋ ❋

على أن معجزة المسيح الكبرى هي **إقامته للملايين من موت الخطية** على مدى القرون، وبعد موت الجسد الذي يسود على الجميع يقوم هؤلاء في حياة أبدية.

وقد كُنَّا كلنا موتى متغرِّبين عن الله فصرنا بالإيمان "**رعية مع القدِّيسين وأهل بيت الله**" (أف ٢: ١٩).

نعم، نحن أيضاً حدثت لنا معجزة إقامة من الموت!

أناجيل قداس آحاد شهر هاتور

+ الأحد الأول : مَثَل الزارع
+ الأحد الثاني : مَثَل الزارع
+ الأحد الثالث : تبعية المسيح
+ الأحد الرابع : الشاب الغني

الأحد الأول من شهر هاتور

مَثَل الزارع(*)

الأرض الجيدة

عشية مز ١٨: ٥، ٦ مر ٤: ١٠-٢٦
باكر مز ٦٥: ٩ مت ٢٨: ١-٢٠
البـــولـــس : ٢كو ٩: ١-٩
الكاثوليكون : يع ٣: ١-١٢
الإبركسيس : أع ١٠: ٣٧- ١١: ١

مز ٦٥ : ١٠، ١١

الإنجيـل : لو ٨ : ٤ - ١٥

[٤]فَلَمَّا اجْتَمَعَ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَيْضًا مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ، قَالَ بِمَثَل: [٥]«خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زَرْعَهُ. وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَانْدَاسَ وَأَكَلَتْهُ طُيُورُ السَّمَاءِ. [٦]وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الصَّخْرِ، فَلَمَّا نَبَتَ جَفَّ لأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ رُطُوبَةٌ. [٧]وَسَقَطَ آخَرُ فِي وَسْطِ الشَّوْكِ، فَنَبَتَ مَعَهُ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. [٨]وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الصَّالِحَةِ، فَلَمَّا نَبَتَ صَنَعَ ثَمَرًا مِئَةَ ضِعْفٍ». قَالَ هذَا وَنَادَى:«مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!». [٩]فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ:«مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا الْمَثَلُ؟». [١٠]فَقَالَ:«لَكُمْ قَدْ أُعْطِيَ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللهِ، وَأَمَّا لِلْبَاقِينَ فَبِأَمْثَال، حَتَّى إِنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَفْهَمُونَ. [١١]وَهذَا هُوَ الْمَثَلُ: الزَّرْعُ هُوَ كَلاَمُ اللهِ، [١٢]وَالَّذِينَ عَلَى

(*) كيف نثمر؟

الطَّرِيقِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، ثُمَّ يَأْتِي إِبْلِيسُ وَيَنْزِعُ الْكَلِمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِئَلاَّ يُؤْمِنُوا فَيَخْلُصُوا. [١٣]وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمُ الَّذِينَ مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ بِفَرَحٍ، وَهؤُلاَءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ، فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ، وَفِي وَقْتِ التَّجْرِبَةِ يَرْتَدُّونَ. [١٤]وَالَّذِي سَقَطَ بَيْنَ الشَّوْكِ هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ فَيَخْتَنِقُونَ مِنْ هُمُومِ الْحَيَاةِ وَغِنَاهَا وَلَذَّاتِهَا، وَلاَ يُنْضِجُونَ ثَمَرًا. [١٥]وَالَّذِي فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ، هُوَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ، وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ.﴾

في أول أمثاله الطويلة، تناول الرب هذا الأمر وقدَّم **مَثَل الزارع**، والذي استخدم فيه ببراعة عناصر البيئة المحيطة؛ مبيِّناً أن الزارع وهو ينثر البذار على الأرض، صادفت البذار أنواعاً من التربة لم تُثمر فيها، ربما نمت قليلاً ثم ذبلت واختنقت، ولكنها لما سقطت على الأرض الجيدة أعطت ثمراً.

ومن محبة الله أنه كمعلِّم أخذ يشرح لتلاميذه، ولنا من بعدهم، معنى المثل مبيِّناً أن **البذار** (أو الزرع) هي كلمة الله، التي يُلقيها **الزارع** وهو الرب نفسه (الكلمة اللوجوس) أو خادم الكلمة الذي يتكلَّم فيه الرب بالروح، وأن **الأرض** هي قلب المتلقِّي.

■ أربعة أنماط:

أورد الرب، بالمقابلة مع أنواع التربة التي سقطت عليها البذار، أربعة أنماط من السامعين: ثلاثة يمثِّلون صوراً من إيمان شكلي ضعيف خاضع لظروف الزمان، فأخفقوا في قبول الكلمة؛ والنمط الرابع، أصحاب الأرض الجيدة، وهم مَنْ قبلوا الكلمة بفرح، فأعطت ثمراً.

النمط الأول:

يُقابله حالة البذار التي سقطت على الطريق فداستها الأقدام أو أكلتها طيور السماء. وفسَّر الرب ما قاله أن الشرير يأتي ويخطف ما زُرع في القلب. وواضح أن أصحاب هذا النمط لم يبدأوا بعد حياة مع الله، فلا تربة هناك للنمو، والفكر نَهْبٌ لكل التيارات وألوان التسلية السطحية والأحاديث الفارغة. وإبليس من جانبه لا يسمح بأية بداية. إنه أولاً بأول ينتزع البذار من هذا القلب المستباح دون سياج أو حراسة. من هنا فالكلمة تَعبُر دون أن تستقر، والأفكار والاهتمامات الجسدية تستبعدها دون أن تترك أثراً.

النمط الثاني:

ويُقابله حالة البذار التي سقطت على الأماكن المحجرة، فلم تكن هناك تربة كثيرة. وفي غياب العمق والجذور تمَّ النبت سريعاً، ولكن ما إن أشرقت عليه الشمس حتى احترق وجفَّ، وبحسب تفسير الرب فإن هؤلاء هم العاطفيون السطحيون الذين يقبلون الكلمة حالاً بفرح ويؤمنون إلى حين، مختبرين عزاءً مؤقتاً. ولكن إذ ليس لهم عمق إيمان أو اختبار حقيقي، فإنهم ينهارون تحت وطأة التجربة والاضطهاد والضيق والمسئوليات والمشاغل اليومية ومرارة الحياة، فيَعثرون ويرتدُّون، حتى يُكرِّرون القصة من جديد، مَثَلهم في ذلك مَثَل كثيرين قبلهم سمعوا المسيح على الأرض وفرحوا بالكلام ثم نسوه دون أن يخلصوا: **"لأنه إن كان أحدٌ سامعاً للكلمة وليس عاملاً، فذاك يُشبه رجلاً ناظراً وجه خِلْقته في مرآة، فإنه نظر ذاته ومضى، وللوقت نَسِيَ ما هو"** (يع ١: ٢٣و٢٤).

النمط الثالث:

ويُمثِّله حالة أرضٍ يُغطيها الشوك. فالبذار تنبت ومعها الشوك يخنقها، وهم أولئك الذين يقبلون الكلمة، ولكن هموم هذا العالم بأنواعها وغرور الغِنَى وشهوات الحياة ولذّاتها تخنق الكلمة فلا يظهر لها ثمر و"**حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً**" (مت ٦: ٢١). فالشاب الغني حفظ الوصايا، ومع هذا لم يقدر أن يتبع السيد بل مضى حزيناً (لو ١٨: ٢٣). والكتاب يُحذِّر أن **اهتمام الجسد ومحبة العالم هما عداوة لله** (رو ٨: ٧، يع ٤: ٤)، وأن "**الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله**" (رو ٨: ٨).

+ ونريد أن نؤكِّد هنا على دور عدو الخير في تعطيل خلاص هذه الأنماط الثلاثة بإجهاض فِعْل الكلمة في قلوبهم، فهو كالطيور آكلة الحَبّ، ينتزع الكلمة المزروعة في القلب "**لئلا يؤمنوا فيخلصوا**" (لو ٨: ١٢).

فهو صانع الضيق والتجربة والاضطهاد، وهو العدو المتسلِّل زارع الزوان في وسط الحنطة (مت ١٣: ٢٥و٢٨)، وهو وراء همّ هذا العالم وإغراء الغِنَى واللذات فتجوز عليهم الخديعة: "**ولا ينضجون ثمراً**" (لو ٨: ١٤).

النمط الرابع :

تقابله الأرض الجيدة المحروسة غير المدوسة، العميقة النظيفة دون أحجار تحت سطحها أو أشواك فوقها تخنق الزرع. هؤلاء هم "**الذين يسمعون الكلمة** (فيفهمونها) **ويحفظونها في قلب جيد صالح ويُثمرون بالصبر**" (لو ٨: ١٥): سلاماً وتوبة وفرحاً ومحبة وخدمة وطمأنينة من جهة الغد،

وانتقالاً من الأرضيات إلى السماويات، وتغييراً مطرداً يتصاعد من ثلاثين ضعفاً إلى مائة ضعف كل واحد حسب قامته.

■ جماعتان:

وكما نرى فالأنماط الأربعة تلتئم في جماعتين، **الأولى:** تضم الأنماط الثلاثة الأولى، والجماعة **الثانية:** هم أصحاب الأرض الجيدة. وقصد الرب أن يضع الجماعتين جنباً إلى جنب بحيث تكشف كل منهما الأخرى بالتضاد.

فالجماعة الأولى بطبيعتها واهتماماتها لا تتلاقى مع الكلمة أو إن التقت تحترق فيها الكلمة أو تختنق.

والجماعة الثانية تمثِّل - بالضِدّ - النفوس التقية التي تحررت من ضغوط الحياة الجسدية، فهي تُرحِّب بالكلمة وتطيعها فتثمر فيها.

كما أن تعمُّد الرب أن يُفصِّل في أنماط الجماعة الأولى لم يكن بلا هدف، فهو ولا شكّ يقصد مساعدتها أن تكتشف هويتها، ويعرف كل نمط الأسباب وراء هذا الجمود والموات، وإجهاض النبتة بعد النمو القليل، أو لماذا برودة الحياة وفتورها وخضوعها للأباطيل، وتغرُّبها عن شخص المسيح وجماعة الخراف.

فهذه الأنماط ليس محكوماً عليها أن تبقى هكذا، ولكن توبة أصحابها بعد اكتشاف العقبات أمام فعل الكلمة تضمهم فوراً إلى أصحاب الأرض الجيدة إن أرادت:

+ فربما رجع أصحاب **النمط الأول** إلى أنفسهم يوماً يتساءلون عن جدوى هذه الحياة التي يدورون فيها مسلوبي الإرادة موثقي الأيدي

مغمضي العينين. فهم في الكنيسة كأنهم زائرون أو عابرو سبيل أو غافلون يدخلون ويخرجون كما دخلوا. وقد يلتقون بالناس ولكنهم متغرِّبون عن صاحب العُرس.

نقول، ربما أدركتهم نعمة الله، فاكتشفوا أن إبليس هو العقبة التي تمنع سماعهم لصوت الله "**فيؤمنوا**" (لو ٨: ١٢)، وأن الرب المُحِب واقفٌ بالباب منذ زمان يقرع، وأن لهم أيضاً نصيباً عنده، فيهرعون بالتوبة إلى الرب قبل أن تمضي الحياة ويأتي الموت كما أتى لغيرهم، ويتعلَّمون كيف يحفظون قلبهم من الطيور المقتحمة، منصتين إلى الصوت "**فوق كلِّ تحفُّظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة**" (أم ٤: ٢٣)، ويصنعون له سوراً وباباً لا يفتحه إلاَّ مَن بيده مفاتيح الحياة والموت.

+ وربما تأسَّف أصحاب **النمط الثاني** على هذه الحياة الفاترة التي لا تكاد تفرح بعشرة الله حتى يرتدُّون إذا سطعت عليهم شمس الاضطهادات. وهم يُقارنون أنفسهم بإخوتهم المتقدِّمين الذين يختبرون حياة مستقرة في المسيح ويعيشون بالإيمان مردِّدين دوماً: "**مَن سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد...؟**" (رو ٨: ٣٥). وربما أدركوا قدرة الله على أن ينزع منهم قلب الحجر ويُعطيهم روحاً جديداً وقلباً جديداً (حز ١١: ١٩؛ ٣٦: ٢٦).

+ أما الذين تخنق الكلمةَ عندهم الشهواتُ وغرورُ الغِنَى وهمومُ الحياة، فقد اعتنى الرب وشخَّص لهم حالتهم، مُبيِّناً أنه إن لم يقوموا بتنظيف أرضهم من الأشواك والحشائش الضارة، فلن يُعاينوا يوماً فرحة لقاء الرب. وربما سمح الرب لهم بالمرض والألم الذي تذبل معه شهوة الطعام والجنس

وسائر لذَّات الحياة، ويصبح المال بلا قيمة غيرَ قادر على منح السعادة أو الشفاء؛ وعندها قد يلجأون إلى الكرَّام العظيم يسألونه أن يترع الشوك من أرض حياتهم حتى تواصِل الكلمة فِعْلها وتؤتي ثمرها، فينجون من الموت.

■ ولكن، للزارع دوره:

كما بَدَا من المَثَل، فإن تربة القلب هي العامل الرئيسي في قبول الكلمة وإثمارها. فالرب يُشرك المؤمن في مسئولية قبول الكلمة عندما طالبه أن تكون أُذناه روحيتين ومهيَّأتين للسمع والفهم (مر ٤: ٢٠)، أي أن ينصت ويُركِّز ويحصُر نفسه فيما يسمع، وأن يكون إيجابياً فيقبل الكلمة بفرح (لو ٨: ١٥) ويطيعها. كما أن عليه ألاَّ يتعجَّل الثمر كمؤمن لا تهتز ثقته في الرب "**يُثمرون بالصبر**" (لو ٨: ١٥)، وأن يحفظ الكلمة في "**قلب جيد صالح**"، تاركاً للرب "**الذي يُنمي**" (١كو ٣: ٧) دوره الذي يتم في الخفاء.

ولكننا لا نستطيع أن نُغفل دور **الزارع** (ويُمثِّله الراعي والمعلم والخادم والواعظ) الذي ينثر الكلمة ويغرسها ويسقيها (١كو ٣: ٦). فقد يكون **إيجابياً** مُسانداً النفوس الأمينة لقبول الكلمة، أو قد يكون **سلبياً** مُعطِّلاً مُشاركاً في وأد أثر الكلمة.

وقد بيَّن الرب أهمية الخادم والراعي بأن عيَّن اثني عشر تلميذاً وسبعين رسولاً يُتلْمِذون الآخرين. فالخادم المتوشِّح بالروح المُرسَل من الله هو ضرورةٌ لتوصيل كلمة الخلاص. ولكي يدعو واحدٌ باسم الرب لنوال الخلاص لابد أن يؤمن أولاً. ولكي يؤمن لابد أن يسمع. ولكي يسمع لابد من كارز. ولكي يكرز الكارز لابد أن يُرسَل (رو ١٠: ١٣-١٥).

بل إن الرب – من وسط كل الأرض – قد انتقى شاول الذي كان يضطهده، لأنه رأى فيه إناءً مختاراً له، وكانت كرازته مجداً للرب حتى الساعة الأخيرة. ولأهمية دور الخادم وتأثيره كانت هناك الوصايا التي تُذكِّره بالتزاماته:

"كُن قدوة للمؤمنين..." (١تي ٤: ١٢، تي ٢: ٧)؛

"اعْكُفْ على القراءة والوعظ والتعليم" (١تي ٤: ١٣)؛

"لا طامع بالربح القبيح... ولا مُحب للمال." (١تي ٣: ٣).

+ **الخادم الحقيقي** يتوارى خلف الصليب ويُقدِّم المخلِّص، الكلمة الحقيقية، متمثِّلاً بقول المعمدان: **"ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص"** (يو ٣: ٣٠). فرحه الحقيقي هو أن النفوس (العروس) ترتبط بالعريس السماوي، وهو كصديق للعريس يبتهج أن مخدوميه سائرون على الطريق الصحيح.

الخادم الحقيقي يحتفظ للكلمة بكل قوتها وقدرتها على التعزية، والإنهاض، والتثويب، والتشجيع، وإنارة الذهن، والإنذار، وكشف الخبايا، والولادة من جديد (١بط ١: ٢٣). وأمامنا كلمة القديس بطرس القصيرة التي نخست ثلاثة آلاف نفس وأنقذتهم من الموت (أع ٢: ١٤-٤١).

+ على غير ذلك يكون **الخادم المُدَّعي** الذي يُقدِّم ذاته وبلاغته حاجباً عن الرب مجده. وفي الغرب تتحوَّل عظات البعض إلى مشاهد مسرحية تتصاعد إلى التصفيق والهتاف إعجاباً! ويسلبون الكلمة قوتها بضعفهم، ويجرِّدونها من قدرتها على إثارة التوبة بعدم طاعتهم هم لها، ويفقدون ثقة السامع بمحبتهم للعالم.

وفي رسائل الرب إلى خدَّام الكنائس السبع في سفر الرؤيا كلام خطير للرعاة وصل إلى حدِّ التوبيخ والإنذار: هذا الذي ترك محبته الأولى وطُلِب إليه أن "**اذكُـــر مِن أين سقطت وتُبْ... وإلاَّ...**" (رؤ ٢: ٥)؛ وهـــذا المتسيِّب الذي يتساهل مع المنحرفين عن الإيمان (رؤ ٢: ٢٠)؛ وهذا الذي يحسب أنه حي وهو ميت في الحقيقة وطُلِب إليه أن "**تُـــبْ، فـــإني إن لم تسهر، أُقدِم عليك كلص**" (رؤ ٣: ٣)؛ وهذا الفاتر الذي يتكلَّم من ذاته ولا يعرف أنه فقير وبائس وأعمى وعريان، والإنذار له: "**... كُنْ غيـــوراً وتُب**" (رؤ ٣: ١٦-١٩).

+ دور **الخادم الحقيقي** هام جداً لإنقاذ الأنماط الثلاثة الأولى وتتويـــب أصحابها. وهو غُصَّة في حلق إبليس الذي يُسعده أن يمتلئ الجو الكنســـي بالكلام الأجوف غير المملَّح بالنعمة الذي هو أخطر من عدم الكلام، لأنه يُعطي انطباعاً أن هناك خدمةً وعملاً يؤدِّي إلى طمأنينة كاذبة بينما الموت يسعى كلصٍ في الظلام. كما هو هام أيضاً لتثبيت إيمان الجماعة الثانية.

+ على العكس، **فالخادم المدَّعي** خطر يتهدَّد الجميع، فهو كما يســـلب من الجماعة الأولى رجاء العودة إلى الأحضان الأبوية؛ فإنـــه يســـلب مـــن الجماعة الثانية التعزية، ويُفتِّر الحياة، ويُعثر الـــنفس ويقودهـــا إلى الإدانـــة والانتقاد، فيخرج المستمع من الكنيسة وقد أصابه الحزن بدل أن ينال الفرح.

■ إلى أصحاب الأرض الجيدة:

إن اهتمام الرب بذكر أنواع مختلفة مِمَّن يسمعون الكلمة فلا يُثمرون، قَصَدَ منه ضمن ما قصد أن ينتبه أصحاب **الأرض الجيدة**، فيظلون علـــى أمانتهم مواظبين على الصلاة والكلمة والتوبة، فتكون لهم سياجاً يحمـــي

أرضهم من أن يستبيحها الغرباء، فلا يجرؤ إبليس على الاقتراب منها.

كما يلزم أن تبقى التربة عميقة تسمح بامتداد الجذور بدوام عشرة المسيح من خلال كلمته، والحديث معه في الصلاة، وتصحيح المسار بالتوبة، والاغتذاء من جسده ودمه، مما يحفظ حرارة العلاقة مع الرب ومحبته، حتى إذا جاءت التجربة أو تكاثر الاضطهاد لا يكون التعثُّر والارتداد، وإنما الارتماء في حضن المخلِّص، ومقابل الأرض الصخرية تصير الحياة بيتاً مبنياً على الصخر (مت ٧: ٢٤).

وسيتعين على أصحاب **الأرض الجيدة** الحرص على تنقيتها يوماً بيوم من الأشواك والحشائش الضارة التي تسرق الغذاء، بالتوبة المتواترة مع وضع الأحمال والهموم على كاهل القدير، ورفض إغراء الحياة الجسدية والشراهة إلى المال أو الاتكال على الغِنَى، أو أن تضعف ثقتهم في الله وينهارون تحت وطأة الهموم كالآخرين، وكأنهم لم يستمعوا يوماً لكلمة الله.

ربما نضيف أيضاً أن **الأرض الجيدة** تحتاج أن تُفلَّح وتقلَّب وتتعرض **للهواء النقي**، وأن يمرَّ فيها **سلاح المحراث**، فيقبل أصحابها بالشكر التجارب التي تتفاوت في شدَّتها لدعم الإيمان، وأن **تُروَى دوماً بالماء** أي بالخضوع للروح وتأثيره في القلب الذي يحفظه من الجفاف والقساوة، وأن يُضاف إليها **السماد المُغذي** الذي هو كلمة الله والصلاة والتناول والخدمة، ثم انتظار الرب **بالصبر**، والنمو فيه خطوة خطوة كل الحياة، حيث يتصاعد محصول الثمار من ثلاثين إلى ستين إلى مائة.

ومن له أُذنان (للسمع) فليسمع.

الأحد الثاني من شهر هاتور

مَثَــل الــزارع

وأصـــداؤه فـي الكتــاب

عشية مز ١٠٤: ١٣، ١٤ لو ١٢: ٢٧-٣١
باكر مز ٦٧: ٦، ٧ مر ١٦: ٢-٨
البـــولـــس : عب ٦: ٧-١٥
الكاثوليكون : يه ١: ١٤-٢٥
الإبركسيس : أع ٥: ١٩-٢٩

مز١٠٤: ١٦، ١٠

الإنجيـل: مت١٣: ١ - ٩

[١]فِي ذلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ يَسُوعُ مِنَ الْبَيْتِ وَجَلَسَ عِنْدَ الْبَحْرِ، [٢]فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ وَجَلَسَ. وَالْجَمْعُ كُلُّهُ وَقَـفَ عَلَـى الشَّاطِئِ. [٣]فَكَلَّمَهُمْ كَثِيرًا بِأَمْثَالٍ قَائِلاً:«هُوَذَا الزَّارِعُ قَـدْ خَـرَجَ لِيَـزْرَعَ، [٤]وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. [٥]وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. [٦]وَلكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَـهُ أَصْلٌ جَفَّ. [٧]وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. [٨]وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ. [٩]مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ»

في قداس الأحد الثاني من شهر **هاتور**[1]، يُقرأ أيضاً، كما في الأحد السابق (لو٨:٤-١٥)، **مثل الزارع**، ولكن هذه المرة من **إنجيل معلمنا متى**. وتكرار المثل مرتين في مطلع شهر هاتور يبدو منطقياً لأن فيه يبدأ موسم الزراعة في مصر والمنطقة المحيطة (حتى أنه يقال المثلان الشهيران "هاتور أبو الذهب المنثور (أي القمح)" و"إن فاتك هاتور استنى لما السنة تدور")، ويناسبه اختيار هذا المثل الذي استخدم فيه الرب عناصر البيئة الزراعية المحيطة ليقدم من خلالها تعاليمه فيسهل فهمها[2].

ونعرض هنا للمثل بغير إسهاب[3] كمدخل إلى ما ساقه الرب في مناسبات أخرى، وما ذكره الكتاب بعهديه، من وصايا وتعاليم تُشتق من أمور الزرع والحصاد والإثمار وانعكاساتها على المؤمن والخدمة.

■ عن مثل الزارع :

مثل الزارع هو أول أمثال الرب الطويلة، وقد شرحه الرب بنفسه. وفيه يشبّه **كلمة الله** بالبذار التي ينثرها الزارع (وهو **الله** صاحب الكلمة)، والتي تثمر في **الأرض الجيدة** التي توفّر لها الري والعناصر المغذية والتنقية الدائمة (ويمثلها المؤمنون أصحاب القلوب المستعدة الساهرة، الذين خلت حياتهم من العقبات، والذين إذ يسمعون الكلمة يفهمونها ويقبلونها بفرح

---

(١) **هاتور**: مشتق من حتحور Hathor اسم آلهة الحب والجمال عند الفراعنة.

(٢) فالرب جالس في سفينة في بحر طبرية يعلم، والجمع واقف على الشاطيء وحوله الزروع والحقول.

(٣) من الطبيعي أن يتم تناول مثل **"الزارع"** بالتفصيل في قداس الأحد الأول من شهر هاتور خاصة والنص يتضمن تفسير الرب للمثل. أما في قداس الأحد الثاني – حيث الإنجيل قاصر على المثل بغير تفسيره، فيتم التركيز على علاقة الزرع والثمار بحياة المؤمن كما جاءت في تعاليم الرب الأخرى وكلمات الكتاب بعهديه، وما جاء في القراءات الأخرى في القداسين وهو ما أتبع في هذا المقال.

ويحفظونها في قلب جيد صالح، ومن ثم يثمرون ثلاثين وستين ومئة، كل حسب قامته وتعبه).

ولكن البذار يحاصرها الإخفاق في **ثلاثة أنواع** من التربة مما يؤدي إلى أنها قد لا تنبت أصلاً، أو إن نبتت فسرعان ما تحترق أو تختنق فلا تعطي ثمراً. **وأولى هذه الجماعات** الثلاث، التي تمثّلها هذه الأنواع من التربة، هي مَن قلوبهم كالأرض المطروقة التي تدوسها الأقدام ولا تربة فيها تسمح بالنمو. فلا حياة لهم مع الله، والفكر مستباح لكل التيارات دون سياج أو حراسة. وبالتالي فالكلمة لا تستقر كي تنمو وتثمر.

والجماعة الثانية، وتقابل حالة البذار التي سقطت على الأماكن المحجرة، التي بعد أن نبتت سريعاً تحرقها الشمس، فهم العاطفيون السطحيون الذين يفرحون لسماع الكلمة، ولكن، في غياب الاختبار الإيماني، ينهارون عندما تدهمهم التجارب والضيقات ومشاغل الحياة فيعثرون ويرتدون، ثم يبدأون من جديد وهكذا، فلا يحرزون تقدماً.

وعقبات **الجماعة الثالثة**، التي تمثلها الأرض الممتلئة بالأشواك، هي هموم العالم وغرور الغنى وشهوات الحياة ولذاتها مما يخنق الكلمة، كما يسحق الشوك النبت الصغير فلا ينضج ثمراً.

وإبليس في هذه الأنماط الثلاثة هو العدو (**زارع الزوان** – مت ١٣:٣٩) الذي ينتزع الكلمة قبل أن تُحدث تأثيرها ("**لئلا يؤمنوا فيخلصوا**" – لو ٨:١٢)، وهو صانع الضيق والتجربة، وهو وراء همّ هذا العالم ومحبة المال وشهوات الجسد.

■ أهمية الأرض :

كما نرى، ففي المثل عنصران رئيسيان: البذار والأرض. أما عن **البذار** فهي مضمونة الفاعلية وقادرة بطبيعتها على الإثمار. ولأنها كلمة الله، فهي كما يصفها الكتاب **"حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميّزة أفكار القلب ونياته"** (عب٤:١٢). وهي **حية** لأنها تهب الحياة وتقيم من موت الخطية، وهي **فعالة** لأنها تحول الخطاة أبراراً وقديسين إذا ما خضعوا لها وأطاعوها، وهي **مستقيمة** كالسيف ولكنها **أمضى منه** في قوتها وحدّتها فلا تحتمل وجهين، ولا تميل مع الهوى، ولا تجامل الكبار أو تقسو على الضعفاء، وهي قادرة على الغوص في مجاهل النفس، وتسلّط أضواءها القوية على ما يدور في الفكر أو تخبئه النوايا فلا تملك منها فكاكاً أو تجد مهرباً.

وكما كتب **القديس بطرس** للمؤمنين الجدد، فالكلمة تلد إنساناً جديداً مآله الحياة الأبدية **"مولودين ثانية لا من زرع seed يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد"** (١بط ١:١٣).

يبقى المعوّل إذاً على جودة **الأرض** لكي يأتي الثمر. والله عندما ذكر **الأنواع الرديئة من الأرض** وما تمثله من أنماط البشر لا كأنها معدومة الرجاء وإنما كي يحثّها على التغيير. فهؤلاء هم أيضاً موضع محبته، ونعمته متاحة لهم لكي يدركوا سبب جمودهم وتعثرهم. فإن استجابوا بتوبة صادقة تزول العقبات التي حرمتهم من عشرة الله وحفظ كلمته في القلب، ويتمتعون بعدها بالثمار التي قد تبدأ قليلة، ولكنها بالمثابرة تتكاثر بمؤازرة الروح.

وفي المقابل فإن **أصحاب الأرض الجيدة** مطالَبون هم أيضاً لاستمرار إثمارهم أن يظلوا على أمانتهم وسهرهم وانتباههم، وتعميق تربتهم ورعايتها وتغذيتها بدوام عشرة الله، من خلال الصلاة والكلمة وشركة الجسد والدم، وتنقية حياتهم بالتوبة يوماً وراء يوم، واختبار حضور الله وقت التجارب والآلام، وتفادي الارتداد إلى الذات وزرع الجسديات (١كو ٩:١١) أو الدخول في خصومات (أم٦:١٤، ١٩) تهدد السلام. وعلى قدر أمانتهم وتعبهم وصبرهم فسوف ينظر الله إليهم ويعوضهم بالكثير حتى ولو تأخرت الثمار. وكما يقول المزمور: "**الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج**" (مز١٢٦:٥).

وكما هو الحال فيما يتعلق بعطايانا وخدماتنا، كذلك هو أيضاً في جهادنا ونسكنا وتوبتنا، كي نهيىء لكلمة الله أرضاً صالحة للثمر. فالقانون هنا هو أن "**من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد**" (٢كو ٩:٦- من البولس للأحد الأول)، وبالطبع من لم يزرع لن يحصد شيئاً. فكل تعب له مقابل، ومن يبذل أكثر سينال أكثر ومكتوب "**أن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه**" (عب٦:١٠).

ولقد امتدح المزمور الإنسان التقي الذي "**في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً**"، وشبّهه "**بالشجرة المغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل**" (مز١:٢، ٣). وهي تظل دائمة الخضرة مهما طال الزمن وثمارها تشهد على حيويتها "**أيضاً يثمرون في الشيبة**" (مز ٩٢:١٤). وهذا هو نصيب الأرض الصالحة التي "**شربت**

المطر الآتي عليها مراراً كثيرة[٤] **وأنتجت عشباً صالحاً للذين فُلحت من أجلهم** (أن) **تنال بركة من الرب"** (عب ٦:٧).

مع هذا، فقد لا يختبر كثير من المؤمنين نمواً دائماً في علاقتهم مع الله. وبعض من يندرجون ضمن جماعة الأرض الجيدة، بعد أن يختبروا بعض الثمر، يمكن أن يتوقف إثمارهم وتظل حياتهم راكدة ساكنة (قد لا تتأخر ولكنها لا تتقدم)، وبحسب المبدأ العام فإن من لا يستمر في التقدم هو في الواقع يتراجع. ولكن النفس المؤمنة الإيجابية، التي انسلخت من حياة الجسد وسلمت قيادها لعمل النعمة وإرشاد الروح، فهي التي تختبر نمواً مطرداً في الثمر كلما أطاعت كلمة الله منطلقة دائماً لما هو أكثر وأغنى.

على أنه إن أهملوا أرضهم وتراجعوا عن أمانتهم ونسوا محبتهم الأولى، فبعد قليل يدب الضعف في حياتهم وتتناقص الثمار من مئة إلى ستين وثلاثين، بل وقد تتوقف عن الثمر، ويمكن أن يصيروا أردأ مما بدأوا. ولكنهم ربما يفيقون إثر لطمة تأديبية يرسلها الراعي الصالح تدفعهم أن يعملوا الأعمال الأولى منصتين إلى الصوت القائل **"اذكر من أين سقطت وتب"** (رؤ ٢: ٥).

■ أهمية الثمر :

كما أنه من الثمر تعرف الشجرة (مت١٢:٣٣، لو٦:٤٤)، وأن البذار تعطي ثماراً كجنسها، كذلك فإن الثمار تكشف عن معدن صاحبها **"مِن**

---

(٤) في إبركسيس قداس الأحد الأول من شهر هاتور إشارة إلى أن **الماء والري** يرمزان إلى **الروح القدس** وفعله في النفس **"لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً.. أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس.. وأمر أن يعتمدوا باسم الرب (كرنيليوس** وعائلته**)"** (أع١٠:٤٥-٤٨).

ثمارهم تعرفونهم" (مت٧:١٦، ٢٠)، لأنه **"من فضلة القلب يتكلم الفم"**، والقلب الصالح يخرج الصالحات والقلب الشرير يخرج الشرور (مت١٢:٣٤، ٣٥، لو ٦:٤٥). فالنفوس الخاضعة للروح، والتي تعتني بأرضها وتحرص على الالتصاق بمصادر المياه الحية (سواء كانت الكلمة أو الصلاة أو شركة الجسد والدم)، تعكس ثمارُها حياتها المقدسة **"محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف"** (غل ٥:٢٢، ٢٣)، كما أن **"ثمر الروح هو في كل صلاح وبر وحق"** (أف ٥:٩).

عندما تكون حياة أحد خالية من ثمار الروح، فلا فائدة ترجى من كل ما يقول أو يعمل أو يعلّم أو يخدم مهما ادّعى. فيستحيل على الشوك أن يثمر عنباً أو أن يثمر الحسك تيناً، ولا يمكن للصحراء الجرداء أن تزهر شيئاً من ذاتها.

والنفس الجيدة تصنع أثماراً جيدة، والنفس الرديئة تصنع أثماراً رديئة (مت٧:١٦-١٨) و**"الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً"** (غل ٦:٧) (٥). كما لابد من الزرع ورعايته كي نحصد ثماراً، فلا ثمار بغير زرع. وازدواج الحياة محكوم عليه بالفشل فلا **"يقدر أحد أن يخدم سيدين"** (مت٦:٢٤، لو ١٦:١٣) وحتى إن حاول فلابد أن يخفق. فالتين لا يصنع زيتوناً ولا الكرمة تثمر تيناً، وماء الينبوع إما أن يكون عذباً أو مالحاً ويستحيل أن ينبوعاً **يصنع ماء صالحاً وعذباً** (يع ٣: ١١، ١٢ - من الكاثوليكون للأحد الأول).

---

(٥) هذا ينطبق على كل جوانب حياة الإنسان فمن جدّ وجد، ومن استعد للامتحان اجتازه بنجاح، ومن اجتهد في عمله ربح، ومن أهمل حالفه الفشل.

■ نحن أيضاً حبة حنطة.. إن ماتت تأتي بثمر كثير :

قبل أيام من صليبه قال الرب أمام أندراوس وفيلبس **"قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان"**، بمعنى أنه بصليبه، رغم الآلام والعذاب والموت، يكون مجدُه، لأنه قمة العمل الخلاصي، والانتصار على الشر، والإنعام على الإنسان بالحياة الأبدية. فما يبدو في الحقيقة موتاً واضمحلالاً هو بذاته المدخل للحياة الجديدة. وأتبع ذلك بالقول **"إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتُمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"** (يو ١٢: ٢٣، ٢٤). فإذا كان الرب قد شبّه كلمته بالبذار التي تُلقى في تربة القلب لكي تعطي حياة وثماراً، فهو نفسه قد صار **"حبة الحنطة"** التي لما ماتت ثم قامت أزهرت حياة جديدة لبلايين البشر الذين كان قد ساد عليهم الموت الأبدي.

نحن أيضاً حبة حنطة. فهي إن حافَظَت على كيانها وأنطوت على ذاتها ولم تهتم بغير نفسها، تكون قد فشلت في تحقيق هدف وجودها. وبينما هي تحسب أنها استبقت قوتها وحفظت نفسها **"فهي تبقى وحدها"** كالعناصر الكيميائية الخاملة inert التي لا تتحد بغيرها.

ولكنها لو قبلت المغامرة بنفسها وخرجت من ذاتها إلى رحاب الله والآخرين، مع ما في ذلك من جهاد روحي وجسدي، وتعب وبذل واحتمال، وإنفاق أموال وصحة ووقت، أي **"إن ماتت"**، تحدث المعجزة. فالنفس تصير غير النفس ونور الله يسطع عليها كما غطى مجد الرب، ساعة التجلي، على من حوله، وحتى الثياب صارت تلمع كالثلج. فالاقتراب من الله وكلمته وعشرته تجدد القلب والذهن، وتقدس النفس، وتضبط الإرادة

والرغبات، وتوفر التعزية والمساندة وقت الآلام والضيقات. بل و"**الثمر الكثير**" لم يقتصر على النفس وإنما أيضاً فيمن يتصلون بها ويعرفونها أو يتعلمون منها أو ممن تخدمهم وتمارس معهم محبة الإخوة.

وعندما كتب **معلمنا بولس** إلى أهل كورنثوس عن قيامة الأموات، بيّن أن الموت هو الباب الذي ندلف منه لكي نتمتع بقيامة الحياة الأبدية "**الذي تزرعه لا يُحيا إن لم يمت**" (١كو ١٥: ٣٦)، وشبّه موت الإنسان بحبة حنطة أو أحد البواقي تُدفن في الأرض وتقوم جسماً روحانياً ممجداً سمائياً (١كو١٥: ٣٧-٥٠).

■ عن دور النعمة في الثمر :

سر البركة يكمن في **الله** صاحب العطية. وإذا كان يشترط توفر الإيمان من جانب الإنسان، فمن يؤمن ينل، إلا أن الله هو الذي يتولى الأمر. والصيادون تعبوا الليل كله و لم يصطادوا شيئاً فتعبهم لم يكفِ، ولكن عندما سلّموا بكلمة الله "**أمسكوا سمكاً كثيراً جداً**" (لو ٥: ٦). والإنسان يسأل والله يعطي (ولكن الذي لا يسأل ولا يطلب لا يأخذ شيئاً). والفلاح "**يلقي البذار على الأرض وينام ويقوم، ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف**" (مر٤: ٢٦-٢٧). إذاً "**ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي**" (١كو ٣:٧). **والقديس بولس** وهو يطلب من أجل الكورنثيين يقول: "**والذي يقدم بذاراً للزارع وخبزاً للآكل سيقدم ويكثّر بذاركم وينْمي غلاّت برّكم**" (٢كو ٩: ١٠).

والرب يقول لنا "**كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ. لأنكم بدوني لا**

تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو١٥: ٤، ٥). والمسيحيون الإسميون، الذين يمارسون الدين كما لقوم عادة، وليس لهم علاقة عضوية برئيس الإيمان، لا يأخذون ولا يثمرون شيئاً، ويسبقهم إلى الملكوت أعتي الخطاة التائبين، والذين آمنوا بالرب في أخريات حياتهم، بينما يبقى هم **"مطروحون خارجاً"** (لو ١٣: ٢٨).

■ خطورة عدم الثمر :

عدم الثمر ليس أمراً اختيارياً، فالله من جانبه وفّر البذار وعطايا الروح ومساندة النعمة، فالمهمل والمستهتر ومن يحتقر العطية ومن يواصل الاغتراب بغير خشية، فلن ينجو من المؤاخذة. والخطر يتهدد صاحب الأرض المهمَلة المحرومة من الري والتي تحاصرها، في غيبة العناية، الأعشاب الغريبة وتنتابها الأمراض وتغزوها الآفات، فهذه **"إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق"** (عب ٦: ٨ – من البولس).

وقد وقف **يوحنا المعمدان**، وهو يبشر شعبه باقتراب ملكوت السموات، يحثهم أن يتوبوا وأن يسهموا في الإعداد لطريق الرب، وأن يصنعوا بالتالي أثماراً تليق بتوبتهم، وإلا فإن **"كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً** (وليس أي ثمر) **تقطع وتلقى في النار"** (مت ٣: ١٠، لو٣: ٩). وهكذا أيضاً دعا الرب في بداية كرازته وأنذر النفوس العجفاء الجافة ذات الثمار الرديئة بمصير مشابه (مت٧: ١٩)، وقال في ختامها **"وإن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق"** (يو ١٥: ٦).

والرب يقول **للمسيحيين الإسميين** (كما قال في مثل **الإبنين**) **"إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله"** (مت ٢١: ٣١)، كما يسبقهم كثيرون من أديان أخرى يقبلون المسيح بالفرح ويصيروا كارزين: "وأنتم مطروحون خارجاً ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله وهوذا **آخِرون يكونون أولين وأولون يكونون آخِرين"** (لو١٣: ٢٨-٣٠).

على أن الله لا يتعجّل التخلص من النفس العاقر، التي لها صورة التقوى ولكنها تنكر قوتها (٢تي ٣:٥)، والتي طال عليها الزمن، يرجو أن تثمر فلا يجد. ورغم أن وجودها دون فائدة هو إهدار لعمل الله وهي عثرة لمن حولها، إلا أن الله مستعد أن يتركها هذه السنة أيضاً فربما عاد الإنسان إلى نفسه وشعر بتقصيره وإهماله وبدأ **أن ينقب حولها ويضع زبلاً** (لو ١٣:٧-٩). وهكذا بمعونة النعمة ينقذ نفسه من مصير لا يتمناه.

* * *

في **"مثل الوزنات"**، وهو أحد أمثال الرب الأخيرة، قبل أيام من صليبه، دعا إلى ضرورة استثمار ما أنعم به الرب علينا من مواهب وملكات بحسب قامة كل منا. فكل من كان أميناً وأدّى ما عليه قدر طاقته وإمكاناته، وتقدم إلى الديان العادل في اليوم الأخير بثمار تعبه، يوصف **"بالعبد الصالح الأمين"**. وأنه وقد كان **"أميناً في القليل"** يُقام على الكثير ويُدعى للدخول إلى فرح السيد. أما من استكثر التعب ونشد راحته ولذته، وهو يتظاهر أنه يعمل ويكدّ بينما هو قد احتقر وزنته الواحدة فألقاها جانباً أو طمرها في التراب محتجّاً على موزع العطايا، ففي ساعة الحساب لن تكون لأي من

حججه قيمة، ولن تشفع له أية تبريرات، بل سيُجَّرد من كل ما أُعطـــي، ويوصف **"بالعبد البطال"** ومصيره هو أن يُطرح خارجاً في الظلام حيـــث البكاء والندم الذي لا يفيد، بينما يضيء الأمناء الأبـــرار كالشـــمس في ملكوت أبيهم (مت١٣:٤٣). ومنطوق الحكم الذي يسري على الجميـــع هو **"أن كل من له يُعطى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منـــه"** (مت ٢٥:٢٩).

فالنفوس الأمينة المجاهدة التي اعتنت بأرضها فأثمرت تتضاعف مكافأتها، أما تلك الغافلة التي تتسرب أيامها من بين أيديها، وأرضها جرداء ليس فيها غير الشوك والحسك، فسوف تُعطى لها الفرصة حتى ساعة الحصاد، ووقتها يُحرق الزوان وتُجمع الحنطة إلى المخزن (مت١٣:٣٠).

ومن له أذنان للسمع فليسمع.

"وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته"
(مت١٣: ٥)

الأحد الثالث من شهر هاتور

تبعية المسيح

نحن أيضاً تلاميذ

عشية مز ٨٦: ٢، ٤ مت ١١: ٢٥-٣٠
باكر مز ١١٣: ٣، ٤ لو ٢٤: ١-١٢
البولس : ٢تس ١:١-١٢
الكاثوليكون : ١بط ٤: ٣-١١
الإبركسيس : أع ٥: ٣٠-٤٢

مز ٨٦: ١٥، ١٦

الإنجيل : لو١٤: ٢٥ - ٣٥

[25]وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: [26]«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. [27]وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. [28]وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ [29]لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ، فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ، [30]قَائِلِينَ: هذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. [31]وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ، لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟

٣٢وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذلِكَ بَعِيدًا، يُرْسِلُ سِفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ. ٣٣فَكَذلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. ٣٤«اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَبِمَاذَا يُصْلَحُ؟ ٣٥لاَ يَصْلُحُ لأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ، فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجًا. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ».

وهو يبدأ كرازته، اتجه الرب ناحية بحيرة جنيسارت (بحر الجليل أو بحيرة طبرية)، وعلى شاطئها كان هناك بعض الصيادين، فدخل إحدى سفنهم وجلس، وصار يعلم الجموع الواقفة على الشاطئ. ثم توجه الرب بحديثه إلى الصيادْين **سمعان بطرس وأندراوس** أخيه، اللذيْن كانا قد تعبا الليل كله دون أن يصطادا شيئاً، ودعاهما إلى الدخول إلى العمق، فأمسكا سمكاً كثيراً جداً حتى أنهما طلبا مساعدة زميليهما في السفينة الأخرى، **يعقوب ويوحنا** ابني زبدي. وبعدها دعا الرب الصيادين الأربعة ليصطادوا الناس، **فتركوا كل شئ** : السفن والشباك والصيد الكثير والأهل، **وتبعوه** (مت٤:١٨-٢٢، مر ١:١٦-٢٠، لو ٥:١-١١).

وتوالى اختيار بقية التلاميذ بدءاً من **لاوي (متى)** (مت٩:٩، لو٥:٢٧، ٢٨) حتى صار عددهم **اثنى عشر** (مت١٠:١، مر٣:١٣،١٤، ٦:٧، لو٩:١). " ثم عين الرب **سبعين** آخرين أيضاً" (لو١٠:١).

وقد رافق هؤلاء الرب ليكونوا شهوده الأمناء (لو٢٤:٤٨، أع١:٨) : يسمعون تعاليمه ويحفظونها[1]، ويرون معجزاته ويعاينون قدرته، وتنكشف لهم أسرار ملكوت السموات. وهذه الجماعة القليلة، وقد نالت قوة الروح، بشرت بالخلاص ونشرت الإيمان في المسكونة كلها، وبذلت نفسها من أجل مخلصها.

---

(١) ولكن كثيراً من تعاليم المسيح لم تقتصر على التلاميذ، وإنما أيضاً للجموع الكثيرة التي كانت تتبعه (مت٥:١، ٢، ١٣:٢، ٣، مر٤:١، ٢، ٨:٣٤، لو٨:٤).

■ نحن أيضاً تلاميذ :

ربما ظن البعض أن التلمذة للرب مقصورة على الاثنى عشر والسبعين، ولكن الحقيقة الكتابية أن كل المؤمنين هم أيضاً تلاميذ (أي تابعين)، حيث الالتصاق بالمعلم والاقتداء به وتبعيته وحفظ كلامه وحمل صليبه وخدمته هو جوهر الإيمان، وها هي آيات الكتاب تؤكد هذه الحقيقة :

+ فالرب يستخدم تعبير "**التلمذة**" في مجال **البشارة:**

"فاذهبوا **وتلمذوا** جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨:١٩).

+ والكتاب يستخدم كلمة "**تلاميذ**" عموماً بمعنى **المؤمنين الملتزمين :**

"ودعا **الجمع مع تلاميذه** وقال لهم من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مر٨:٣٤) [٢].

"إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون **تلاميذي**" (يو٨:٣١)

+ وفي معجزة شفاء **الأعمى منذ ولادته** يقول للذين يسألونه عن كيف فتح الرب عينيه "ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له **تلاميذ**. فشتموه وقالوا أنت **تلميذ** ذاك. وأما نحن فإننا **تلاميذ** موسى (أي أتباعه المؤمنون برسالته)" (يو٩:٢٧، ٢٨).

+ "**التلاميذ**" (معرّفة بأل) قد يقصد بها **الاثنى عشر** بالذات أول من آمن بالرب وتبعه "ثم دعا **تلاميذه الاثنى عشر**" (لتمييزهم عن سائر المؤمنين الذين تبعوه بعدهم) (مت١٠:١).

ولكن الكتاب يذكر غيرهم **كتلاميذ** :

---

(٢) يستفاد أيضاً من مقال "**اتبعني**" في الكتاب الأول من "**نور الحياة**" ص٤٦.

"ثم أن **يوسف** الذي من الرامة وهو **تلميذ** يسوع..." (يو١٩:٢٨).

+ وبعد الصعود "قام **بطرس** في وسط **التلاميذ** وكان عدة أسماء نحو مائة وعشرين" (أع١:١٥).

+ وبعد تأسيس الكنيسة "وفي تلك الأيام إذ تكاثر **التلاميذ** ..." (أع٦:١):

"وكانت كلمة الله تنمو وعدد **التلاميذ** يتكاثر جداً في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع٦:٧)؛

"وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على **تلاميذ** الرب" (أع٩:١)؛

"وكان في دمشق **تلميذ** اسمه **حنانيا** فقال له الرب في رؤيا يا حنانيا..." (أع٩:١٠)؛

"ولما جاء **شاول** إلى أورشليم حاول أن يلتصق **بالتلاميذ** وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه **تلميذ**" (أع٩:٢٦)؛

"وكان في يافا **تلميذة** اسمها **طابيثا**" (أع٩:٣٦)؛

"ودُعي **التلاميذ** (أي المؤمنون) **مسيحيين** في أنطاكية أولاً" (أع١١:٢٦).

"فبشرا (**بولس وبرنابا**) في تلك المدينة (دربة) **وتلمذا** كثيرين" (أع١٤:٢١).

+ وفي الرهبنة فالأب الروحي **يتلمذ** آخرين يتعلمون منه ويسيرون على نهجه ويواصلون رسالته **فيتلمذون** آخرين.

■ فماذا علينا كتلاميذ :

عندما يتغير مفهوم علاقتنا بالرب من مجرد **تابعين** "**من بعيد**" (مت٢٦:٥٨) إلى **تلاميذ**، سنراجع أنفسنا فيما يتعلق بالتزاماتنا التي تفرضها هذه العلاقة :

+ وأولى الالتزامات **أن يصير الرب هو محور الحياة** وله الموقع الأول "**تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك**" (مت٢٢:٣٧، مر ١٢:٢٣، لو ١٠:٢٧).

+ و**أن ينكر المؤمن نفسه** مستعداً لتحمل نفقة تبعية الرب بما فيها قبول الآلام وحمل عار المسيح دون أن يتململ "حينئذ قال يسوع **لتلاميذه** (للجميع) **من أراد (إن أراد أحد) أن يأتي إليَّ فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني**" (مت١٦:٢٤، مر٨:٣٤، لو٩:٢٣)؛ "**ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً**" (لو١٤:٢٧)؛ "**إن كان أحد يأتي ورائي ولا يبغض ... حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً**" (لو١٤:٢٦).

+ **وأن يكون إتمام خلاصه هو هدف كل الحياة**. وبالتالي فهو بالنعمة يرفض الاستجابة لنداءات الخطية، متخلياً عن مكاسب العالم، ويعيش بالتوبة والقداسة، مجاهداً جهاد الإيمان الحسن وممسكاً بالحياة الأبدية (١تي٦:١٢، ١٩)؛ "**لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح**" (تي٢:١١-١٣)؛ "**فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي**

(**ومن أجل الإنجيل) يجدها (فهذا يخلصها)**" (مت١٦:٢٥، مر٨:٣٥، لو٩:٢٤)؛ "**اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره**" (مت٦:٣٣).

+ وهو بالتالي لابد أن **يتخلى عن محبة العالم الحاضر**، وأن يجعل العالم في خدمته لا أن يخضع له وينخدع بزخارفه "**إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني (حاملاً الصليب)**"(مت١٩:١٦-٢٢، مر١٠:١٧-٢٢)؛ "**فكذلك كل واحد لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً**" (لو١٤:٣٣).

+ وكما كان تلاميذ الرب، فهو أيضاً **يشهد له** (أع١:٨)، مخبراً بفضائل من دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط٢:٩)، مدركاً دوره في **التبشير بخلاص الرب** سواء بالكلمة أو بالقدوة (١تي٤:١٢)، فيضئ نوره قدام الناس ويمجدوا الله فيه (مت٥:١٦). وهو يستشعر مسئوليته تجاه البعيدين والمستهترين والمقاومين، من المحسوبين ضمن دائرة الكنيسة، وعينُه أيضاً على تقديم المسيح وانجيله لغير المؤمنين بكل طريق، مجاهداً ضد ضعفاته وسائلاً مؤازرة نعمة الله لئلا يكون عثرة لأحد.

■ الدعوة هي لنا أيضاً :

+ لايزال الرب يقترب من الناس، خاصة المؤمنين الغافلين، كي يصيروا له تلاميذ. وبينما هم غارقون في اهتمامات الحياة اليومية والسعي وراء الأشياء الميتة والمكاسب المرحلية – رغم أنهم يخرجون منها في النهاية صفر اليدين – "**ولا يأخذون شيئاً**" (لو٥:٥)، يدعوهم الرب أن يتوقفوا عن الدوران في هذه الحلقة المفرغة قائلاً "**هلم ورائي**" (مت٤:١٩)، أي احفظوا كلمتي والتزموا بوصاياي،

و"**احملوا نيري عليكم وتعلموا مني**" (مت١١: ٢٩)، ليجعلوا لحياتهم جدوى وينقذوها من الموت. وهو مستعد لمن يفتح الباب أن يدخل إليه ويتعشى معه، أي يصير ضيفه الدائم (رؤ٣: ٢٠).

+ وكما دعا الصيادين أن يدخلوا "**إلى العمق**"، فهو يدعو كل تلاميذه على مدى الأجيال أن يختبروا **الحياة الجديدة** الغنية الحافلة بالاختبارات، والتعامل مع كلمة الله كنور للطريق لا يُستغنى عنه، والكف عن الضحالة، وممارسات العبادة الشكلية لإرضاء الذات وتفادي التوبة، ومحاولات خدمة السيدين الفاشلة.

+ وليتذكر كل تلميذ للسيد والمعلم أن من شروط التبعية القبول بكل تبعات الانتساب للرب. فالخلاص من الموت، وهبات الحياة الجديدة، ونوال الحياة الأبدية، لا ينفصل عن المتابعة اللصيقة بالرب وحمل صليبه والرضا بالتألم من أجله.

+ وكما ترك التلاميذ الأوائل كل شئ، فالمطلوب من باقي التلاميذ، أي سائر المؤمنين حتى آخر الأيام، أن ينكروا ذواتهم بالتخلي عن محبة أنفسهم بديلاً عن محبة الله ، ورفض الحياة الجسدية والجوائز الزائفة التي يقدمها رئيس هذا العالم لإغراء الناس، وجذبهم بعيداً عن مخلص العالم. والإخلاء سيتضمن أيضاً رفض الانشغال المُبالغ فيه بأمور الغد. وبدل المغالاة في التمتع، يكون السعي لسد حاجة المعوزين اقتساماً للخيرات، ومشاركة المرضى، وتخفيف آلام المجرَّبين، **إخوة المسيح الأصاغر**.

نعم ... **نحن كلنا تلاميذ أيضاً**. والكنيسة التي بدأت **باثنين وثمانين** تلميذاً، زادوا إلى" نحو **مائة وعشرين**" قبل يوم الخمسين (أع١:١٥)، صارت تضم على مدى الأجيال ألوف ألوفٍ وربوات ربواتٍ من **التلاميذ والتلميذات**.

و**الدعوة** لكل من اختبر خلاص الرب هي **"اذهب .. واخبر .. كم صنع الرب بك ورحمك"** (مر٥:١٩، لو٨:٣٩)،.. وللبعيدين عن ينبوع الحياة والمكتفين بالقشور، هي لكي يقتربوا من المعلم ويصيروا له **تلاميذ** يتبعون خُطاه (١بط٢:٢١) ويتمتعوا بشركته بعد الاغتراب الطويل.

والنصيب المبارك، الذي وعد به الرب تلاميذه الأوائل، هو أيضاً لكل من تبعوه: **"الحق أقول لكم ليس أحد ترك.. لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان.. مع اضطهادات، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية"** (مت١٩:٢٧-٢٩، مر ١٠:٢٨-٣٠، لو١٨:٢٨-٣٠).

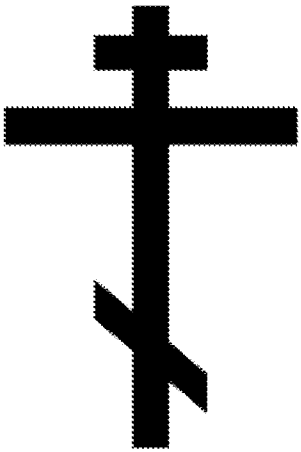

الأحد الرابع من شهر هاتور

الشاب الغني

" يعوزك شيء واحد "

عشية مز ٨٦: ١٢، ١٠ مت ١٧: ١٤-٢١
باكر مز ١٤٣: ٨ يو ٢٠: ١-١٨
البولس : ١كو ٤: ١-١٦
الكاثوليكون : ٢بط ١: ١-٨
الإبركسيس : أع ١٦: ٤٠- ١٧: ٧

مز ١٠٠: ٣

الإنجيل : مر ١٠: ١٧ - ٣١

(هو أيضاً موضوع إنجيل قداس الأحد الثاني من شهر توت)

[١٧]وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ، رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ:«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» [١٨]فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. [١٩]أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلُبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». [٢٠]فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ كُلَّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي». [٢١]فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ:«يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً

الصَّلِيبَ». [٢٢]فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِينًا، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. [٢٣]فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ:«مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!» [٢٤]فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ أَيْضًا وَقَالَ لَهُمْ:«يَا بَنِيَّ، مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! [٢٥]مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ» [٢٦]فَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» [٢٧]فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ:«عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ». [٢٨]وَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَقُولُ لَهُ:«هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ». [٢٩]فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، [٣٠]إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. [٣١]وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ».

■ سؤال البشرية الخالد :

في بداية إنجيل القداس، يركض شاب نحو المسيح ويسجد له. هو إذاً شخص جاد يوقّر المسيح كمعلم ويتلهف على معرفة الحق، وهو يسأله سؤال البشرية الخالد عن المصير **"ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟"** (مر١٠:١٧، لو ١٨:١٨) (أو : **أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية**- مت١٩:١٦) [(١)]

(١) تكرر هذا السؤال في مناسبة سابقة من "ناموسي" قام يجرب المسيح (لو١٠:٢٥)، ولكن بشارتي القديسين متى ومرقس يذكرانه بشكل آخر **"يا معلم. أية وصية هي العظمى (أول الكل) في الناموس"** (مت٢٢:٣٦، مر١٢:٢٨). وكانت إجابة الرب(في إنجيل لوقا) **"ما هو مكتوب في=**

وكانت إجابة الرب في إنجيل اليوم شبيهة بما سبق أن رد به الرب على الناموسي أو الكاتب. ففي بشارتي مرقس ولوقا أجاب الرب "**أنت تعرف الوصايا لا تزن. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور (لا تسلب). أكرم أباك وأمك**" (مر١٠: ١٩، لو١٨: ٢٠)، وفي بشارة متى "**ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا**. قال له: أية وصايا؟ فقال يسوع **لا تقتل. لا تزن.... وأحب قريبك كنفسك**" (مت١٩: ١٧-١٩).

إجابة الرب إذاً على سؤال الأجيال تدور حول طاعة الوصية وأعظمها محبة الله والقريب (وضمنها إكرام الوالدين) وعدم فعل الخطية.

■ فماذا يعوزنا بعد؟

ارتاح قلب الشاب لإجابة الرب، إذ كان قد حفظ الوصايا ويرى أنه يمارسها بالفعل. وإذ أراد أن يستوثق أنه قد تمم المطلوب، وأنه ليس ثمة فرائض أخرى، سأل: **فماذا يعوزني بعد؟** يقول إنجيل مرقس (مر١٠: ٢١) "**فنظر إليه يسوع وأحبه**". فهذا شخص حسن النية، مهتم بحياته الأبدية، مطمئن لموقفه بعد سماعه إجابة الرب، ولم يمض متسائلاً عن واجبات أخرى. هنا جاءت الإجابة الصادمة : **نعم. إن أردت أن تكون كاملاً. يعوزك أيضاً**

=الناموس. **كيف تقرأ؟** فأجاب (الناموسي) وقال : **تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك**. فقال له (الرب) بالصواب أجبت. **افعل هذا فتحيا**" (لو١٠: ٢٧-٢٩). (وفي إنجيل متى) قال له يسوع "**تحب الرب إلهك... هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء**" (مت٢٢: ٣٧-٤٠). (وفي إنجيل مرقس) أجابه يسوع "**إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك... هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. فقال له الكاتب: جيداً يا معلم. بالحق قلت، لأنه الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس. ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله**" (مر١٢: ٢٩-٣٤).

شيء (واحد أو آخر).

وقول الرب "**إن أردت أن تكون كاملاً**" (بحسب الوصية: "**فكونوا أنتم كاملين**" – مت٥:٤٨) يعني أنه سيظل على المؤمن أن لا يتوقف عن النمو بل يمتد إلى ما هو قدام، وأن الكمال لن نبلغه هنا، ونقول مع القديس بولس "**ليس إني قد نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع**" (في ٣:١٢). وسيظل يعوز كلاً منا شيء أو أشياء، وستظل طاعة الوصية هي القانون، أما التحلل منها، تحت ضغط الجسد والعالم، فهو أشبه بالانتحار، والانسحاب من الله، والتنازل عن حقنا في الحياة الأبدية.

وفي حالة الشاب قال له الرب "**اذهب بع كل مالك (أملاكك) وأعط (وزّع على) الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملاً الصليب**"[٢]. تذكر البشائر أن الشاب "**اغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان غنياً جداً (ذا أموال كثيرة)**" (مت١٩:٢٢، مر١٠:٢٢، لو١٨:٢٣). وهكذا انكشف نوع التدين الذي يهتم بالتتميم الشكلي من الخارج، وليس من القلب والفكر والقدرة، التدين الذي يقبل عبادة السيدين الفاشلة التي أكد الرب استحالتها (مت٦:٢٤)، التدين الذي يقترن بالرضا عن النفس والاعتداد بالبر الشخصي (مثل الفريسي لو١٨:٩-١٤).

---

(٢) ما قاله الرب **للشاب** هو ما سبق أن قاله **لتلاميذه** بصورة ما "**إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني**" (مت١٦:٢٤، مر٨:٣٤، لو٩:٢٣). فالبيع والتخلي والترك، وهو ما يقابل إنكار النفس، يعني الحياة الجديدة والتوبة اليومية، وتبعية الرب تتضمن الإيمان به كمخلص وحيد، ومحبة الله والقريب وحفظ سائر الوصايا، وحمل الصليب يقصد به قبول الآلام وكل تضحية من أجل المسيح وهو ما لابد أن يكون.

■ عن العقبات :

في حالة الشاب، كانت العقبة محبة المال الذي يملكه فملك عليه وحرمه من تبعية المخلص، أي أنه رفَض الحياة صاغراً وقَبِل الموت مع بقاء أمواله (وهي بالطبع لن تبقى لأنه لن يأخذها معه **"لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لن نقدر أن نخرج منه بشيء"** -١تي٦:٧).

ومحبة المال صعوبة كبرى. الكل يسعى للحصول على المال أساساً للإنفاق على الاحتياجات، ولكن حتى الفقير المحروم قد يظل متطلعاً إلى الغِنى متحسراً. ومن صار غنياً قد لا يعرف الاكتفاء، وكلما زاد الغِنى ازدادت الشراهة والطمع والخضوع للإله الجديد، حتى يصير العطاء عسيراً جداً، ويلتصق الغَني بالعالم الحاضر فيتعالى ويتصلّف ويُفسد بماله الوجود. ومن هنا قال الرب لكل الأغنياء محذّراً من بينهم **"المتكلين على أموالهم"** (النوع الثالث في مثل الزارع - مت ١٣:٧، ٢٢، مر٤:٧، ١٨، ١٩، لو ٨:٧، ١٤) معلناً صعوبة دخولهم إلى ملكوت الله وذكر هذا التشبيه **"أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله"** (مت ١٩:٢٤، مر١٠:٢٥، لو١٨:٢٥). وصدَق الكتاب عندما قال إن **"محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة. وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والمحبة والصبر والوداعة"** (١تي٦:١٠، ١١).

الرب يحذر، لا من كثرة المال[٣]، وإنما من الاتكال عليه ومحبته **"يكنز لنفسه وليس غنياً لله"** (لو١٢: ٢١)، بدل أن يكون المال عبداً خاضعاً للإنسان يستخدمه في سد الأعواز وجعل الحياة أكثر احتمالاً، كما يتم توظيفه لخدمة الله ومحبة القريب وعمل الرحمة التي يذكرها الله في اليوم الأخير (مت٢٥: ٣٤، ٣٥).

وبصورة عامة فعقبات تبعية الرب تنبع كلها من الحياة الجسدية أو السلوك بحسب الجسد الذي نهايته الموت (رو٨: ١٣)، بما يتضمنه من الاستغراق في الشهوات وتعظم المعيشة والتحلل من ضبط النفس، وحيث تنتعش الذات ويتسيّد الكبرياء ومحبة الكرامة، وتنغلق الأحشاء عن هموم وحاجات الغير. وحتى لو تديّن الإنسان شكلياً يأتي الرضا عن النفس، خاصة مع هذه القشرة الخادعة من الدين، لكي تحدث القطيعة مع الله وملكوته.

■ إذاً فمن يستطيع أن يخلص؟ :

هكذا تأتي صرخة التلاميذ الذين بُهتوا، وقد سمعوا الحوار، إذ رأوا استحالة خلاص الإنسان لأن هذا يتجاوز طاقته. وأمامهم نموذج الشاب الملتزم الذي جاء بنفسه إلى السيد متوقعاً، وهو قد حفظ الوصايا، أنه قد تمم كل الشروط، فإذا به يسمع من الرب معنى التنفيذ الحقيقي للوصايا، بحيث تصير الحياة كلها لله، واستهول أن يتخلى عن أمواله الذي تعب في

---

(٣) كان **أيوب وإبراهيم** غنيين ولكنهما كانا بتقواهما أكثر غنىً. وكان **نيقوديموس ويوسف الرامي وكرنيليوس** أغنياء ولكنهم أحبوا الله وخدموه وتحملوا عاره. والرب الذي افتقر من أجلنا وهو الغني (٢كو٨: ٩) كان هناك نساء كثيرات **"يخدمنه من أموالهن"** (لو٨: ٣). وهناك أصحاب ملايين في عصرنا يتبرعون بأموالهم لمكافحة الفقر والمرض في العالم بغير تمييز. وهؤلاء كلهم مجدوا الله في أموالهم وصار غناهم بركة لهم وللعالم من حولهم.

جمعها، واغتّم على قول الرب ومضى حزيناً.

فيرد الرب على صرختهم اليائسة رافعاً عيونهم إليه هو، باعتبار أن المطلوب بالفعل غير مستطاع عند الناس (مت١٩:٢٦، مر١٠:٢٧)، ولكن **"غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله"** (لو١٨:٢٧) ويترتب عليه أن **"كل شيء مستطاع للمؤمن"** (مر٩:٢٣).

■ خلاصنا هو بالنعمة :

فالله هو الذي دبّر خلاصنا بموت الرب على الصليب وقيامته. ومعنى هذا أن الخلاص والإفلات من فخ العالم والدخول إلى الملكوت هو هبة من هبات النعمة لكل من يؤمن: **"لأنكم بالنعمة مخلَّصون** (بدم المسيح) **بالإيمان. وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد"** (أف٢:٨، ٩)؛ **"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح"** (رو٣:٢٤)[٤]؛ وأن الأعمال المقبولة فقط هي تلك المستندة إلى إيمان حي بالرب أي **أعمال الإيمان "لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً** (لليهودي) **ولا الغرلة** (للأممي) **بل الإيمان العامل بالمحبة"** (غل٥:٦). فالأعمال تقف شاهدة للإيمان، [ولكن **"ليس لدى الله"** (رو٤:٢) بالطبع لأنه فاحص القلوب والكلى وقادر أن يميّز الإيمان الحقيقي (كإيمان اللص) من الشكلي الزائف، إيمان الكلام واللسان وليس العمل والحق]، وهي لابد أن تكون، لأنها الثمر الطبيعي لإيمان متصل بأصل الكرمة الحقيقية وبها يتمجد الله. والكتاب على أي حال يشير إلى أن أعمالنا الجيدة لا تنتسب إلينا بقدر ما تنتسب إلى الله الذي يسكننا **"لأننا نحن عمله مخلوقين في**

---

(٤) يسترشد أيضاً بهذه الآيات (٢تي١:٩، تي ٣:٥-٧) في مجال **التبرير بالنعمة** لا بمقتضى أعمالنا.

المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف٢: ١٠)؛ **"لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة"** (في٢: ١٣).

لا مجال إذاً للتحدث أو التفاخر بأعمالنا، والرب يقول للكل **"متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا"** (لو١٧: ١٠).

طالما أن الله هو الذي يتولى أمر خلاصنا، فالمصاعب لا مكان لها أمام قدرته. وإذا كان ملكوت الله متاحاً أمام المساكين بالروح والمطرودين من أجل البر (مت٥: ٣، ١٠)، وأمام الأولاد الذين احتضنهم الرب وباركهم (مت١٩: ١٣-١٥، لو١٨: ١٥-١٧)، فهو كذلك لكل من يؤمن ويتمتع ببر المسيح.

الله عيّننا للحياة الأبدية (أع١٨: ٤٨، أف١: ١١) وبنعمته وعمل روح قدسه ينقذ المؤمن من ذاته وضعفه، ويسنده ويقدس إرادته في الترك والبيع ويأتي ليحمل الصليب معه. وإن تخاذلنا وتعثرنا فلنا في الرب، الذي لا يزال يحمل في جسده جراحات صليب محبته، **"شفيع عند الله الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً"** (١يو٢: ١، ٢). وبالتالي فتوبتنا الصادقة تكفل لنا الغفران ودوام الوجود في حضن القدير.

■ فماذا يكون لنا ؟

كلام الرب أراح قلب التلاميذ الذين حملهم الرب وكل أعبائهم على منكبيه كراع صالح. وهم وقد تخففوا من كل أمور الحياة ووضعوها بين

يدي السيد، يقول له بطرس باسمهم **"ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا؟** وفي الحقيقة هو يتكلم لحساب كل من تبعوا الرب حقيقة وصار كل ما لهم لله (أي يعود إلى المالك الحقيقي، فما لله هو الذي صار لهم ولنا)، ويطلب إعلاناً يمنحهم رجاءً مقابل الشكوك وغياب اليقين الذي يدسّه عدو الخير في أفكار البعض، كي ييسر هزيمتهم ويسقطهم في الحيرة إلى النهاية.

وردّ الرب يحتوي الحقيقتين التاليتين[٥] :

(١) أن من يتركون هنا يأخذون هنا وهناك : **"ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً، لأجلي ولأجل الإنجيل، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان: بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً، مع اضطهادات، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية"** (مت١٩:٢٩، مر١٠:٢٩، ٣٠، لو١٨:٢٩، ٣٠).

فالله الغني، الكريم العطاء، قادر أن يعوّض بالكثير كل من ترك من أجل الرب عائلته أو ممتلكاته، ولكن لا بأس أيضاً من أن يصادف مؤمنو الرب المقاومة والاضطهاد فهذا لن يقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا في الحياة الأبدية (رو٨:١٧، ١٨، ٢كو٤:١٧).

---

(٥) هناك أيضاً وعد خاص بالتلاميذ وحدهم (وورد فقط في بشارتي القديس متى ١٩:٢٨، والقديس لوقا ٢٢:٣٠) **"إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر"**. فهؤلاء الصيادون الذين كانوا يمثلون قاع المجتمع، والذين إذ تركوا كل شيء لما تبعوا السيد، التحفوا بالقوة وغيروا العالم، ففي المشهد الأبدي للعالم الجديد يتمجدون (**والذين سبق فعرفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه.. والذين سبق فعيّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً والذين دعاهم فهؤلاء برهم أيضاً والذين برهم فهؤلاء مجّدهم أيضاً"** رو٨:٢٩، ٣٠) ويجلسون على مائدة الرب، ويصيرون أسباط العهد الجديد آباء كنيسة المسيح الممتدة عبر العالم كله، الذين يدينون مِن أسباط إسرائيل القدامى مَن رفضوا الخلاص بإرادتهم.

(٢) إن العبرة بالنهاية. فكثيرون قد يبدأون ولكن لا يكملون، لأنهم لا يحسبون حساب النفقة (يو١٤: ٢٨-٣٠)، ويفقدون صبرهم خلال المسيرة. والرب يذكّرنا هنا **بامرأة لوط** التي وهي تسير في موكب الناجين التفتت إلى الوراء ففقدت كل شيء (تك١٩: ٢٦، لو١٧: ٣٢)؛ كما أنه من الممكن الخلاص في اللحظة الأخيرة، **واللص** الذي آمن بالرب وهو معلّق ينتظر الموت نال خلاصاً مع أنفاسه الأخيرة (لو٢٣: ٤٢، ٤٣).

والرب أنذر حتى المعلمين الذين لا يلتزمون بما يعلّمون به ويتفادون الباب الضيق، أنه في اليوم الأخير لن يستطيعوا دخول الملكوت، بعد أن يُغلق الباب، وربما يسبقهم العشارون والزواني الذين عرفوا طريق الإيمان والتوبة (مت٢١: ٣١)؛ وأن أبناء الملكوت بالطبيعة، من كانوا شعب الله الذي

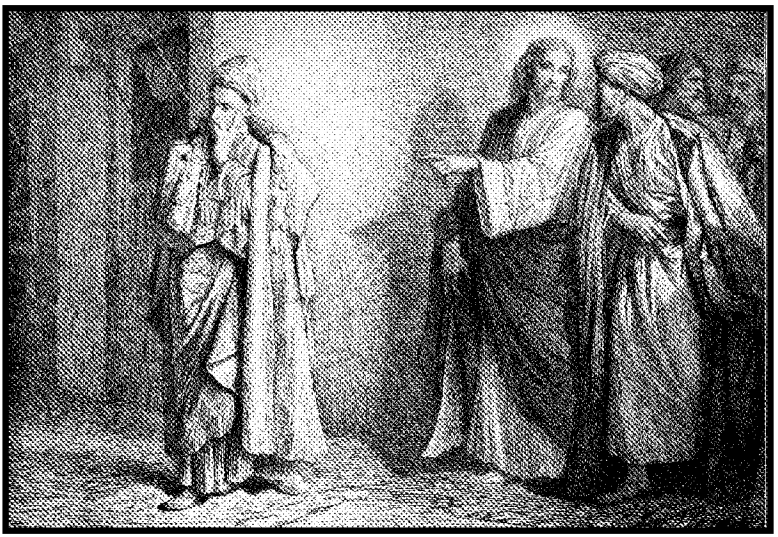

"يا بني، ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله" (مر١٠: ٢٤)

أخذ الناموس، يُطرحون في الظلمة الخارجية (مت٨:١٢)، بينما يأتي الغرباء الذي قبلوا الخلاص، من المشارق ومن المغارب ومن الشمال ومن الجنوب، ويتكئون مع الآباء في ملكوت الله (مت٨:١١)؛ **"وهكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين لأن كثيرين يُدعون وقليلين ينتخبون"** (مت١٩:٣٠، ٢٠:١٦، مر١٠:٣١، لو١٣:٣٠).

فالمتقدمون عليهم أن يظلوا على سهرهم والتزامهم، وإلا أتوا في المؤخرة أو حتى فقدوا إكليلهم، والبعيدون لا يصح أن يفقدوا الرجاء في استعداد الرب الدائم لقبولهم، إن هم ملّوا الغربة والجوع والعطش وتاقوا للخلاص ولو في الساعة الأخيرة، وهكذا تتغير حياتهم ويتقدمون الصفوف.

هكذا سأل الشاب الرب، بإسمنا، عن **الطريق إلى الحياة الأبدية** وهكذا أجاب **الرب : بع .. اتبعني.. احمل الصليب**؛ كما أجاب الرب **توما** أنه هو **"الطريق والحق والحياة"** (يو١٤:٦). وفي صلاته الشفاعية إلى الآب قال الرب **"وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"** (يو١٧:٣). **والقديس يوحنا** يشهد **"أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة"** (١يو٥:١١، ١٢). **والقديس بولس** يهتف **"لي الحياة هي المسيح"** (في١:٢١)، ويكتب لتلميذه الأسقف **تيموثاوس "جاهد جهاد الإيمان الحسن وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت... أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى يوم ظهور ربنا يسوع المسيح"** (١تي ٦:١٢-١٤).

نعم .. حياتنا الأبدية هي في المسيح... وهذه هي الإجابة.

أناجيل قداس آحاد شهر كيهك(+)

+ الأحد الأول : بشارة زكريا

+ الأحد الثاني : بشارة العذراء

+ الأحد الثالث : زيارة العذراء لأليصابات

+ الأحد الرابع : ميلاد يوحنا

(+) الأصحاح الأول من إنجيل القديس لوقا هو إنجيل قداس آحاد شهر كيهك الأربعة، مع ملاحظة أن معظم أبطال فصول العشية وباكر والقداس هم نساء.

الأحد الأول من شهر كيهك

بشارة زكريا

كيف نطلب وكيف يستجيب؟

عشية مز ١٣: ١، ٣ مر ١٤: ٣-٩
باكر مز ١٠٢: ١٩، ٢٠ مر ١٢: ٤١-٤٤
البـــولـــس : رو١:١-١٧
الكاثوليكون : يع ١:١-١٨
الإبركسيس : أع ١:١-١٤

مز١٠٢: ١٣، ١٦

الإنجيـل : لو١: ١ - ٢٥

[1]إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، [2]كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، [3]رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، [4]لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ. [5]كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. [6]وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. [7]وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. [8]فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ، [9]حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ

وَيُبَخِّرَ. ١٠وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبَخُورِ. ١١فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. ١٢فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. ١٣فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ:«لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. ١٤وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ.

بينما كان **زكريا الكاهن** فى هيكل الله يبخّر، ظهر له ملاك الرب عن يمين مذبح البخور، فاضطرب زكريا وملأه الخوف. فطمأنه الملاك قائلاً "لا تخف يا زكريا لأن **طلبتك قد سمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا**، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته.. لأنه يكون عظيماً.. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. **ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب الههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار، لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً"** (لو١ : ١٣ - ١٧).

إذاً فطلبة **زكريا وأليصابات** لم تُنس ولم تُهمل، وظلت على مدى السنين أمام الله، تنتظر ملء الزمان، وفى الوقت المعين جاءت الاستجابة. وبينما قد استسلم الزوجان، وهما يريان انحسار الظروف المواتية لتحقيق طلبهما القديم، بانسحاب الشباب وسيادة الشيخوخة (لو ١ : ١٨)، تأتى المفاجأة السارة على غير توقع ليقول الله : فى الهزيع الأخير أو حتى عند صياح الديك، عندما يموت الأمل ويذبل الرجاء، **فأنا هناك "آتى.. وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله"** (رؤ٢٢ : ١٢). وكما يقول معلمنا بطرس **"لايتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ"**

(٢بط ٣ : ٩). ووعد الرب هنا هو: "**اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لـه**" (مت ٧ : ٧، ٨، لو١١: ٩، ١٠).

قبل أن نعرض لاستجابة الله للطلبات: كيف ومتى؟ نفتش فى كلمة الله أولاً عن شروط الطلبة المقبولة التى تحقق استجابة الله.

■ كيف ينبغى أن نطلب ؟

(**١**) الله ينبهنا ألا ننشغل – كما يفعل غير المؤمنين – بالأمور المادية المتعلقة بالجسد "**فإن هذه كلها تطلبها الأمم**"، مؤكداً أن "**أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها**" (مت ٦ : ٣٢). وبالتالى فالله يوفرها لنا "**هذه كلها تزاد لكم**" (مت ٦ : ٣٣) "**كعطايا للأبرار والظالمين**" (مت ٥ : ٤٥).

ولكن بالنسبة لأولاد الله فاحتياجهم الأول هو إلى "**ملكوت الله وبره**" (مت ٦ : ٣٣). فلنجعل مطالبنا الأولى إذاً فيما يتعلق بما لا يرى ولا يفنى : أى من أجل تتميم خلاصنا، وتعرية خطايانا المستترة ومساندة توبتنا، والتدخل فى الضيقات كى لا تعرِّض سلامنا للخطر وإنما تؤول لدعم إيماننا، والسؤال من أجل الآخرين بدافع المحبة، وهكذا.

(**٢**) بينما "**طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها**" (يع ٥ : ١٦)، فإن **ذبيحة الأشرار وطرقهم "مكرهة الرب**" (أم ١٥ : ٨، ٩) وطلبتهم مرفوضة إن هم بقوا فى خطيتهم "**حينئذ يدعوننى فلا أستجيب. يبكرون إلىَّ فلا يجدوننى**" (أم١ : ٢٨). ولكن الباب مفتوح أمامهم إذا جاءوا تائبين يطلبون الرحمة والغفران (صلاة العشار – لو ١٨ : ١٣).

أما أولاد الله الثابتين فى الكرمة المقتفين خطى الرب الحافظين وصاياه فلهم امتياز دخول طلبتهم إلى محضر الله، بل ومساندة الله لهم حتى دون طلب **"لأنه تعلّق بى أنجّيه أرفّعه لأنه عرف اسمى. يدعونى فأستجيب له. معه أنا فى الضيق. أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى"** (مز ٩١ : ١٤ - ١٦)؛ **"إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم"** (يو ١٥ : ٧)؛ **"مهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه"** (١يو ٣ : ٢٢).

وقد كشف الكتاب عن استقامة قلب زكريا وأليصابات والتزامهما إذ قال **"كان كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم"** (لو ١ : ٦)، فنالا بغيتهما رغم الانتظار الطويل.

(٣) الله يجعل ثقتنا فيه، كقادر على كل شئ، شرطاً لنوال العطية. فإيماننا يعنى تصديقنا لوعود الله، وارتيابنا يحرمنا من العطية، إذ كيف نطلب ممن لا نثق أنه يعطى. هى طلبة زائفة إذاً، وبالتالى **كيف يعطى الله لمن لا يصدق أنه قادر أن يعطى!**

على عكس ذلك، فالإيمان يفترض أن الاستجابة قد تمت حتى ولو لم ينل المؤمن شيئاً فى الحال. والواثق - إذ يطلب - يجعل الله بينه وبين المشكلة. فهى لم تعد هناك لأنها طُرحت أمام الله، وصارت مسئولية القدير. أما المرتاب فإنه يظل يضع المشكلة بينه وبين الله. فهى دائماً أمامه - حتى أثناء صلاته غير الواثقة - لا تبرح مكانها، حاجبةً عنه وجه الله الذى لا يعسر عليه شئ:

"كل ما تطلبونه فى الصلاة **مؤمنين** تنالونه" (مت ١٨: ١٩، مر ١١: ٢٣)؛

"ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب" (يع ١ : ٦، ٧).

(**٤**) يرتبط بثقتنا فى الله وإيماننا بوعوده وقدرته أن لا نكفّ عن الطلب منصتين إلى صوت الرب: **"ينبغى أن يُصلَّى كل حين ولا يُملّ"** (لو ١٨ : ١) عندما ذكر لنا مَثل **قاضى الظلم**. ولكن ليس القصد هنا أننا نذكّر الله باحتياجنا، فالله **"لم ينس صراخ المساكين"** (مز ٩ : ١٢)، وإنما نحن بإلحاحنا نعلن أمام أنفسنا دوام ثقتنا فى الله، ونؤكد تصميمنا على نوال العطية واحتياجنا لها وتعظيمنا لشأنها. **فيعقوب** فى مصارعته مع **الرب** صرخ **"لا أطلقك إن لم تباركنى"** (تك ٣٢ : ٢٦)، بينما **عيسو** المستهتر احتقر نعمة البكورية وباعها بسهولة مقابل أكلة عدس! (تك ٢٥: ٢٩ – ٣٤). ومن ناحية أخرى **فإن انسحاقنا يجعل أحشاء الله تحنّ إلينا وبرحمته يرحمنا** (إر ٣١ : ٢٠)، كما أن دوام صلاتنا ووجودنا فى محضر الله يملأنا سلاماً وطمأنينة، ويهزم أيّة إيحاءات يدسّها فى فكرنا عدو الخير لانتزاع رجائنا فى إلهنا المحب.

(**٥**) يتناغم مع إيماننا بالله، أن تتواصل طاعتنا وصبرنا والتزامنا دون أن نفقد ثقتنا فى أمانته، إذا استمرت التجارب والآلام تنغّص علينا حياتنا، رغم عدم توقف الطلب من أجل أن تنقشع:

"طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه. لا يقل أحد إذا جُرّب إنى أُجرّب من قبل الله لأن الله غير مجرِّب بالشرور وهو لا يجرّب أحداً" (يع ١ : ١٢، ١٣)؛

"لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تُجرّبــون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠ : ١٣)؛

"لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صــنعتم مشــيئة الله تنــالون الموعد" (عب١٠: ٣٦).

(٦) يبقى أيضاً أن تكون الطلبة **حسب مشيئة الله وإرادته.** والرب عندما علّمنا الصلاة أوصانا أن نطلب مشيئته **"لــتكن مشــيئتك"** (مــت ٦ : ١٠، لو ١١ : ٢)، لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغــى (رو ٨ : ٢٦)، ولا نعرف ما هو لخيرنا ولكن الله بالطبع يعرف، **فما أعمق غناه وحكمته و"ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء"** (رو ١١ : ٣٣).

والرب وهو فى عمق آلامه سأل أن تعبر عنه هذه الكأس، ولكنه ســلّم إرادته للآب **"فلتكن مشيئتك.. لتكن لا إرادتى بل إرادتك"** (مت٢٦ : ٤٢، مر١٤ : ٣٦، لو ٢٢: ٤٢).

والقديس بولس طلب لثلاث مرات أن تفارقه شوكة الجســد، ولكــن مشيئة الله كانت أن تبقى الشوكة لئلا ينتفخ من فرط الإعلانــات وقيــل لــه **"تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تُكمل"**، وتعلم **بولس** أن يُسرّ بالضعفات لكى تحل عليه قوة المسيح **"لأنى حينما أنــا ضــعيف فحينئــذ أنــا قــوى"** (٢كو١٢ : ٧ – ١٠).

■ فماذا عن استجابة الله ؟

(١) هناك وعد إلهى صريح باستجابة الله للطلبات الروحيــة: **"الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه"** (لو ١١ : ١٣).

فعندما يسأل مؤمن من أجل القداسة أو التوبة أو الانتصار على الخطية أو الحصول على قوة فى الخدمة فكلمة الله تؤكد أن الاستجابة هنا مضمونة، وإنما على قدر طاعتنا وخضوعنا.

هنا كنز من الهبات المتعلقة بالحياة الأبدية، ولنمدّ أيدينا ونأخذ طالبين من الروح أن يهبنا الطاعة:

"هذه إرادة الله قداستكم" (١تس٤ : ٣)؛

"لا تبرحوا.. إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالى" (لو ٢٤ : ٤٩، أع ١ : ٤)؛

"توبنى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى" (إر ٣١ : ١٨).

(٢) **قد تكون استجابة الله واضحة تمجد اسمه، كأن يَشفى من مرض أو يرفع ظلماً أو يمنح سلاما أو يُخرج من ضيقة، متى توفرت شروط الطلبة كما سبق وعرضنا:**

"يا زكريا... **طلبتك قد سمعت"** (لو١: ١٣)؛

"ادعنى فى وقت الضيق أنقذك فتمجدنى" (مز ٥٠ : ١٥).

(**٣**) قد يرد الله علينا بكلمات الكتاب، مثلاً : **"لا تخف لأنى معك"** (تك٢٦: ٢٤)، **"لى النقمة أنا أجازى يقول الرب"** (تث٣٢: ٣٥، رو١٢ : ١٩)، **"فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة"** (عب ١٠ : ٣٥)، أو بأحداث الحياة اليومية، أو من خلال الأب الروحى أو أحد الناس، أو من خلال عظة أو قراءة، وعلينا أن نتلمّس إجابة الله بالتفتيش فى كلمة الله وبالتأمل فى كل جوانب نشاطنا اليومى.

(٤) قد يردّ الله برفض الطلب (**فالرب هنا قد أجاب بالفعل وقال لا**)، أو تأجيل الاستجابة، أو تحقيقه ولكن **فى الوقت المناسب** (مثل ميلاد **اسحق، صموئيل، يوحنا المعمدان**) حسب حكمة الله وعلمه. فميلاد **يوحنا المعمدان** تحقق عندما جاء ملء الزمان، وأرسل الله ابنه مولوداً من امرأة لخلاص العالم، وعيّن **يوحنا** ليكون ملاكاً يهيئ الطريق أمام المخلص معلناً قدومه إلى العالم.

وعلينا إذاً بعد أن **نطلب أن ننتظر ونترقب إرادة الله**، ونوطّن النفس على أن **تقبل ما يقرره الله**، واثقين من حسن اختياره وكمال تدبيره، **شاكرين له على كل حال** سواء رُفض الطلب لعدم ملاءمته أو لأضراره الخافية، أو تأخر الرد لأن أوانه لم يأت بعد.

وللمؤمنين الذين يسعون لمعرفة إرادة الله فى المواقف المصيرية، التى لا تسعفهم عندها مواهبهم العقلية والروحية أو استشارة الآخرين فى تبيّن الأفضل، خاصة عند اختيار شريك (أو شريكة) الحياة، أو التفكير فى الهجرة، أو ما يتعلق بالدراسة أو العمل، فمشيئة الله سوف يكشفها إما أن الأمور تسير سلسة هينة (الله يوافق)، أو أنها تتعثر وتصادفها العقبات (الله يرفض، أو يرفض الآن) **"أوجّه صلاتى نحوك وأنتظر"** (مز ٥ : ٣).

الله المحب وعدنا أن يستجيب عندما نطلب..

ولكن يبقى أن نعرف كيف نطلب.

الأحد الثاني من شهر كيهك

بشارة العذراء

" لأنه يخلص شعبه من خطاياهم "

عشية مز ١٤٤: ٥، ٧ لو ٧: ٣٦-٥٠
باكر مز ٧٢: ٦، ٧ لو ١١: ٢٠-٢٨
البولس : رو١:٣- ٣:٤
الكاثوليكون : ١يو١:١- ٢:٢
الإبركسيس : أع ٧:٣٠-٣٤

مز٤٥: ١٠، ١١

الإنجيل : لو١: ٢٦ - ٣٨

[٢٦]وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، [٢٧]إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. [٢٨]فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ:«سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». [٢٩]فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ:«مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!» [٣٠]فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ:«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. [٣١]وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. [٣٢]هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، [٣٣]وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». [٣٤]فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ:«كَيْفَ يَكُونُ

هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» [٣٥]فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. [٣٦]وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، [٣٧]لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ». [٣٨]فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ.

الملاك جبرائيل وهو يبشر العذراء بتجسد ابن الله منها، يبشر معها كل البشر بأن فيه تتحقق وعود الله بخلاص الإنسان من الخطية والموت. **فالتجسد قرين الخلاص بموت الرب وقيامته، ونوال "كل من يؤمن به" الحياة الأبدية.**

للخلاص هو جاء. وأي دعوى لتجريد الرب من هدف مجيئه، بإنكار صليبه وموته وقيامته يجعل تجسد الرب كأن لم يكن.

وما أبأس المصير الذي كان سينتهي إليه الإنسان، إذاً، لو لم يفتقده الله برحمته، وينزل إليه متجسِّداً، ويفتح له أبواب الملكوت. وما أشد تعاسة الإنسان إن بَقِيَ أسير الشيطان والخطية والموت، لو لم يتحنَّن عليه جابله ومجيئه مخلِّصاً وفادياً، ويُحرِّره من سجنه، ويُنعم عليه بالحياة الأبدية. وما أفقر حياة الإنسان وأحلك الظلمة التي كانت ستسوده لو لم يأتِ إليه في ملء الزمان ابن الله في الجسد ويملأ حياته نوراً وبهجة ورجاء.

■ التجسد عماد الإيمان المسيحي :

التجسُّد Incarnation ، أي أن يأخذ الله جسد الإنسان، كان الرد الإلهي على سقوط الإنسان وخضوعه للموت. فأمام عجز الإنسان الخاطئ

عن أن يُكفِّر عن خطيته وينجو من الموت، كان أن صار الله إنساناً مكافئاً للناس في كل شيء، ما عدا الخطية المُسبِّبة للموت (عب٤: ١٥)، ويُكفِّر بدم نفسه من أجل الخطاة. وهو إذ يقوم منتصراً بعد موته من أجلهم، يُعلِن غلبته على الموت (١كو١٥: ٥٥)، ويُحقِّق البراءة للإنسان الخاطئ، ويهب الحياة الأبدية لكل المؤمنين به.

التجسُّد هو عماد الإيمان المسيحي وقرينه وحده. **والمسيح** هو أقنوم الابن الذي تجسَّد لأجل خلاص جنس البشر. والتجسُّد اقتضى أن يُولَد الله بشراً من **امرأة** (غل ٤: ٤). ولكي يتحرَّر الجسد الذي يتَّخذه الله من الخطية التي سبَّبت الموت، كي يكون مؤهَّلاً للتكفير عن الخطاة، اقتضى أن يكون ميلاده بالتالي من **عذراء** بغير الزواج الطبيعي. والكتاب يُسجِّل هذا التدبير الإلهي بعد سقوط الإنسان مباشرة، في قول الله للحيَّة (إبليس) "**وهو** (أي نسل المرأة) **يسحق رأسكِ**" (تك ٣: ١٥). فهو هنا ينسب النسل لا للرجل (حسب التقليد) وإنما للمرأة. وتكشف النبوَّات عن عذراوية هذه "المرأة": "**ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**" (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣؛ لو ١: ٣١-٣٤).

بالطبع فإنَّ حدثاً مركزياً في تاريخ العلاقة بين الله والإنسان مثل التجسُّد الإلهي لابد أن تكون له انعكاساته العديدة على جوانب أخرى من حياة الإنسان والوجود، ولكن يظل الفداء والخلاص الهدف المباشر البارز بشهادة الكتاب بعهديه وكتابات الآباء الأوائل وقوانين الكنيسة الجامعة.

■ عن ارتباط التجسُّد بالخلاص:

(أ) شهادة العهد الجديد :

تشهد آيات **العهد الجديد** بوضوح عن ارتباط التجسُّد بالخلاص كالهدف المباشر في المقام الأول ومنذ اللحظة الأولى:

+ فالملاك وهو يُطمئِن يوسف من جهة طهارة العذراء وبأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، يقول: "**فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم**" (مت ١: ٢٠،٢١)، فحتى اسمه المختار له في التدبير (**يسوع**) يُشير إلى مهمته الخلاصية.

+ وعندما تمَّ الميلاد، ظهر ملاك الرب للرعاة الساهرين يُبشِّرهم بفرح عظيم بمجيء المخلِّص، قائلاً: "**إنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّص هو المسيح الرب**" (لو ٢: ٩-١١).

+ وهدايا المجوس للطفل الإلهي تنطق بهويته ورسالته: **فالذهب** يُشير إلى رفعة مقامه وأنه "**ملك الملوك**" (**١**تي ٦: ١٥؛ رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦)، **والمر** يكشف عن كأس الآلام التي سيتجرَّعها لفداء البشر (إش ٥٠: ٦؛ ٥٣: ٥،٧)، **واللبان** يُنبئ عن مهمته الكبرى كـ "**كاهن عظيم على بيت الله**"، يدخل مرة واحدة إلى الأقداس "**ليُبطِل الخطية بذبيحة نفسه**"، فيجد "**فداءً أبدياً**" (عب ٩: ١٣،٢٦؛ ١٠: ٢١). وهو يظل كاهناً إلى الأبد بكهنوت لا يزول: "**فمِن ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم**" (مز ١١٠: ٤؛ عب ٧: ٢١،٢٤،٢٥).

+ والمعمدان، المولود بوعد إلهي لشيخين كملاك يُهيِّئ الطريق أمام الرب (ملا ٣: ١؛ مر ١: ٢)، يُنادي وهو يُقدِّمه إلى العالم: "**هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو ١: ٢٩). فهي مهمته الأولى أن يحمل خطية العالم في جسده ويرفعها عن كاهل الخطاة.

+ والرب يكشف **لنيقوديموس** عن مدى محبة الله للعالم "**حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم**" (يو ٣: ١٦،١٧). ويقول أيضاً: "**لأني لم آتِ لأدين العالم بل لأُخلِّص العالم**" (يو ١٢: ٤٧).

+ ويوم خلاص **زكَّا** وبيته، يُعلن الرب أنَّ "**ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخلِّص ما قد هلك**" (لو ١٩: ١٠).

+ وبعد معجزة إشباع الجموع بالخبز، نقل فكرهم إلى شخصه باعتباره "**خبز الحياة**" الذي نزل من السماء، ثم يُضيف موضِّحاً: "**والخبز الذي أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم**" (يو ٦: ٤٨-٥١) (وهو ما قاله لتلاميذه وهو يؤسس سر الشكر - لو ٢٢: ١٩).

+ ولا يفتأ الرب يؤكِّد في كل مناسبة تُتاح له أنه جاء ليبذل نفسه خلاصاً للخطاة، وهو القصد من تجسُّده: "... أن ابن الإنسان (أيضاً) لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم، **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨؛ مر ١٠: ٤٥)؛

"أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح **يبذل نفسه** عن الخراف" (يو ١٠: ١١).

+ والرب يُصرِّح لتلاميذه في وقت مُبكِّر، أكثر من مرة، أنه **سوف يتألم كثيراً ويُقتل ولكنه يقوم**، وفي آخر الأيام سيأتي للدينونة (مت ١٦: ٢١،٢٧؛ ١٧: ٢٢،٢٣؛ ٢٠: ١٨،١٩؛ مر ١٨: ٣١-٣٣؛ ٩: ١٢؛ ١٠: ٣٣،٣٤؛ لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣١-٣٣).

+ بل إنه يُشير إلى موعد موته بالضبط كأمر واقع وحتمي (حين يأتي الوقت لتحقيق ما أشار إليه الفصح القديم): "**تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان** (الفصح الجديد الكامل) **يُسلَّم ليُصلَب**" (مت ٢٦: ٢).

+ والرب يجعل من ارتفاعه على الصليب وموته، الذي يراه واقعاً قبل أن يتمَّ، الشهادة أنه **المسيَّا الموعود به لخلاص العالم**، فلم يكن أبداً حدثاً عارضاً أو طارئاً: "**متى رفعتم ابن الإنسان حينئذ تفهمون إني أنا هو**" (يو ٨: ٢٨).

+ وفي عشاء بيت عنيا ابتهاجاً بإقامة لعازر، وقد أتت مريم أخت لعازر ودهنت قدمَى الرب بالطِّيب، لم يشغله الحفل عمَّا سيأتي عليه بعد أيام. وردّاً على احتجاج يهوذا على إهدار الطِّيب الثمين الذي كان يمكن بيعه لخدمة الفقراء، قال الرب: "**اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته**" (مت ٢٥: ١٢؛ مر ١٤: ٨؛ يو ١٢: ٧). فهو يرى نفسه في الأكفان قبل أن يموت.

+ وفي كل هذا فهو يتعامل مع الآلام الآتية والصليب والموت القادمين على أنها تحقيق الخطة الأزلية للخلاص: "**الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها**" (١يو١٨: ١١)، ويراها لا كمحنة يتجرَّعها مُرغماً، وإنما

تتويجاً لإرساليته وتمجيداً لابن الإنسان ومشيئة الآب: "**قد أتت الساعة ليتمجَّد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير**" (يو ١٢: ٢٣،٢٤).

+ بل إنه لما خرج يهوذا ليلاً ليلتقي بمَن اتفق معهم لتسليم الرب، قال الرب: "**الآن تمجَّد ابن الإنسان، وتمجَّد الله** (الآب) **فيه**" (يو ١٣: ٣١).

+ ولأن خلاص الناس كان هو الغاية الكبرى من تجسُّد الرب وظهوره إلى العالم، فقد **استبقى آثار الصليب في جسده**، وسمح لتوما أن يضع إصبعه في جراح الصليب (يو ٢٠: ٢٧).

+ بل قد صار الصليب علامته، التي ستُعلِن ظهوره في اليوم الأخير (مت ٢٤: ٣٠). وفي رؤيا **القديس يوحنا** ظهر الرب في وسط العرش "**كخروف قائم كأنه مذبوح**" (رؤ ٥: ٦)، أي يحمل في جسده آثار الصليب والدم النازف.

+ و**القديس بولس** يشهد مبتهجاً كيف أنه كسائر الخطاة نال الخلاص بمجيء المسيح مثالاً لكل مَن يؤمن به فيقول: "**صادقة هي الكلمة ومُستحِقَّة كل قُبُول أنَّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا. لكنني لهذا رُحمتُ ليُظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية**" (١تي ١: ١٥،١٦).

+ ويكتب **القديس يوحنا** في رسالته الأولى: "**ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبَّنا، وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا**" (١يو ٤: ١٠)، وهو كان يُعيد ما قاله الرب (يو ٣: ١٦).

(ب) شهادة العهد القديم :

يسوع المسيح هو محور العهدَيْن القديم والجديد. هو مستتر في **العهد القديم** وراء الأحداث والأشخاص والرموز والنبوَّات، وهو مُستعلَن في **العهد الجديد** كمخلِّص العالم مُحقِّقاً كل ما أشار إليه العهد القديم عنه(١).

والرب حثَّ اليهود أن يفتِّشوا الكتب (أي **الناموس والأنبياء**) لأنها تشهد له (يو ٥: ٣٩)، وأنَّ **موسى** كتب عنه (تث١٨:١٨، يو ٥: ٤٦). كما استخدم في حواراته نصوصاً من **العهد القديم**. وفي التجربة على الجبل أفحم الشيطان بما هو مكتوب في **سفر التثنية**. فالعهد القديم يُشير إلى إرسالية الابن للخلاص، وإعلان عهد جديد بين الله والإنسان، وإعادة الإنسان من جديد إلى طريق الحياة الأبدية.

+ وفي بداية خدمته، دخل الرب مجمع الناصرة يوم السبت كعادته، ودُفِعَ إليه سفر إشعياء، ففتحه وقرأ فيه: "**روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين. أرسلني لأشفي المنكسري القلوب. لأُنادي للمأسورين بالإطلاق، والعُمي بالبصر. وأرسل المنسحقين في الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة**"، ثم طوى السفر وجلس وابتدأ يقول: "**اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم**". ففي مجيء الرب تحقيق عهد الله للبشر (إش ٦١: ١،٢؛ لو ٤: ١٨-٢١).

---

(١) في صلوات البصخة تتابع الكنيسة كل يوم في خمس ساعات ليلية وخمس نهارية ، بكل تدقيق، أحداث حياة المسيح الأخيرة حتى الصليب والموت بقراءات من العهدين، ولكل ساعة نبوَّاتها، ويسبق كلٌّ إنجيل مزمور يتعلَّق به. والمتابع الحريص لصلوات هذا الأسبوع، سيجد أمامه كل شهادة العهد القديم عن قصة الخلاص الذي تحقَّق بتجسُّد الرب وموته وقيامته.

+ وعند مجيء يهوذا إلى البستان ومعه الجنود للقبض على يسوع، قال الرب: "**وأما هذا كله فقد كان لكي تُكَمَّل كتب الأنبياء**" (مت ٢٦: ٥٦).

+ وفي لقاء الرب مساء يوم قيامته مع تلميذَي عمواس المتحيِّرَيْن، وبَّخهما على بُطء فهمهما لِمَا شهد به الأنبياء عن آلامه وخلاصه قائلاً: "**أَمَا كان ينبغي أن المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده... ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب**" (لو ٢٤: ٢٥-٢٧).

+ والرب استدعى لليهود من الماضي مشهد **الحيَّة النحاسية** التي أقامها موسى بأمر الرب بعد أن لدغت الحيَّات الكثيرين عقاباً، فكل مَن نظر إليها كان يحيا (عد ٢١: ٨،٩)، وكشف عن علاقتها بمهمته الخلاصية قائلاً: "**وكما رفع موسى الحيَّة في البرية هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٤،١٥). وهو كثيراً ما استخدم تعبير الارتفاع عن الأرض إشارة إلى موته مُعلَّقاً على الصليب: "**وأنا إنْ ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع**" (يو ١٢: ٣٢،٣٣).

+ وبالمثل فقد ذَكَرَ الرب ما جرى **ليونان النبي** من ابتلاع الحوت له، إشارة وشهادة مُسبقة على ما سوف يجتازه هو موتاً وقيامة: "**لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال**". ويُضيف أنه إذا كان أهل نينوى قد تابوا بمناداة يونان، **فالرب أعظم منه** لأنه يُخلِّص كل البشر إلى آخر الأيام بذبيحة نفسه (مت ١٢: ٣٨-٤١).

+ **والقديس متى**، وهو يكتب بشارته، حرص على أن يُقرن أحداث حياة المخلِّص بنبوَّات **العهد القديم** التي تشهد بالعلاقة المتبادلة بين العهدَيْن، فتحقيق النبوءة يشهد لصدقها كما يشهد لصدق الحدث:

فيورد **البشير متى** نبوَّات عن الميلاد من عذراء (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣)؛ وعن الميلاد في بيت لحم (مى ٥: ٢؛ مت ٢: ٦؛ يو ٧: ٤٢)؛ وعن هروب العائلة المقدسة إلى مصر وعودتها (هو ١١: ١؛ مت ٢: ١٢)؛ وعن مقتل أطفال بيت لحم (إر ٣١: ١٥؛ مت ٢: ١٨)؛ وعن انتقال الرب من الناصرة إلى كفرناحوم (إش ٩: ١،٢؛ ٤٢: ٧؛ مت ٤: ١٥،١٦)؛ وعن شفائه للمرضى (إش ٥٣: ٤؛ مت ١٦،١٧)؛ وعن شهادته بالحق ووداعته (إش ٤٢: ١-٤؛ مت ١٢: ١٨-٢١)؛ وعن غلاظة قلب بعض سامعيه (إش ٦: ٩،١٠؛ مت ١٣: ١٤،١٥) وعبادتهم الشكلية (إش ٢٩: ١٣؛ حز ٣٣: ٣١؛ مت ١٥: ٨،٩)؛ وعن دخوله الأخير إلى أورشليم راكباً أتاناً (زك ٩: ٩؛ مت ٢١:١٠)؛ وعن هتاف الأولاد له (مز ٨: ٢؛ مت ٢١: ١٦)؛ وعمَّا قاله عند طرد الباعة من الهيكل (إش ٥٦: ٧؛ مت ٢١: ١٣؛ مر ١١: ١٧؛ لو ١٩: ٤٦)؛ وعن كونه حجر الزاوية رغم رفض اليهود له (مز ١١٨: ٢٢؛ مت ٢١: ٤٢؛ مر ١٢: ١٠،١١؛ لو ٢٠: ١٧،١٨؛ أع ٤: ١١؛ ١بط ٢: ٧)؛ وعن جلده والبصق عليه (إش ٥٠: ٦؛ مت ٢٦: ٦٧؛ ٢٧: ٢٦-٣٠)؛ وعن طاعته واستسلامه للصليب فلم يفتح فاه (إش ٥٣: ٧-٩؛ مت ٢٧: ١٢،١٤)؛ واقتسام ثيابه عند الصليب (مز ٢٢: ١٧،١٨؛ مت ٢٧: ٣٥؛ يو ١٩: ٢٣،٢٤)؛ وعن بيعه بثلاثين من الفضة وشراء حقل الفخاري بها ليكون مقبرة للغرباء بعد أن طرحها يهوذا في الهيكل ومضى وخنق نفسه (زك ١١: ١٢؛ مت ٢٧: ٩،١٠)؛ وعن دفن الرب في قبر جديد (إش ٥٣: ٩؛ مت ٢٧: ٥٧-٦٠؛ مر ١٥: ٤٣-٤٦؛ لو ٢٣: ٥٠-٥٣).

+ كما تحفل البشائر الثلاث الأخرى، وسفر الأعمال، والرسائل، بنبوَّات **العهد القديم** التي تشير إلى أحداث بعينها في مسيرة الخلاص، فضلاً عن نبوَّات أخرى تحقَّقت وإن لم تَرد في العهد الجديد، نذكر هنا بعضها: ثقب يديه ورجليه في الصليب (مز ٢٢: ١٦،١٧)؛ صلبه مع لصين (إش ٥٣: ١٢؛ مر ١٥: ٢٧؛ لو ٢٣: ٣٤)؛ عطش الرب على الصليب وتقديم الخل له (مز ٦٩: ٢١؛ يو ١٩: ٢٨-٣٠)؛ صرخته في الترع الأخير (مز ٢٢: ١؛ مت ٢٧: ٤٦)؛ وما فاه به عند تسليمه الروح (مز ٣١: ٥؛ لو ٢٣: ٤٦)؛ وطعنه بالحربة (مز ٣٤: ٥؛ زك ١٢: ١٠؛ يو ١٩: ٣٢-٣٧)؛ ونصرة القيامة وتحقيق الفداء (مز ١٦: ١٠،١١؛ إش ٥٣: ١٠،١١؛ يو ٢٠: ٩)؛ وعن صعوده (مز ٦٨: ١٨؛ أف ٤: ٨).

ولا يمكن حصر كل **الرموز**، أحداثاً (حروف الفصح، الحيَّة النحاسية، الصخرة، على سبيل المثال)، وأشخاصاً (آدم، هابيل، إسحق، موسى، يونان، على سبيل المثال)، أو كل **نبوَّات العهد القديم** التي تشير إلى أحداث تجسُّد الرب وخلاصه كما سجَّلها العهد الجديد، وإن كان يبرز من بينها ما جاء في **المزامير** (مز ٢٢، على سبيل المثال) وسفر **إشعياء** (إش ٥٣،٩، ٥٥، ٦١،٦٣، على سبيل المثال)، وكُتُب الأنبياء الصغار (هوشع ويوئيل وميخا وزكريا، على سبيل المثال).

❁ ❁ ❁

وشكراً لإلهنا المحب، الذي افتقدنا ونزل إلى أرضنا وأخذ جسدنا، وشاركنا آلامنا، وخلاصُنا كلّفه أن يبذل نفسه لأجل كل واحد، **"فلنمجده ونرفع اسمه لأنه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته"**.

الأحد الثالث من شهر كيهك

زيارة العذراء لأليصابات

" ورفع المتضعين "

عشية مز ١٣٢: ١٣-١٥ مر ١: ٢٣-٣١
باكر مز ٨٥: ٧، ٨ مت ١٥: ٢١-٣١
البولس : رو ٤: ٤-٢٤
الكاثوليكون : ١يو٢: ٧-١٧
الإبركسيس : أع٧: ٣٥-٥٠

مز ٨٥: ١٠، ١١

الإنجيل : لو١: ٣٩- ٥٦

[39]فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا، [40]وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. [41]فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، [42]وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ:«مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! [43]فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ [44]فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. [45]فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ». [46]فَقَالَتْ مَرْيَمُ:«تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، [47]وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، [48]لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، [49]لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي

عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ، ٥٠وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. ٥١صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. ٥٢أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ. ٥٣أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. ٥٤عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً، ٥٥كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ».
٥٦فَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا.

عندما جاء ملء الزمان كي يتجسَّد الابن، اختار من بين كل النساء في بيت داود **مريم** التقية النقية المتضعة، وأهَّلها اتضاعها كي تصير **حواء الثانية** أُم الخليقة الجديدة. وإذا كان كبرياء حواء وعصيانها هو الباب الذي ولجت منه الخطية والموت إلى كل البشر، فإن اتضاع مريم كان الباب الذي عَبَرَ منه خلاص البشرية ونوالها الحياة الأبدية. وهكذا باتضاعها وطاعتها صحَّحت **مريم** موقف **حواء** ورفعت رأس كل **النساء**، اللاتي نُسبت إليهن في القديم كل نقيصة، وصرن منذ التجسُّد يفتخرن بأنهن نساء من نفس جنس العذراء أُم الله.

وبشارة الملاك وتحيته لها وإعلانه أنها وجدت نعمة عند الله، وأنها ستحبل وتلد ابن الله (لو ١: ٣٠و٣٥)، كل هذا لم يُغيِّر موقفها من نفسها أنها **أَمَة الرب** (لو ١: ٣٨). وأكثر من ذلك، أنها لما عرفت من الملاك بأن نسيبتها **أليصابات** حُبلى في الشهر السادس، قامت وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا لزيارة أليصابات وتهنئتها وخدمتها لثلاثة شهور[1]، وفي تسبحتها مجَّدت الله الذي **"نظر إلى اتضاع أمته... ورفع**

---

(١) كنيسة في "**عين كارم**" بالقدس باسم كنيسة الزيارة Church of the Visitation، في مدخلها تمثال العذراء وأليصابات احتفاءً بزيارة العذراء.

المتضعين" (لو ١: ٤٨و٥٢).

وهكذا قبل أن يولد المسيح واضعاً نفسه أدنى من كل المتضعين، وقبل أن يُعلِّم عن الاتضاع وإنكار الذات، مارست العذراء هذا الاتجاه المسيحي بحقٍّ أمومتها للمخلِّص والمعلِّم، وواصلته في حياة الرب. فعاشت كل حياتها في الظل، متوارية خلف ابنها سيد الكل، حتى أن الإنجيل لا يذكرها إلاَّ مرات قليلة أبرزها عند البشارة والميلاد ودخول الهيكل بالطفل، ثم وهي تبحث عن ابنها الصبي، وعند الصليب، ومع أحداث القيامة ويوم الخمسين.

■ المسيح المتضع:

وقد كان دخول المسيح بالجسد إلى العالم، ليُخلِّصه من الموت، من باب الاتضاع بأن **"أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب"** (في ٢: ٧، ٨). ومارسه بأصدق من كل الناس؛ فاختار صغرى مدن يهوذا لتكون محل ميلاده، وامرأة فقيرة من عامة الناس لتكون أُمًّا له، ومذوداً للبهائم ليولد فيه، إذ لم يكن له موضع في المنزل (لو ٢: ٧)، وفي طفولته كان نموذجاً للطاعة: **"خاضعاً لوالديه"** (لو ٢: ٥١). وكدح ليحصل على طعامه فعمل نجاراً مساعداً ليوسف (مت ١٣: ٥٥، مر ٦: ٣). وقَبِلَ أن يعتمد من يوحنا الذي قال إنه لا يستحق أن يحل سيور حذائه. واختار تلاميذه من بسطاء الناس.

وخلال أيام خدمته لم يكن للرب **"أين يسند رأسه"** (مت ٨: ٢٠، لو ٩: ٥٨)، ولا هو امتلك مالاً (مت ١٧: ٧، ٢كو ٨: ٩). واحتمل

إهانات أقربائه الذين قالوا إنه مختلٌّ (مر ٣: ٢١). ولم يُقابل العنف أو الإساءة بالإساءة (١بط ٢: ٢٣). وقد حاول البعض أن يرجموه (يو ٨: ٥٩؛ ١٠: ٣١)، أو يلقوا به من فوق الجبل (لو ٤: ٢٩)؛ ولكنه لم يعرف الانتقام مؤكِّداً أن "**ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليُخلِّص**" (لو ٩: ٥٦). وأجَّل مواجهاته مع العالم حتى الصليب، حيث غلب العالم ورئيسه عندما اختطف من يده الإنسان ومصيره وأنقذه من الموت بموته وقيامته. وإذا كان الرب قد دان الكتبة والفرِّيسيين الذين قاوموه، إلاَّ أنه ظل دوماً مترفِّقاً بالخطاة، وقلبه فائض بالحنان على النفوس التي أذلَّها الشيطان.

وفي ليلة آلامه، ومشهد الصليب في الأُفق، فَعَلَ ما لم يتصوَّره حتى أقرب تلاميذه: قام عن العشاء وخلع ثيابه وجلس على الأرض وابتدأ **يغسل أرجل تلاميذه** التي غطَّاها تراب الطريق (يو ١٣: ٥)، مُقدِّماً درساً مُذهلاً في التنازل والاتضاع من أجل المحبة.

وخلال محنة المحاكمات والاقتراب من الصليب، قَبِلَ صامتاً الشتائم والتعييرات من أدنى الناس وكبارهم (إش ٥٣: ٧)؛ كما احتمل إنكار بطرس له والتخلِّي عنه والعالم يُحاصره، ولكنه قَبِلَ دموع توبته وشدَّده وأرسله لرعاية خرافه. وفي النهاية: "**وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب**" (في ٢: ٨).

■ الاتضاع في التعليم الكتابي:

منذ بداية الخليقة هناك قانون إلهي: "**يُقاوم الله المستكبرين، أما المتواضعون فيُعطيهم نعمة**" (يع ٤: ٦، ١بط ٥: ٥). فالشيطان وجنوده

سقطوا بكبريائهم من النعمة، ومثلهم طُرِد آدم وحواء من الجنة. ورجال الله الأوائل كانوا نماذج في الاتضاع أمام الله. **فإبراهيم خليل الله** (يع ٢: ٢٣) يخاطب الله قائلاً: **"شرعت أكلِّم المولى، وأنا تراب ورماد"** (تك ١٨: ٢٧). **وموسى** يقول لله: "مَن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أُخرج بني إسرائيل من مصر. **لستُ أنا صاحب كلام... بل أنا ثقيل الفم واللسان"** (خر ٣: ١١؛ ٤: ١٠). **وداود** المنتصر يصف نفسه أنه **"كلب ميت وبرغوث واحد"** (١صم ٢٤: ١٤). **وأيوب** المبتلَى يقول: **"ها أنا حقير، فماذا أُجاوبك؟ وضعتُ يدي على فمي"** (أي ٤٠: ٣).

ويتبدَّى الاتضاع في تعليم المسيح ورسله ساطعاً متجلِّياً وسط سائر الفضائل. ففي صدر الموعظة على الجبل جاءت كلمات الرب تطوِّب المتضعين: **"طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات"** (مت٥: ٣). كما أن الرب قدَّم نفسه نموذجاً للاتضاع، وحث الجميع على اتِّباعه: **" احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم"**(مت ١١: ٢٩). ونبَّه الناس إلى اختيار المكان الأخير: **"متى دُعيت فاذهب واتَّكئ في الموضع الأخير"**، مؤكِّداً أنَّ**"مَنْ يضع نفسه يرتفع"** (لو ١٤: ١٠و١١). وفي توجيهه لتلاميذه المتنافسين على المكان الأول أقام في وسطهم ولداً وحذَّرهم: **"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمَنْ وضع نفسه مثل هذا الولد، فهو الأعظم في ملكوت السموات"** (مت ١٨: ٣و٤). وفي ختام مَثَل **الفرِّيسي والعشار**، حيث

تمتَّع العشار المتضع برحمة الله وغُفِرَت خطاياه دون الفرِّيسي المتفاخر ببرِّه، كان التعليم: **"لأن كل مَن يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع"** (لو ١٤: ١١؛ ١٨: ١٤). وجعل الرب **إنكار الذات** حجر الزاوية في البناء الروحي وتبعية الرب: **"إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"** (مت ١٦: ٢٤)، **"إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"** (يو ١٢: ٢٤). وبعد أن غسل الرب أرجل تلاميذه أوصاهم أن يفعلوا مثله مُبيِّناً أنه: **"ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مُرسله."** (يو ١٣: ١٦)

وفي تعليم الرسل يقع الحثّ على الاتضاع في الصدارة:

+ **"اتضعوا قدام الله فيرفعكم"** (يع٤: ١٠).

+ **"فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه."** (١بط ٥: ٦)

+ **"فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات، ولُطفاً، وتواضعاً، ووداعة، وطول أناة."** (كو ٣: ١٢)

بل إن **القديس بولس**، رسول الأمم العظيم، لا يرى نفسه أمام برِّ المسيح إلاَّ أحد الخطاة، بل أولهم: إن **"المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا"** (١تي ١: ١٥)، ويصف نفسه أنه: **"أصغر الرسل"**، بل إنه ليس أهلاً لأن يُدعَى رسولاً، لأنه اضطهد كنيسة الله، وينسب العمل كله لنعمة الله: **"ولكن بنعمة الله أنا ما أنا... لا أنا بل نعمة الله التي معي"** (١كو ١٥: ٩و١٠).

■ الاتضاع نبع الفضائل :

يُجمع القديسون على أن **الاتضاع هو نبع الفضائل**، أي أنه أساس قيام سائر الفضائل ونموها:

+ وفي المقام الأول، فإن ممارسة **محبة الله والقريب**، وهي أولى وأعظم الوصايا وبها يتعلَّق الناموس كله والأنبياء (مت ٢٢: ٣٦-٣٩، مر ١٢: ٣٠و٣١، لو ١٠: ٢٧)، والتي يصفها معلِّمنا بولس الرسول بأنها **رباط الكمال** (كو ٣: ١٤) و**تكميل الناموس** (رو ١٣: ١٠)، هي مهمة مستحيلة دون اتضاع النفس وإنكار الذات. فلا يمكن للمنحصر في ذاته أن يهتم بآخر، فضلاً عن أن يحبه ويبذل نفسه من أجله (يو ١٥: ١٣). والذي لا تشغله محبة الآخر الذي يبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره (١يو ٤: ٢٠)!

+ كما أن اتِّباع الرب **والإيمان به** يقتضي إدراك أن النفس خاطئة ومحتاجة إلى المخلِّص، وهكذا تنجذب إلى برِّه وقداسته. هكذا رأينا بطرس في لقائه الحاسم مع الرب. فبعد صيد السمك الكثير، صرخ بطرس قائلاً: "اخرج من سفينتي يا رب **لأني رجل خاطئ**" (لو ٥: ٨)، ولأنه كان صادقاً في شعوره فقد ترك كل شيء وتبعه. وبدون هذا الشعور بالاحتياج الذي يُغذيه الاتضاع يظل الإنسان تائهاً يتخبط في الظلام وتفلت منه فرص التوبة والنجاة.

+ وبدون الاتضاع يعسر على الشخص الخاطئ **أن يعتذر أو يطلب المغفرة**، لأنه يظل دوماً باراً في عيني نفسه. كما يتعذر - حتى على المؤمن - أن **يسامح** أو **يغفر وينسى** إن لم يكن الاتضاع أصيلاً في بنيانه الروحي.

+ الاتضاع هو أساس **العبادة المقبولة**. فصلاة العشار المنسحق المعترف بخطيئته، دخلت إلى محضر الله ونال الغفران. **وطاعة الوصية** أمامها العقبات إن لم تستند إلى قوة الله، **والصوم** وما يتضمنه من تعفُّف وتقشف ونسك وتوبة وانسحاق وجهاد وصبر لا ينجح إلاَّ بالاتضاع.

+ بغير الاتضاع تُختزل العبادة كلها في ممارسات شكلية مظهرية، تخلو من الحب والالتزام، ولا تقصد غير إرضاء الناس والذات، فتتضخم ويزداد الشعور بالبر الكاذب. **وعملياً فإن عبادة بدون اتضاع هي في الحقيقة تُكرِّس البُعْد عن الله.**

+ الاتضاع مطلوب كي نشعر باحتياجنا **لكلمة الله** ومعرفتها ودراستها واللهج فيها بما يؤدِّي إلى النمو في معرفة الله وأصول الحياة الروحية. فالمكتفون المعتزُّون بمعرفتهم، الضائُّون بوقتهم على قراءة الكلمة، يحرمون أنفسهم من نور معرفة الله ويفقدون في مسيرة حياتهم السراج والسياج.

+ الاتضاع هو أساس **الخدمة** المثمرة الناجحة التي تقصد مجد الله، وفيه لا يصير البذل من أجل الآخرين عبئاً ووهقاً، وإنما بركةً وفرحاً. وكل جهد يؤول حتماً إلى **"تعب المحبة"** الذي لا يُنسى قدَّام الله (عب ٦: ١٠).

+ وفي الاتضاع **تُقبل الآلام من أجل المسيح** دون تذمُّر أو دمدمة: **"أألخير نقبل من عند الله، والشر لا نقبل"** (أي ٢: ١٠). ويصير **احتمال الاضطهاد** بسبب الإيمان أمراً واجب **الطاعة: "إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم"** (يو ١٥: ٢٠)، وتصير كل الوصايا التي تتطلَّب **التغصُّب وضبط النفس** قابلة للتنفيذ بكل رضى، ومعها ينمو **الصبر**

والاحتمال وطول الأناة وبطء الغضب.

+ وكما علَّمنا القديسون: فلا يقهر إبليسَ ومؤامرته ضدنا، والحروب التي يستغل فيها ضعف جسدنا؛ غير اتضاعنا، الذي يعني أننا قد وضعنا كل ثقتنا واتكالنا، لا على أنفسنا وتقوانا، وإنما على الذراع الرفيعة لإلهنا الغالب دوماً القادر وحده أن يصلب فينا كل الأهواء والشهوات (غل ٥: ٢٤).

+ **وفي الحياة الزوجية**، فإن الاتضاع هو عماد التآلف، وفيه ينضبط الغضب ويتأصَّل **التسامح** وتصير النفس قادرة على **الغفران: "كما غفر لنا المسيح"** (كو ٣: ١٣)، ونسيان الإساءة كأن لم تكن، فتتوطد العلاقة وتنمو **المحبة** مع كل يوم. وعلى العكس، فعندما يغيب الاتضاع يتوارى الاحتمال ويحل الشقاق، ومع كل يوم يتعمَّق الاختلاف ويسود التباعُد ويتهدد العلاقة الانهيار.

+ **وفي الجانب السلوكي**، فإن الاتضاع هو الأرض الخصبة لنمو العديد من الصفات التي تجمِّل النفس وترتقي بها. فتتسم نفس المتضع بالوداعة واللطف والهدوء، وبالحلم وضبط النفس، وبالاحتشام في المظهر وبالتجرُّد وبساطة الحياة، والنفور من الطمع والترف وتعظُّم المعيشة، وسهولة التعامل مع الغير واكتساب حبهم، وإذا مال إلى المرح ففي غير ابتذال أو صخب. والمتضع دائماً يُقدِّم غيره، ويتجاهل المديح والكرامة، ويقبل النقد والتوجيه باتساع قلب. وفي وقت التجارب والآلام يعرف أن يشكر الله لا أن يشكو ويئن ويندب حظه، وهو لا ينحصر في همومه الذاتية، بل هو مستعد دوماً لمساندة المتضايقين وتعزيتهم فينال التعزية هو أيضاً.

+ وإذا كان الاتضاع يبدأ بإدراك قصورنا وضعفنا وخطيئتنا أمام كمال الله وقوته وقداسته، فإن نمونا فيه يُديم علينا نعمة الله، ويُعمِّق شعورنا بأن حضور الله في حياتنا هو سر تقدُّمنا وانتصارنا.

■ ولماذا الاتضاع؟

ليس غريباً أن يُطوِّب الرب المتضعين، ويجعل **إنكار الذات**، أساس السلوك المسيحي. فالاتضاع يعني اكتشاف الإنسان لحقيقة نفسه، وإدراك عجزه وقلة حيلته أمام المرض والمحن والموت، وأنه تراب ورماد، وأن حياته "**بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل**" (يع ٤: ١٤)، وأنه بدون الله لا يقدر على فعل شيء. وأنه ضعيف ويُخطئ، وأن أي فعل طيِّب يعمله ينتسب مباشرة إلى الله صانع الخيرات ومصدر كل بر، وأنه محدود القوة والمعرفة والأيام، وأن أحداً لا يملك حياته أو مواهبه أو فضائله أو صحته أو ماله أو جماله أو نسبه، وأن أحداً لا يستطيع وحده أن يفعل البر أو ينتصر على الخطية. هي كلها عطايا الله الغني.

وهكذا يُترجم الاتضاع إلى **إنكار الذات**، أي عدم الاعتداد بالنفس وإخلائها، كي يصير الله هو المهيمن على الكيان دون منازع. وهكذا جعله الرب شرطاً أولياً لتبعيته، إذ بدونه ترفض النفس تبعية آخر، وبدونه لن تقبل حمل الصليب أي التألُّم من أجل المسيح، أو احتمال التجارب الداعمة للإيمان أو الجهاد ضد ميول الجسد. **ومن هنا يكون الاتضاع هو المفتاح للدخول إلى سائر الفضائل.**

على أن الأسباب التي تجعل الاتضاع الجوهرة الثمينة التي ينشد كل مؤمن أن يقتنيها، والتي تجعل كبرياء الإنسان تنكُّباً عن طريق الحق،

وقصوراً عقلياً وعمىً روحياً، أكثر من أن تُحتوى؛ في إمكاننا حصر أهمها:

+ فكيف يتعالى أحد على آخر، وكل البشر سواءٌ، فهم جميعاً إخوة من أب واحد وأُم واحدة.

+ وكيف ينسى الإنسان، مهما ارتفع، أنه في ساعة لا يعرفها سوف يواريه التراب، وسيعود هو في نهاية الأمر إلى تراب.

+ وكيف نتجاهل وصية الرب: أن "**تعلَّموا مني**" (مت ١١: ٢٩)، أي تمثَّلوا بي وسيروا على نهجي في الاتضاع، وأن ليس التلميذ أفضل من المعلِّم بل يكفي التلميذ أن يكون كمعلِّمه (مت ١٠: ٢٤و٢٥).

+ وإذا كان البر الذاتي يُعطِّل شركتنا في المسيح ويدمِّر الحياة كلها، فإن الاتضاع يحفظ لحياتنا الروحية سلامتها ونموها إلى آفاق أرحب، ويُحبط مؤامرات الشرير ضدنا، فإبليس لن يجد طريقاً إلى النفس المتضعة المحتمية بإيمانها في قوة القدير.

+ يكفي أن الله، الذي يُقاوم المستكبرين، هو قريبٌ من المتضعين والمنكسري القلوب، يُخلِّصهم ويشفيهم ويجبر كسرهم (مز ٣٤: ١٨؛ ١٤٧: ٣، لو ٤: ١٨)، ويُعزِّيهم (٢كو ٧: ٦)، ويُعطيهم نعمة (يع ٤: ٦، ١بط ٥: ٥). كما أن مَن يتضع يرتفع، فالانحناء للدخول من الباب الضيق إلى الطريق الكرب هو السبيل المؤدِّي إلى الحياة الأبدية.

+ وإن دخول المسيح إلى مجده كان من باب الاتضاع: "**لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شِبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة**

مِمَّن في السماء ومَن على الأرض ومن تحت الأرض" (في ٢: ٧-١٠).

+ وإن **العذراء** المتضعة رُفعت إلى السماء، وصارت في الكنيسة الشفيعة الأولى، ويجيء ذِكرها في مقدمة مجمع القديسين: **"وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً، العذراء كل حين، والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة"**.

■ كيف نبلغ إلى الاتضاع؟

ولا نقصد كيف نتخذ هيئة الاتضاع (فما أسهل التظاهر بالتقوى - ٢تي ٣: ٥)، **لأن الاتضاع كالسجود ينبغي أن يكون بالروح والحق.** وهو لن يأتي بالاستماع أو القراءة عنه، وإنما باختباره وممارسته. ومظاهر المتضع الخارجية إذا كانت حقيقية، هي ثمار فعل روحي باطني (وليس فعلاً ذاتياً) يعمله الروح القدس (غل ٥: ٢٢)، ولن نناله إلاَّ عندما نطلبه منه بتوسُّل شديد. وأول ما سوف يعمله الروح هو أن يُسلِّط نوره على حياتنا، فنكتشف قصورنا ومحدوديتنا وعجزنا، ونتعرف على نقائصنا وعيوبنا ونقاط ضعفنا وكبريائنا المستترة خلف ستار الرياء والزيف.

وسوف يتعيَّن علينا أن نقبل خطة الله لتحطيم كبريائنا بكل وسيلة يختارها، سواء بالألم أو المرض أو التجارب أو الخسائر، ليُنْهي، بالتوبة وتسليم الحياة، اعتمادنا على ذواتنا أو علي غيرنا أو على العالم وأشيائه، ويُحوِّل ثقتنا إليه كضابط للكل وقادر على كل شيء.

وسيسندنا في التغلُّب على كبريائنا، التمثُّل بالرب: **"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع"** (عب ١٢: ٢)، والتطلُّع إلى حياته الوديعة (مت ١١: ٢٩)، وإلى حياة قدِّيسيه: **"تمثَّلوا بإيمانهم"** (عب ١٣: ٧)، متحوِّلين

من حياة يُقاومنا فيها الله إلى حياة نتمتع فيها بنعمة الله ومساندته (يع ٤: ٦)، ويصير الاتضاع عنصراً أصيلاً في كياننا الروحي ينمو ويتعمَّق كل الحياة.

■ ملاحظات أخيرة :

+ لكي نستكمل صورة هذه الفضيلة المحورية في حياة المؤمنين، نرى لزاماً أن نشير إلى أن الاتضاع لا علاقة له بصغر النفس، أو ضعف الشخصية، أو غياب الطموح والتقدُّم، أو الانسحاب من الحياة، أو التردُّد في أداء الواجب وخدمة العالم؛ فهذه أمراض نفسية واجتماعية يبرأ منها الروحيون المختبرون للإيمان المسيحي.

+ وبالأَوْلَى، فالاتضاع، تلك النعمة الإلهية التي يدعونا الرب إليها، لا علاقة له بسلوك ضعاف النفوس من الجُبن والتخاذل والهروب من المواجهة مع العالم المقاوِم. وإذا كان من الطبيعي أن يكون المتضع هادئاً محتملاً في الأحوال العادية، إلاَّ أنه في مثل هذه المواقف فإنه – مستنداً إلى قوة الله ومساندة النعمة – يتخلَّى عن هدوئه واحتماله، يدفعه التزام الإيمان مستخدماً ما أودعه الله فيه أيضاً من غيرة وصرامة وحسم.

وها هو الرب، وهو يُحاكَم وفي طريقه إلى الصليب، يقف صامداً قوياً أمام جلاَّديه وصالبيه ولا يتفادى الموت، وعلى نهجه كان إيليا أمام أخآب (١مل ١٨: ١٨؛ ٢١: ٢٠-٢٤)، والمعمدان في مواجهة هيرودس (مت ١٤: ٤، مر ٦: ١٨)، وبطرس أمام المجمع (أع ٥)، وبولس في أريوس باغوس وأمام قائد المئة والوالي فستوس والملك أغريباس (أع ٢٢ و٢٥ و٢٦)، وسائر الشهداء ساعة الموت.

+ الاتضاع لا يتطلب إنكار المواهب التي أعطاها الله للإنسان، والإقرار بها باعتبارها نعمة إلهية تمجد الله. والأمر لا يحتاج إلى رفض إعجاب الآخرين بأي موهبة في المؤمن وإنما يحول المجد لله مع الاحتراس من الاستئثار بها.

+ كما أن الاتضاع لا يتعارض مع الكرامة الإنسانية واحترامها والدفاع عنها أمام مَن يريد سحقها، كأولاد لله وخليقته الأثيرة المخلوقة على صورته، وبالتالي لا يليق أن يحتقر أحد نفسه أو يستصغر شأنها، فلأنها خليقة الله فهي محبوبة، على ألا تتحول المحبة إلى تدليل ضار واستجابة لكل رغبة.

+ الاتضاع لا يتنافى مع قول الحق والدفاع عنه دون خوف، وإن كان سيتضمن أيضاً أن يشهد المؤمن للحق ضد نفسه هو إذا انسبق في زلة ما؛ كما سيتضمن ألاَّ يقترن دفاعه عن الحق بالتهجُّم أو عثرات اللسان.

+ الاتضاع لا يبرر الانطواء أو العزلة أو الإحساس بالدونية أو النفور من المجتمع أو الجبن أو عدم الثقة بالنفس أو الضعف أو التهرب من المسئولية أو اتخاذ سمات خارجية ذليلة افتعالاً لتأكيد الاتضاع والتجرد.

+ وهو لا يتنافى مع قيام المؤمن بمهام الرئاسة والقيادة والحُكْم والقضاء والتربية والتأديب وحماية المجتمع والدفاع عن الوطن. ولكن في هذه كلها يبقى أميناً ولن يستخدم سلطانه لحسابه هو، ولن يتجاوز وصية الله، ولن ينسى أنه أيضاً تحت قيادة الله وسلطانه وتأديبه: **"عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات، وليس عنده مُحاباة"** (أف ٦: ٩).

❋ ❋ ❋

هذه دعوة للاتضاع من الرب وأمه العذراء.

وإذا كان الكتاب يقول إن: **"مَن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة"** (١يو ٤: ٨)، فإنه يمكن القول أيضاً **إن مَن لا يتضع لم يعرف الله، لأن الرب وضع نفسه وطلب أن نتعلَّم منه الوداعة واتضاع القلب، فنجد راحة لنفوسنا.**

ولنسلِّم نفوسنا لعمل الروح متقدِّمين بثقة إلى عرش النعمة: **"كي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه"** (عب ٤: ١٦).

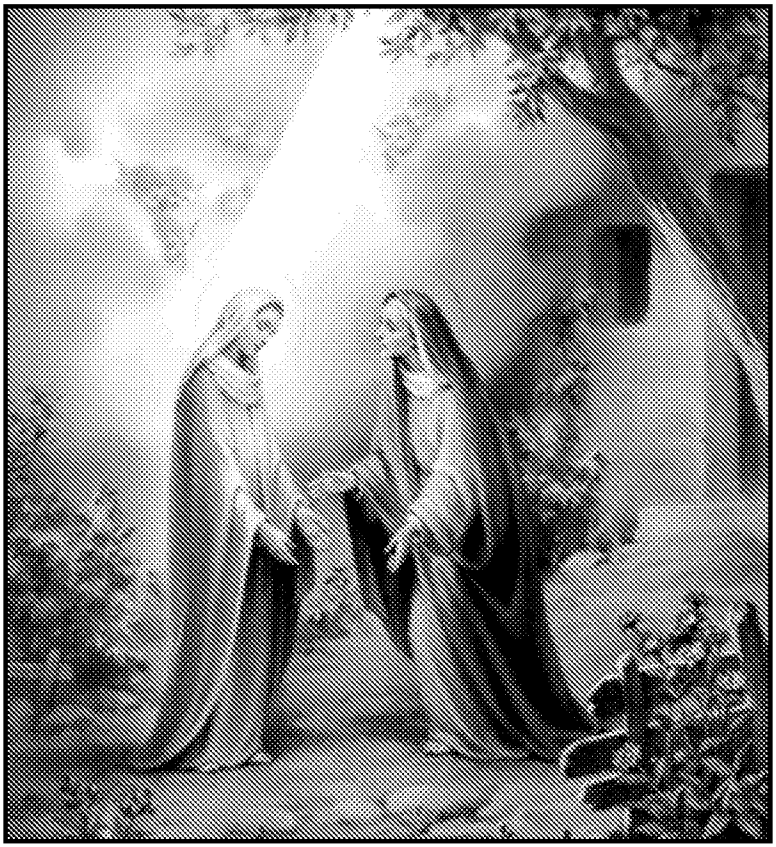

الأحد الرابع من شهر كيهك

ميلاد يوحنا

المعيَّن خادماً للخلاص

عشية مز ٨٧: ٥ لو ٨: ١-٣
باكر مز ٩٦: ١١- ١٣ مر ٣: ٢٨-٣٥
البولس : رو ٩: ٦-٣٣
الكاثوليكون : ١يو٢: ٢٤-٣:٣
الإبركسيس : أع٧: ٨-٢٢

مز٨٠: ١- ٣

الإنجيل : لو١: ٥٧ - ٨٠

[٥٧]وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ، فَوَلَدَتِ ابْنًا. [٥٨]وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا، فَفَرِحُوا مَعَهَا. [٥٩]وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ، وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا. [٦٠]فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ:«لاَ! بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا». [٦١]فَقَالُوا لَهَا:«لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهذَا الاسْمِ». [٦٢]ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. [٦٣]فَطَلَبَ لَوْحًا وَكَتَبَ قَائِلاً: «اسْمُهُ يُوحَنَّا». فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. [٦٤]وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ. [٦٥]فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ، [٦٦]فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ:«أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هذَا الصَّبِيُّ؟» وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ. [٦٧]وَامْتَلأَ

زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَتَنَبَّأَ قَائِلاً: [٦٨]«مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، [٦٩]وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. [٧٠]كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ، [٧١]خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. [٧٢]لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ، [٧٣]الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: [٧٤]أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا، نَعْبُدُهُ [٧٥]بِقَدَاسَةٍ وَبِرّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا. [٧٦]وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. [٧٧]لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ، [٧٨]بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرِقُ مِنَ الْعَلاَءِ. [٧٩]لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ». [٨٠]أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ.

أخيراً يأتي زمان **أليصابات** لتلد، وجاء الجيران والأقارب يشاركونها فرحتها. وفي اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبي "**وسموه باسم أبيه زكريا**". ولكن أليصابات الملهَمة تعترض وتقول "لا بل يسمى **يوحنا**" (كما تسمَّى من الملاك) فيذكّرونها أن أحداً في عشيرتها لم يسمَّ بهذا الاسم. وعندما يأتون إلى زكريا الذي كان لم يزل صامتاً ليسألوه كتب على لوح أن اسمه **يوحنا**[1] كما تسمّى من قِبَل من عيّنه لمهمته "يرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، **ويتقدم أمامهم بروح إيليا وقوته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهييء للرب شعباً مستعداً** (للخلاص)" (لو ١: ١٧).

وفي الحال انفتح فم ولسان **زكريا** وتكلم وبارك الله (بعد تسعة شهور وثمانية أيام من الصمت والتأمل).

---

(١) يوحنا أو ياهو حنان، أي الرب تحنن.

■ المسيح في الصدارة ويوحنا يتقدم أمامه :

يمتليء **زكريا الكاهن** من الروح القدس بعد أن تحرر لسانه، ولا يبدأ كلامه عن الوليد المبارك وإنما عن المخلص الذي يأتي فادياً للشعب والذي تعين يوحنا خادماً له فيقول:

"مبارك الرب إله إسرائيل لأنه **أفتقد وصنع فداء لشعبه،**

"وأقام لنا **قرن خلاص** في بيت داود فتاه، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر،

" **خلاصٍ** من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا، [ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس (منذ إبراهيم)]، القسم الذي حلف **لإبراهيم** أبينا[٢] أن يعطينا إننا، بلا خوف، منقَذين من أيدي أعدائنا، نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا" (لو١: ٦٨-٧٥).

ثم يخاطب ابنه الوليد متكلماً عن مهمته "وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى، **لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم**" (لو ١: ٧٦، ٧٧).

ثم يواصل كلامه عن **المخلص:**

"**بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرَق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام**" (لو١: ٧٨، ٧٩).

---

(٢) "**وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض**" (تك١٢: ٣) "**يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم... وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً**" (تك١٧: ٥، ٧) "بذاتي أقسمت يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، **أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطيء البحر.. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض**" (تك ٢٢: ١٦-١٨).

■ خدام الخلاص قبل يوحنا :

يأتي **يوحنا** في ملء الزمان ليختم على مجموعة كبيرة مختارة على مدى ثلاثين قرناً لخدمة الخلاص الموعود به، سواء من كانوا أطرافاً فاعلة فيه أو من تنبأوا عنه أو من اتصلوا به بشكل أو بأخر، بدءاً من **حواء** التي رغم أنها أسهمت في دخول الخطية إلى العالم ولكن كان هناك الوعد أن نسلها يسحق رأس الشيطان (تك ٣: ١٥).

وهذا **هابيل** البار (أول قائمة رجال الإيمان في الأصحاح الحادي عشر من سفر العبرانيين) الذي شهد الله لقرابينه؛

وعزّى الله حواء عن هابيل الشهيد فأعطاها **شيثاً**، الذي ولد **أنوش** "**حينئذ ابتُديء أن يدعى باسم الرب**" (تك٤: ٢٦) والاثنان مذكوران في سلسلة أنساب السيد المسيح (لو٣: ٣٨)؛

وهذا **أخنوخ** المشهود له أنه قد أرضى الله، وهو لم يوجد لأن الله نقله (تك ٥: ٢٤، عب ١١:٥). ويذكر الرسول يهوذا لأخنوخ نبوءته "**هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع**، ويعاقب جميع فجّارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجّار" (يه ١٤: ١٥)؛

وبعده جاء **نوح** الذي بنى الفلك لخلاص بيته، فدان العالم وصار وارثاً للبر (تك ٦: ٢٢، عب١١: ٧)، وصار فُلكه رمزاً لكنيسة الله التي يلجأ إليها كل من يريد أن ينجو من الموت الأبدي؛

ثم يأتي **إبراهيم** الذي قطع معه الرب الوعد أنه فيه وفي نسله تتبارك كل أمم الأرض، وصار بإيمانه أباً لكل من يؤمن يهوداً وأمماً (رو ٤: ١١-١٨)، وجاء الرب ابناً لإبراهيم؛

و**ملكي صادق** ملك ساليم الذي يظهر كالشهاب ويخرج خبزاً وخمراً ويبارك إبراهيم الذي يعطيه عُشراً من كل شيء، ويصير هو رمز **كهنوت العهد الجديد ورأسه المسيح** (تك١٤: ١٨-٢٠، مز١١٠: ٤، عب ٥: ٦، ٧: ١-١٧، ٩: ١١، ١٢) "**رئيس كهنة الخيرات العتيدة**"، والذي هو أعظم من الكهنوت اللاوي وهارون؛

و**اسحق** ابن الموعد الذي جدد فيه الله الوعد بالبركة (تك٨:١٧، ١٩) والذي برجوعه حياً يرمز لقيامة الرب بعد موته الكفاري؛

و**يعقوب** إسرائيل المختار قبل أن يولد، والذي أخذ البركة عنوة، ومنه جاء الأسباط وبينهم **يوسف** الذي أنقذ مصر من المجاعة كما أنقذ المسيح العالم من الموت، و**يهوذا** الذي منه جاء المسيح (مت١:١)، و**لاوي** الذي جاء منه **موسى** الذي عبر بالشعب إلى الحرية والذي أخذ الوصايا المكتوبة بأصبع الله وهي الناموس الأول الذي أكمله الرب بالعهد الجديد.

وبعد **موسى** قاد الشعب **يشوع**، سميّ المسيح يسوع، ودخل بهم كنعان، وفي أريحا، أول المدن التي دخلوها، نلتقي **براحاب** التي أنقذت الجاسوسين وقبلت الإيمان (يش٢: ٤-١١، عب١١: ٣١) وصارت ضمن سلسلة أنساب المسيح بالجسد (مت ١: ٥)؛

وبعد **القضاة جدعون وباراق ويفتاح**، يأتي النبي **صموئيل** الذي يختار **داود** ثاني ملوك إسرائيل والنبي المبشر بالمسيح ابنه وربه (مز ١١٠، ١، مت٢٢: ٤٤، مر١٢: ٣٦، لو١٠: ٤٢، أع٢: ٣٤، عب١: ١٣)، ويليه في الحكم ابنه **سليمان** باني الهيكل، والذي جاء المسيح الذي هو "**أعظم من سليمان**" (مت١٢: ٤٢) صاحب الهيكل الحقيقي؛

وبين الأنبياء يبرز **إيليا** الشاهد للحق الذي رُفع إلى السماء حياً (٢مل٢: ١١)، والذي ظهر مع موسى إلى جانب الرب **يوم التجلي** (مت١٧: ٣، مر٩: ٤، لو٩: ٣٠)، وفي آخر الأيام سيأتي مرافقاً **لأخنوخ** مبشراً بالمجيء الثاني للرب؛

وبعده يأتي **أليشع** الذي أقام الموتى حياً وميتاً (٢مل٤: ٣٢-٣٥، ١٣: ٢١)، **ويونان** الذي بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال رمزاً لموت الرب ثم قيامته بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال (مت١٢: ٤٠)، والأنبياء من **إشعياء وإرميا وحزقيال** وحتى **ملاخي** ونبواتهم تتكلم عن الرب مخلص العالم منذ البشارة به إلى حياته وموته وقيامته وصعوده ومجيئه الثاني للدينونة.

وتتوقف النبوة أربعة قرون قبل أن يأتي **يوحنا**، أخِر من يخدمون الخلاص من العهد القديم، وبعده تتقدم مريم العذراء ويوسف والتلاميذ والرسل وكنيسة العهد الجديد بخدامها وشعبها كخدام الخلاص إلى أخر الأيام.

■ يوحنا خادم الخلاص :

كأخر أنبياء العهد القديم المعينين لخدمة الخلاص، يجيء **يوحنا** ليهيء الطريق أمام الذي هو مشتهى الأمم ورجاء كل الأنبياء والبشر "**ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهييء طريقك قدامك**" (مل ٣:٣) (٤٣٠ ق.م).

ويتنبأ عنه إشعياء فيقول "**صوتُ صارخٍ في البرية، أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كل وادٍ يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض،**

وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله" (إش٤٠: ٣- ٧٥٠ ق.م – لو ٣: ٤-٦).

والرب يمتدح يوحنا قائلاً إنه **أفضل من نبي بل وأعظم نبي بين مواليد النساء** (مت١١: ٩، ١١؛ لو ٧: ٢٦، ٢٨).

ويوحنا أخضع نفسه لمهمته بكل الاتضاع، فعاش كل حياته في البرية ناسكاً مترفعاً عن كل أطايب الحياة "**لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً**" (مت ٣: ٤).

وفي دعوة الناس للمخلص، حثّهم يوحنا على التوبة "**فخرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم**" (مت٣: ٥، ٦). والمراؤون ومدّعو التوبة من الفريسيين والصديقيين وبخهم وحثّهم على توبة حقيقية، وأن يخافوا من مصيرهم الأليم "من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، **فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة**.. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر **فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار**" (مت٣: ٧-١٠؛ لو٣: ٧-٩).

وفيما هو يقدم المسيح يتصاغر جداً ويمارس اتضاعاً فائقاً، مبيناً أن الرب هو الديان للكل: "أنا أعمدكم بماء للتوبة **ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه (أحل سيور حذائه)، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار، الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ**" (مت ٣: ١١، ١٢؛ لو٣: ١٦، ١٧؛ يو١: ٢٦، ٢٧). ولما جاءه الرب يعتمد منه هتف قائلاً "**هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو١: ٢٩)، ولكنه منعه

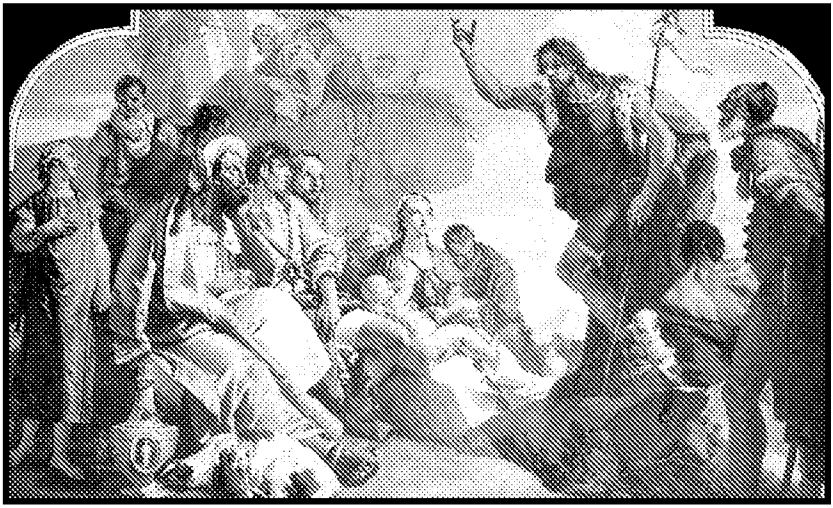

"فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة" (مت٣: ٨)

قائلاً "**أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي**"، ولكن لما رد عليه الرب قائلاً "**اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر**" سمح له (مت٣: ١٤، ١٥).

وبعد عماده للرب ومرأى الثالوث قال "**هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي.. إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه.. الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله**" (يو١: ٣٠-٣٤).

وهو شهد للرب أمام تلاميذه ودفعهم ليصيروا تلاميذ الرب "أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح بل **إني مُرسل أمامه**". من

له العروس فهو العريس. وأما **صديق العريس** الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. **إذاً فرحي هذا قد كمل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص. الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق. لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله، لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح. الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله** " (يو٣: ٢٨-٣٦).

■ يوحنا يتوارى ولكن يظل شاهداً فشهيداً للحق :

قدم يوحنا المسيح إلى العالم وعمّده كي يُستعلن الثالوث للبشر، وسلّم تلاميذه للرب وتوارى في الظل. ومكتوب أن **يوحنا** كان واقفاً هو واثنان من تلاميذه: **أندراوس** أخو بطرس و**يوحنا** أخو يعقوب ابن زبدي. فنظر إلى يسوع ماشياً فقال (كما تعوّد) "**هوّذا حمل الله**"، فتبعا يسوع وسألاه: أين تمكث. "فقال لهما **تعاليا وانظرا. فأتيا ونظرا ومكثا عنده ذلك اليوم وكان نحو الساعة العاشرة**". وفيما بعد فقد دعا أندراوس أخاه **سمعان** للقاء الرب الذي غير اسمه إلى صفا أي **بطرس** (يو ١: ٣٥-٤٢). وهكذا من تلاميذ يوحنا كانت الباكورة للإثنى عشر.

وخلال أيامه القليلة التالية عاش شاهداً للحق، متجرداً غير طامع في مغنم، كارزاً بحياة القداسة للكل. وظل على شجاعته و لم يخش قول الحق أمام **هيرودس** الذي اشتهى هيروديا امرأة فيلبس أخيه وهو حي وتزوجها،

وذهب إليه في قصره وواجهه في صرامة قائلاً "**لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك**" (مت١٤:٤، مر٦:١٨)، فوضعه هيرودس في السجن (مت١٤:٣، مر٦:١٧، لو٣:٢٠) (وكان ذلك بعد معمودية الرب وقبل أن يبدأ الرب خدمته الجهارية)، رغم أن هيرودس "كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه، وإذ سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور" (مر ٦: ٢٠). ولكن هيرودس كان مغلوباً من أهوائه، ما جعله يفكر في التخلص منه وإن كان يخاف الشعب "**لأنه** (أي يوحنا) **كان عندهم مثل نبي**" (مت١٤: ٥). كما ظل حنق هيروديا عليه شديداً وأخذت تدبر لقتله، وأنتهزت فرصة احتفال هيرودس بيوم مولده وسط عظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل، وجعلت ابنتها ترقص في الحفل مما سر هيرودس، وفي نشوته أقسم للصبية أنه مهما طلبَت فسوف يعطيها إياه ولو إلى نصف مملكته(!). فهرعت الابنة إلى أمها تسألها ماذا تطلب "فقالت **رأس يوحنا المعمدان**". ودخلت سريعاً إلى الملك تطلب رأس يوحنا على طبق. وكان صدمة الملك عظيمة أفاقته من لهوه، وحزن جداً واغتم، ولكنه لم يستطع التراجع "لأجل الأقسام والمتكئين". ومضى السياف إلى السجن وعاد برأس يوحنا على طبق وأعطاه للصبية التي أعطته لأمها (مت١٤: ٦-١١، مر٦: ٢١-٢٨).

وهكذا صار هيرودس نموذجاً للسقوط خضوعاً للشهوة التي تدمر الإنسان. وظل شبح يوحنا يؤرّق ضميره، وبقى حياته كلها يرتعب من ذكر اسمه. ولما بدأ اسم المسيح يتردد في الجليل كان هيرودس يقول لغلمانه

مفزوعاً "يوحنا أنا قطعت رأسه فمن هو هذا الذي أسمع عنه هذا.. **هذا هو يوحنا قد قام من الأموات ولذلك تُعمل به القوات**" (مت١٤: ١، ٢؛ مر٦: ١٤، ١٦؛ لو ٩: ٧، ٩).

رغم كل شيء فقد انتصر يوحنا، وصار اسمه على مدى الأجيال رمزاً عظيماً للشجاعة، وعدم الخوف من الناس (مت ١٠: ٢٨)، والشهادة للحق مهما كان الثمن. وظلت صيحته "**لا يحل لك**" تدوّي في الآفاق وتقضّ مضجع كل جبار مستبد، ورمزاً عظيماً لخادم متضع يعرف حدود رسالته، يقدم من هو أعظم منه فيمجده ويمتدحه كصديق للعريس، ويفرح له، ويترك له الساحة لكي ينال وحده الكرامة، وينسحب هو إلى الظل راضياً أنه أدى ما عليه وأرضى الله (عب ١١: ٥).

وهو نفّذ شريعة العهد الجديد بأن أختار **الموضع الأخير** (لو١٠: ١٤)، وحفظ الوصية "**مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة**" (رو١٢: ١٠)، ممجِّداً نعمة الله التي ترفع المتضعين كما فاهت العذراء (لو١: ٥٢)، وكما قال **الرسول بولس** "ولكن **بنعمة الله** أنا ما أنا (عليه)" (١كو١٥: ١٠). ووعد الكتاب "**إن من يضع نفسه يرتفع**" (مت٢٣: ١٢؛ لو١٤: ١١، ١٨: ١٤)، الذي لا يمدح نفسه ولكن من يمدحه الرب (٢كو ١٠: ١٧). وهو ما فاز به المعمدان.

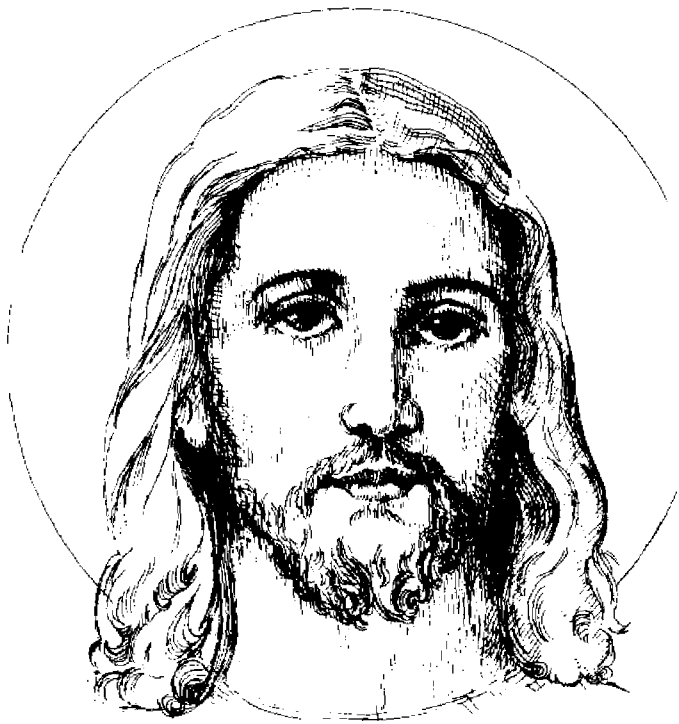

" **أنا هو نور العالم** " (يو٨: ١٢)

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي**
التدين المضاد...ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثاني : **عن المسيح**
يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الثالث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**
عثرة الصليب ... ومقالات أخري (طبعتان)

الكتاب الرابع : **شخصيات كتابية**
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتاب الخامس : **قضايا إيمانية**
المسيح يعرفنا عن ذاته ... ومقالات أخري

الكتاب السادس : **في السلوك المسيحي (٢)**
نحن والصليب والخلاص ...ومقالات أخري

الكتاب السابع : **قضايا إيمانية (٢)**
قضية الشفاعة ...ومقالات أخري

الكتاب الثامن : **في السلوك المسيحي (٣)**
ضبط النفس ...ومقالات أخري

الكتاب التاسع : **في السلوك المسيحي (٤)**
رفاق الإيمان وخصومه

الكتاب العاشر : **قضايا إيمانية (٣)**
الخطية التي لا تُغفر...ومقالات أخري

الكتب من ١١- ١٣ : **دراسات وتأملات في فصول أناجيل قداس الآحاد**
الكتابان ١٤، ١٥ : **الأعياد الكنسية** (طبعتان)

الكتاب السادس عشر : **عن المسيح (٢)**
"يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"

الكتاب السابع عشر : **في السلوك المسيحي (٥)**
الأخلاق المسيحية .. ومقالات أخرى

فهرس بمحتويات الكتب السابقة

الكتاب الأول : في السلوك المسيحي (١)

١ – عندما يضيع الطريق
+ التدين المضاد
٢ – مخاوف البداية وأخطارها ٣١
+ قبلات العدو ٣٢
+ حملان وسط ذئاب ٤٠
٣ – هو الطريق ٤٥
+ اتبعني ٤٦
+ بذل الذات ٥٥
٤ – التزامات الإيمان ٦٣
+ تدقيق الحكماء ٦٤
+ النمو ضرورة إيمانية ٧٩
+ قضية الغفران بين عمل الله وعمل الإنسان ٨٨
+ الموضع الأخير ٩٧
+ كيف نطلب وكيف يستجيب؟ ١٠٤
+ هل تختلف آلام المؤمنين ؟ ١١٠
+ مواقف لاختبار الإيمان ١٢٠
٥ – ثمار الحياة المسيحية ١٢٧
+ افرحوا ١٢٨
+ جدية الحياة المسيحية ١٣٩
+ الإيجابية سمة مسيحية ١٥٠
٦ – محاذير فى الطريق الروحى ١٦٥
+ ساعة الضعف ١٦٦

الكتاب الثاني : عن المسيح

١ – الميلاد ٩
+ ظلال الصليب على أحداث الميلاد ١٠
٢ – ما قبل الصليب ٢١
+ المسيح يعلم عن التوبة ٢٠
+ إقامة لعازر من الموت .. إعلان مبكر عن قيامة الحياة ٤٠
+ الحديث الأخير والصلاة الأخيرة ٤٧
٣ – الصليب ٥٧
+ المسيح فصحنا ٥٨
+ المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة ٦٦
+ نعم...جاء ليموت كي يهبنا الحياة ٨٠
٤ – القيامة والصعود ٨٩
+ القيامة والخلاص ٩٠
+ القيامة والحياة الأبدية ٩٧
+ المهام الأخيرة ١٠٥
+ الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين ١١٧
٥ – ما بعد القيامة والصعود ١٢٧
+ يسوع المسيح الشفيع الكامل ١٢٨
٦ – شمس البر ١٣٧
+ المسيح نور العالم ١٣٨
+ المسيح كلي الوجود ١٤٧
+ المسيح كلي المعرفة ١٥٤
+ المسيح كلي القدرة ١٧٠
٧ – قضية المسيح ١٨٧
+شهادة صحفي على صدق كلمة الله ١٨٨

الكتاب الثالث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة

١ – **الله ظهر في الجسد** ٩

+ وعلى الأرض السلام ١٠

٢ – **المسيح يقدم إلى الهيكل** ١٣

+ عيد التكريس للرب ١٤

٣ – **المسيح يبارك أرضنا** ٢١

+ العائلة المقدسة في مصر ٢٢

٤ – **صوم نينوى** ٣٥

+ الكنيسة وصوم نينوى ٣٦

+ أعظم من يونان ٤١

٥ – **عيد الصليب** ٤٧

+ الصليب في حياة المؤمن ٤٨

٦ – **الصوم الكبير وأسبوع الآلام** ٥٧

+ قراءة في أناجيل الصوم الكبير ٥٨

+ اسبوع الآلام وآفاقه الروحية ٦٤

+ عثرة الصليب ٧١

+ حول الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام ٩٦

٧ – **القيامة والكرازة** ١٠٧

+ القيامة والكرازة ١٠٨

+ قوة من الأعالي ١١٨

+ أتحبني ... ارع خرافي ١٢٧

٨ – **المسيح موضوع الكرازة والخدمة** ١٣٥

+ لمحات من الكنيسة الأولى ١٣٦

+ العمل الإلهي في الخدمة ١٥٧

+ الأرض الجيدة ١٦٥

+ عن خدمة المسيحي ١٧٣

الكتاب الرابع : شخصيات كتابية

القديس بطرس ... قصة حياة نسجتها النعمة ٩

١ – من صيد السمك إلى صيد الناس ١١

+ البداية ١٢

+ الرفيق القريب ١٤

+ الصريح في الإيمان ١٦

+ صاحب التساؤلات ١٨

+ اندفاعات عاطفية ٢٠

+ النكسة ورد الاعتبار ٢٣

+ الوصايا الأخيرة ٢٦

٢ – القديس بطرس يقود الكنيسة الوليدة ٢٩

+ القديس بطرس يأخذ المبادرة ٣٠

+ القديس بطرس يتوشح بالقوة فيتألق ٣١

+ شهادة قوية ٣٣

+ لا لخدمة السيدين ٣٥

+ الآلام الأولى ٣٧

+ الروح يساند بالمعجزات ٣٨

٣ – خادم الأمم أيضاً ٣٩

+ إلى الأمم ٤٠

+ الرسولان بطرس وبولس ٤٢

٤ – الكلمات الأخيرة ٤٥

+ رسالتان ٤٦

٥ – إلى المجد ٥١

+ الشهيد ٥٢

القديس بولس ... آخر الرسل ٥٥

١ – المسيح يختار تلميذه الثالث عشر ٥٧

+ شاول (بولس) يدخل التاريخ المسيحي ٥٨

+ الرب يواجه شاول ٦١

+ رواية القديس بولس عن تحوله ٦٥

٢ – خدمة القديس بولس ٦٧

+ عودة إلى البدايات ٦٨

+ كرازته ورحلاته ٧٢

+ العودة إلى أورشليم ٨٧

+ إلى روما ٩٠

+ ما بعد سفر الأعمال ٩٤

+ القديس بولس شهيداً ٩٨

٣ – منهج القديس بولس في الخدمة ١٠١

+ لا أنا ... بل المسيح ١٠٢

٤ – القديس بولس معلم الكنيسة ١١١

+ الخلاص في رسائل القديس بولس ١١٢

+الثالوث الأقدس في رسائل القديس بولس١٢٤

+مبادئ القديس بولس الروحية والاجتماعية ١٣٣

+ في النظام الكنسي ١٤٧

٥ – القديس بولس ينبئ عن المستقبل ١٨١

+ اليهود والمسيح ١٨٢

+ المجئ الثاني للرب والقيامة الأخيرة ١٩٦

الكتاب الخامس : قضايا إيمانية (١)

- **١ – قضية الإيمان المسيحي** ٩
  - + المسيح يعرفنا عن ذاته ١٠
- **٢ – قضية الخلاص** ٥٣
  - + المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب ٥٤
  - + هبة الحياة الأبدية للمؤمنين ٦٩
  - + عن الإيمان والأعمال ٨٢
  - + عن المجازاة ١٢١
- **٣ – قضايا المسيحى والعالم** ١٣٧
  - + قضية الاضطهاد ١٣٨
  - + قضية التسامح ١٥٠
- **٤ – قضية الملكوت** ١٦٣
  - + ملكوت الله..والإنسان ١٦٤

الكتاب السادس : في السلوك المسيحي (٢)

- **١ – نحن والتجسد** ٩
  - + التجسد والإنسان الجديد ١٠
  - + تجديد الحياة ٢١
- **٢ – نحن والصليب** ٣١
  - + نحن والصليب والخلاص ٣٢
- **٣ – نحن والقيامة** ٣٩
  - + القيامة وحياتنا العملية ٤٠
  - + معنا ولا نشعر به ٤٧
- **٤ – نحن والشهادة للمسيح** ٥٥
  - + نحن أيضاً تلاميذ ٥٦
  - + عندما يأتي الموت ٦٢
- **٥ – نحن وحياتنا الروحية** ٧١
  - + الروح القدس .. روح الحياة ٧٢
  - + البعد الداخلي للحياة الروحية ٧٥
  - + دعوة للاتضاع ٨٣
  - + حياة الشكر ٩٤
  - + الحياة في النور ١٠٠
  - + الميل الثاني ١٠٦
  - + الصوم المسيحي ١١٤
  - + انسى ولا انسى ١٢١
  - + المسيحي في مجتمع مضاد ١٢٨
  - + شباب خارج الأبواب ١٣١

الكتاب السابع : قضايا إيمانية (٢)

- **– قضية الصلاة والعبادة** ٩
  - + قضية الصلاة ١٠
  - + العبادة والتسبيح ٣٦
  - + العبادة واللغة ٥١
  - + القداس الإلهي..السماء علي الأرض ٦٤
  - + بين السبت والأحد ٦٨
  - + الناموس والأنبياء وعهد النعمة ٧٣
- **– قضية المؤمن والكنيسة** ٧٩
  - + الانتماء للكنيسة، مسئولية مشتركة بين الكنيسة والمؤمن ٨٠
  - + الكنائس التقليدية ورياح التغيير ٩٣
- **– قضية الشفاعة** ١٠٥
  - + قضية الشفاعة ١٠٦
- **– قضية الإنسان والحياة والزمن** ١٤٥
  - + رؤية مسيحية للجسد ١٤٦
  - + رؤية مسيحية للحياة والوجود ١٥٦
  - + الله والإنسان والزمن ١٦٧
  - + الإنسان وكوارث الطبيعة ١٧٨

الكتاب الثامن : في السلوك المسيحي (٣)

- **– أثقل الناموس** ٩
  - + أثقل الناموس .. الحق والرحمة والإيمان ١٠
  - + الحق ١٥
  - + الرحمة ٢٠
  - + رحمة لا ذبيحة ٢٧
  - + الإيمان ٤٠
- **– أمانة الله وأمانتنا** ٥٩
  - + أمانة الله ٦٠
  - + كن أميناً ٦٩
- **– ألوان من التعب** ٩١
  - + تعب وتعب ٩٢
- **– ضبط النفس** ١٠٥
  - + ضبط النفس ١٠٦
  - + ضبط الفكر ١١٢
  - + ضبط الحواس ١١٨
  - + ضبط الانفعال ١٢٩
  - + ضبط الشهوات ١٤١
- **– عن الصداقة** ١٥٧
  - + الصداقة من منظور كتابي ١٥٨

الكتاب التاسع: في السلوك المسيحي (٤)

□ رفاق الإيمان وخصومه ٩

□ رفاق الإيمان ١٣

١ – الرجاء ١٥

+ بين الرجاء البشري والرجاء المسيحي ١٦

+ موضوع الرجاء ١٩

+ غاية الرجاء وطبيعته ٢٢

+ الرجاء بين الإيمان والمحبة ٢٧

+ الرجاء بين العهدين ٣١

+ الرجاء ضرورة أساسية في الحياة الروحية ٤٠

٢ – الفرح في التجارب والآلام ٤٧

٣ – الصبر ٥٣

+ الصبر قرين الإيمان ٥٤

+ الصبر قرين الرجاء ٥٨

+ الصبر قرين المحبة ٦٠

+ الصبر في العبادة والخدمة ٦١

+ الصبر في التعامل مع الآخرين ٦٣

+ الصبر في التعامل مع السلطات ٦٥

+ الرب طويل الأناة ٦٧

+ صبر المسيح ٧١

+ صبر القديسين ٧٤

٤ – التوبة ٧٧

٥ – الاتضاع ٨١

٦ – عمل الرحمة ٨٥

٧ – الشبع والاكتفاء ٩١

□ خصوم الإيمان ٩٩

١ – الرياء ١٠٣

+ كلمة الله تدين وتحذّر ١٠٤

+ الرياء آفة العبادة والسلوك ١٠٦

+ الكتبة والفريسيون نموذج للرياء أيام المسيح ١١٠

+ إدانة الرياء في خدمة الرسل وتعليمهم ١١٣

+ رياء المجتمع ١١٨

+ بين المجاملة والرياء ١٢٠

+ خطورة الرياء ١٢٢

+ كيف ننجو من الرياء؟ ١٢٤

٢ – الذات وتداعياتها ١٣١

+ انكر ذاتك ١٣٢

+ نهوض الذات ١٣٤

+ الهم ١٣٦

+ القلق ١٣٩

+ الشك ١٤٥

+ الخوف ١٤٨

٣ – حزن العالم ١٥٧

+ عن حزن الموت ١٥٨

+ الحزن المقدس ١٦١

+ الحزن الرديء ١٦٤

٤ – غلاظة القلب وقساوته ١٦٩

+ عن قلب المؤمن ١٧٠

+ الكتاب وغلاظة القلب ١٧٢

+ المؤمن وغلاظة القلب ١٧٧

الكتاب العاشر : قضايا إيمانية (٣)

- **– قضية الثالوث** ٩
  - + مفاهيم لاهوتية ١٠
  - + عن الثالوث الأقدس في العهد القديم ٢٠
  - + عن الآب والابن ٢٥
- **– قضية التجسد والخلاص** ٤١
  - + معجزة التجسد ٤٢
  - + شهادة العهد القديم ٥٣
  - + شهادة العهد الجديد ٥٧
  - + شهادة المجامع والطقوس والآباء ٦١
  - + الآراء المضادة ٦٤
- **– قضية تحريف الكتاب وإنكار المسيح** ٦٧
  - + عن تحريف العهد القديم ٦٨
  - + ضد المسيح ٧١
  - + الذين ينكرون الإيمان ٧٩
- **– قضية اليهود والمسيح** ٨٧
  - + المسيح يفسر العهد القديم ٨٨
  - + اليهود والمسيح، بحسب القديس بولس ٩٣
  - + بين إسرائيل الكتاب وإسرائيل الدولة ١٠٧
- **– قضية التجديف على الروح القدس** ١١٧
  - + الخطية التي لا تُغفر ١١٨
- **– قضية الدين والقانون والدولة** ١٣٥
  - + الدين والشريعة والقانون ١٣٦
  - + الدين والدولة من منظور كتابي ١٤٤
  - + الفصل بين السياسة والدين ١٥٥
- **– قضية العَلمانية** ١٦١
  - + عن المفهوم السياسي للعَلمانية ١٦٢
  - + عن المفهوم الكنسي للعَلمانية ١٧٩

سطور من هذا الكتاب

التوبة (ميتانيا) هي تحوُّل الفكر والقلب وتغيير الحياة بصورة كلّية نحو الله. هي ليست التخلُّص من الخطايا واحدة فواحدة. والتغيير المرحلي بالجُهد الذاتي لا يفيد، وهو قصة الكثيرين التي لا تنتهي بينما تظل النفس خاطئة. والرب سبق وأكَّد لنا أن الخمر الجيدة (الحياة الجديدة) لا توضع في زقاق عتيقة (نفس مراوغة غير ثابتة)، وإلاَّ فهذه تنشق والخمر تُهرق (فشل وتعثُّر)؛ ولا توضع قطعة من قماش جديد (فضائل روحية) لإصلاح ثوب متهرِّئ (حياة خاطئة)، لأن الملء الجديد سيأخذ من القديم فيشقُّه ويصير الخرق أردأ (تتوهَّم النفس أنها تغيَّرت بينما هي تظل منقسمة) (مت ٩: ١٦).

أصحاب الحياة المائعة، التي تتأرجح بين النور والظلمة، خلاصهم في توبة حقيقية، كتوبة المرأة "التي كانت خاطئة"، تعتمد على النعمة والثقة في قوة دم المسيح؛ فيطرحون حياتهم القديمة برمَّتها، ويبدأون حياة جديدة تماماً كأنهم "مولودون الآن" (١بط ٢: ٢).

ولكن التوبة لا تتوقف، فهي عمل المؤمن كل يوم لتصحيح مسيرة الحياة، وهي عمل القدِّيسين لتنقية حياتهم من الشوائب وحفظها بلا دنس من العالم (يع ١: ٢٧). وكما قال الرب لبطرس عند غسل الأرجل: " إن الذي اغتسل ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله" (يو ١٣: ١٠)، أي أن الذي اعتمد ويحيا في الإيمان وتغيَّرت حياته ويسير في خوف الله، هو في حاجة فقط إلى التوبة المتجدِّدة عن الخطايا الطارئة واستعادة لياقته الروحية.

نور الحياة